الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم:أصول الدين **السنة :الثالثة**

مقياس: المسيحية **التخصص: عقيدة ومقارنة**

الأديان

دروس على الخط في مقياس الديانة المسيحية

من إعــداد الدكتور: بشير بوساحة

السنة الجامعية:1442هـ-1443هـ/ 2021م- 2022م

عنوان الوحدة : وحدة التعليم الأساسية

المادة: المسيحية (مقياس سنوي)

الرصيد:04 **المعامل:02**

أهداف التعليم: أن يتعمق الطالب في الديانة المسيحية، عقيدة وشريعة من مصادرها مع الاطلاع عل أهم فرقها إضافة إلى نماذج من الأعياد والعبادات.

المعارف المسبقة المطلوبة: معرفة عامة بالديانات وبالديانة المسيحية على وجه الإجمال في السداسيات السابقة.

محتوى المادة:

01 ـ تعريف المسيحية (النصرانية).

02 ـ المسيح والمجتمع المسيحي الأول.

03 ـ القديس بولس وأسس تحريف المسيحية (الكتاب المقدس وبدايات التحريف).

04 ـ المسيحية بعد بولس إلى القرن الرابع للميلاد (المجامع المسيحية وتبلور المعتقدات المسيحية).

05 ـ الفرق الدينية المسيحية وعقائدها.

أـ الفرق المسيحية القديمة:

1 ـ الآريوسية.

2 ـ النسطورية.

3 ـ اليعقوبية.

4ـ الملكانية.

ب ـ المذاهب المسيحية الحالية:

1ـ الأرثوذكسية.

2 ـ الكاثوليكية.

3 ـ البروتستانتية.

06 ـ المسيحية في القرن العشرين.

طريقة التقييم: امتحان + مراقبة مستمرة

المراجع :

01 ـ المسيحية "نشأتها وتطورها"، شارل جاند بيير.

02 ـ مسألة صلب المسيح، أحمد ديدات.

03 ـ المسيحية، أحمد شلبي.

04 ـ محاضرات في النصرانية، أبو زهرة.

05 ـ عبقرية المسيح، العقاد.

المحاضرة الأولى: تعريف بالديانة المسيحية(النصرانية).

1- المسيحية في اللغة:

يقول بن منظور: "المسيحية نسبة إلى المسيح، والمسيح مشتق من الفعل مسح، والمسْحُ: إمرارك يدك على الشيء السائل والمتلطخ تريد إذهابه بذلك كمسح راسك من الماء وجبينك من الرشح، مسحه يمسحه مسحاً ومسحه وتمسح منه وبه، والمسيح: الصديق وسمي بذلك عيسىυ، وقيل سمي بذلك لصدقه، وقيل لأنه سائح في الأرض لا يستقر، وقيل لأنه كان إذا مسح بيده على العليل، والأكمه، والأبرص فيبرئه بإذن الله، وقيل سمي مسيحاً لأنه أَمسَحُ الرِجْلِ ليس لرجله أخمص، وقيل سمي مسيحا لأنّه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن"[1].

---

[1]ـــ ابن منظور، لسان العرب، دون ط، دار صادر، بيروت، دون تاريخ نشر، ج4، ص 593-594.

2- المسيحية في الاصطلاح:

المسيحية هي الديانة الّتي جاء بها المسيح ابن مريم υ الذَّي أرسله الله إلى بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل[2] مشتمل على رسالة النبي عيسى ρ، الذَّي جاء بها، وفيها عقائد، وعبادات ومعاملات، وأخلاق[3]. والمسيحية يقصد بها الرسالة التي جاء بها المسيح وهي واحدة من رسالات الأنبياء، التي جاءوا بها إلى النَّاس، ليعبدوا ربَّهم الذَّي خلقهم وعَافَاهم ورزقهم ولا يشركوا به أحد[4]، لقوله تعالى: **(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)[مريم: 30ــ31].**

ويطلق على المسيحية أيضًا النصرانية وعُرفت بأنّها "الدِّين الـمُنزَّلُ من عند الله تعالى على عيسى υ، وكتابها الإنجيل"، وقد سُمي أتباعه في القرآن بالنصارى، بالرغم من أن هذا الاسم الذي سماهم به الله هو "النَّصارى"، إلا أنهم يفضلون أن يُسَّمَوا بالمسيحيين[5].

وهناك من يعرف المسيحية على أنها الديانة التي جاء بها المسيح عيسى ابن مريم υ إلى بني إسرائيل مع كتابه الـمُنزَّل عليه، المتمثل في "الإنجيل" متبعاً لما جاءت به التوراة، إلاَّ أن أيادي التحريف طَالَتْهُ فانقلبت هذه الديانة من دين توحيدي إلى دين محرف فيه كثير من عقائد الوثنيين. فتحول المسيح من إنسان وبشر فانٍ، إلى إله يسمونه "ابن الله".

3 ــ المسيحية أم النصرانية.

يقف الباحث في مقارنة الأديان عموما وما يتعلق بالمسيحية خصوصا، مع إشكالية تسمية هذه الديانة، أيهما أصح أن تسمى الديانة النصرانية أم الديانة المسيحية ؟.

فنجد أن هناك من يستعمل التسمية الأولى وهناك من يستعمل الثانية، ولكل وجهة نظره.

أ - وجهة نظر الفريق الأول:

يرى الفريق الأول أن الاصح هو تسميت هذه الديانة بالنصرانية، لأنها هي التسمية التي سُمي بها أتباع هذا الدين في القرآن الكريم، حيث سُمي الحواريون في القرآن الكريم بـ: (انصار الله) ، يقول الله تعالى : الصف 14. ويعتبر هؤلاء أن التسمية القرآنية هي الأصوب والأدق، كما أن الدين لا يُنسب الى من يدعو اليه. ويؤكد هذا الفريق وجهة نظره بأنه من الباحثين من يتكلم عن أسباب التسمية فيرجعه إلى أن كلمة النصرانية مشتقة من مدينة الناصرة في فلسطين، وهي المدينة التي عاش فيها المسيح عليه السلام.

---

[2]ـــ كلمة إنجيل(Gospel) كلمة يونانية معناها "الحلوان" وهو ما تُعْطِيهِ من أتاك ببشرى، ثم أريد بالكلمة البشرى نفسها، أما السيد المسيح υ فقد استعملها بمعنى "بشرى الخلاص" التي حـَمَلها للبشر وقد استعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه، ينظر: أحمد شلبي، مقارنة أديان 2 المسيحية ،ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998م، ص204.

[3]- ينظر: داود فياض، أصول المسيحية كما يصورها الإسلام، دون ط، مكتبة المعارف، دون تاريخ نشر، ص19 .

[4]-ينظر: رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، دون ط، المكتبة العصرية، بيروت، دون تاريخ نشر، ص15.

[5]- ناصر بن عبد الله القفاري وناصر بن عبد الكريم العقل، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة،ط1، دار الصميعي، الرياض، 1413هـ/ 1992م، ص63-64.

وعليه يُعرف هذا الفريق النصرانية على أنها الدين الذي أتى به عيسى بن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل منذ ما يزيد عن الفي عام، ثم تحول على يد بولس (اليهودي) الى دين عالمي، سمي بالمسيحية وهو يُعد اليوم من أكبر الديانات في العالم.

ب ـ وجهة نظر الفريق الثاني:

بينما يذهب الفريق الثاني إلى أن الاصح هو تسميت هذا الدين بالمسيحية، نسبة إلى المسيح عليه السلام، لأنها التسمية المعتمد عند أتباع هذا الدين في الشرق والغرب. كما أن كلامنا حول هذه الديانة هو كلام عما ألت إليه هذه الديانة بعد بولس الرسول، الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الديانة بعد رفع المسيح عليه السلام وهي الديانة المعروفة الآن.

فالديانة المسيحية اليوم هي الديانة الّتي أسس قواعدها بولس من خلال رسائله المعتمدة في الكتاب المقدس، ثم أرسى دعائمها الامبراطور الروماني قسطنطين وأتباعه من القساوسة. في مجمع نيقية (325م) للحفاظ على السلطة والنفوذ والتحكم في جماهير المسيحيين، فقرروا لهم أربعة أناجيل من بين أكثر من ثمانين إنجيلاً كانت موجودة في تلك الفترة مشتملة على تأليه المسيحυ، وحرفوا بذلك ما جاء به يسوع من عقائد، وعبادات ومعاملات، وأخلاق. فأصبحت هذه الديانة تقوم على شخص المسيح الذي تم تأليهه، مع دمج الوثنيات في رسالة عيسى عليه السلام.

المحاضر الثانية: المسيح والمجتمع المسيحي الأول.

أولا: حياة المسيح عليه السلام ونهايته.

1 ـ البيئة التي ولد فيها المسيح:

أ ـ البيئة العالمية:

كان القرن الثاني قبل الميلاد عصراً مضطرباً في تاريخ الرومان، عرف بالنزاعات الداخلية، فقد قضى الرومان قرناً من الثورات والفتن والاغتيالات قبل أن يتمكن (أغسطس) من جمع السلطة بين يديه.

وكذلك اشتد النزاع منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد بين التقاليد الرومانية وبين الفلسفة اليونانية الوافدة من أثينا إلى روما. وكان أبلغ المذاهب الفلسفية أثرا في حياة الرومانيين المذهب (الأفيغوري / الأبيقوري) والمذهب الرواقي:

1ـ اتجه المذهب الأول (الأبيقوري) نحو طلب اللذة ونحو المسالمة، مما ساعد الرومانيين على شيء من الاطمئنان النفسي في عصر كثر فيه الاضطراب، لكنه اكتسب في البيئة الرومانية طابعا أكثر مادية، فكان تعلق الرومانيين باللذة أكثر من ادراكهم لحقيقة ما يرمي اليه هذا المذهب.

2 ـ أما المذهب الثاني وهو (الرواقي)، فقد بدأ مند نحو 150 ق . م، وهذا المذهب له صلة بالواقع الانساني وهو أوثق صلة بالتقاليد الرومانية، لأنه اكثر تمسكا بالمبادئ وأقل احتفالا بالميول العارضة (اللذة)، ومع شيوعه قويت النزعة الدينية في عهد (أغسطس) الذي ولد

في عهده المسيح عليه السلام، في بيت لحم من أرض فلسطين، التي كانت أنداك جزء من الإمبراطورية الرومانية.

هذه هي البيئة العامة التي ظهرت فيها المسيحية. بالإضافة إلى أن الكثيرين لا زالوا يتطلعون الى تلك الساعة، التي تتحقق فيها الأحلام والرؤى القديمة ويعود مجد اليهود، فيتم إنصافهم كونهم شعب الله المختار، مع قيام مملكة الله المنتظرة، في هذه الظروف المتناقضة نشأ المسيح وترعرع. وفي هذا الواقع المرير للمجتمع اليهودي الذي انحرف عن شريعة التوراة، وابتعد عن تعاليمها، أذن الله تعالى برسالة جديدة، لمعالجة انحراف هذا المجتمع، ورده إلى الطريق الصحيح[6].

ب ـ البيئة المحلية اليهودية:

وُلد المسيح في وسط يهودي باتت اهتماماته، منذ قرون وقبل كل شيء، اهتمامات دينية تنحو إلى ما يفوق الطبيعة. هذا الشعب الخاضع لقيادة طبقة كهنوتية، بقي منهمكا منذ بداياته للحفاظ على استقلاله وعلى أصالته في مواجهة دول قوية مجاورة. فقد عُني بصورة أساسية بالمضمار اللاهوتي الديني والأسطوري. مُدونا في كتاباته الوحي الإلهي وما يقولون أنه ظهورات الله في تاريخه. فلم يسع هذا الشعب يوما أن يدرس بنية هذا العالم حيث يعيش. فاكتفى بمعرفته أن يهوه قد خلق كل ذلك، وأنه لا يزال ساهراً على أقدار شعبه. في هذه البيئة ظهر المسيح (عليه السلام)، فكانت المشكلة الجوهرية في نظره هي: مشكلة الخلاص، مشكلة الأخرويات وغايات البشر الأخيرة. فقال إن مُلكهُ ليس من هذا العالم، وليست حكمة هذا العالم سوى جنون إزاء الحكمة الإلهية. ولذلك اتجه اهتمامه كله إلى العالم الآخر، الذي قلما كان الوسط اليهودي التقليدي يوليه اهتمامه. ففي رأي يهود الهيكل أنه في هذه الحياة يكافئ الله أو يُعاقب وليست دار الآخرة، وهي إقامة الأموات. ورغم أن بعض النصوص اليهودية المقدسة، كرؤيا حزقيال، تترقب أن يكون هناك بعث محتمل من الموت فإن اهتمامات العبرانيين ظلت أرضية، دنيوية. بينما ظهر الدين المسيحي في أصوله كعقيدة لِلحب، عقيدة يترتب عليها أن تهدف إلى ما هو جوهري، أي الاشتراك في الحياة الإلهية، وترقب عودة المسيح وتغير هذا [7].

وفي العام الرابع قبل الميلاد المعتمد كانت ولادة يسوع، أو عيسى أو المسيح عليه السلام، من مريم العذراء عليها السلام، وقد كان الحمل وكانت الولادة معجزة. والمسيح أو الممسوح، جاءت من الطقس المستخدم قبل عيسى عليه السلام، حيث كان المسح بالزيت لعموم البدن شأنا دينيا يعبرّ عن الفرح والتبجيل. بعد المسح بالزيت كان المسح بالقدرة الرسولية من الله تعالى، وقد ورد ذلك في سفر أعمال الرسل من العهد الجديد: (وأنتم تعلمون الأمر الذي جرى في اليهودية كلها، وكان بدؤه في الجليل بعد المعمودية، التي نادى بها

---

[6] ـ محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص 230- 231.

[7] ـ جورج منوا، الكنيسة والعلم ـ تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي، تر: موريس جلال، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دمشق، ط1، 2005، ص 27-28).

يوحنا، وفي شأن يسوع الناصري كيف أن اللهّ مسحه بالروح القدس والقدرة. فمضى من مكان إلى آخر يعمل الخير ويبرئ جميع الذين استولى عليهم إبليس).

2 ـ الحمل بالمسيح وولادته :

حملت العذراء البتول مريم بالسيد المسيح عليه السلام، وهو الأمر الذي اجتباها الله له، واختارها لأجله، ولقد فوجئت به، إذ لم تكن به عليمة، فبينما هي قد انتبذت من أهلها مكانا شرقيا، أرسل الله إليها ملكا تمثل لها بشرا سويا (مريم 18-22)

فقد حملت مريم بعيسى من غير أب، ثم ولدته، ولو كانت مدة الحمل غريبة لذكرت، فليس لنا إذن الا أن نفرض أن مدة الحمل كانت نسعة أشهر. ولما ولدته وخرجت به على القوم كان ذلك مفاجأة لهم، سواء في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها، ومن لا يعرف، لأنها فاجأتهم بأمر غريب، وهي المعروفة

عندهم بأنها عذراء ليس لها زوج، ولكن الله سبحانه رحمها من هذه المفاجأة، فجعل دليل البراءة بأن ينطق الغلام الذي ولدته قبل قليل، فأشارت اليه (مريم 29- 33)

وكانت الحكمة في كون المسيح ولد من غير أب يعود الى أكثر من سبب:

أ ـأن ولادة عيسى من غير أب تُعلن قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه الفاعل المختار المريد، وأنه سبحانه لا يتقيد في تكوينه للأشياء بقانون الأسباب والمسببات، فالأسباب والمسببات لا تقيد إرادة الله، لأنه خالقها، وهو مبدعها ومُريدها. وخلق عيسى من غير أب هو بلا ريب إعلان لهذه الارادة، بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية.

ب ـأن ولادة المسيح من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكرو الروح، حتى لقد زعموا أن الانسان جسم لا روح فيه، وهذا كان قول اليهود، فإنهم كانوا لا يعرفون الإنسان إلا جسما عُضوياً، ولا يُقرون أنه جسم وروح.

وقد كانت لعيسى عليه السلام خمس معجزات. ذكر أربعة منها في سورة المائدة وهي:

أ- أنه يصور من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله.

ب-إحياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله.

ت-إبراؤه عليه السلام (الأكمه) و(الأبرص) بإذن الله، وهما مرضان تعذر على الطب قديمه وحديثه العثور على دواء لهما.

ث-إنزال المائدة من السماء بطلب من الحواريين، لتطمئن قلوبهم، وليعلموا أن المسيح صادق معهم.

ج- وهذه المعجزة الخامسة ذكرت في سورة آل عمران، وهي انباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه، ولم يعاينها، فقد كان ينبئ صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

ومعجزات المسيح هذه جاءت مناسبة لأهل زمانه من قومه، فقد ساد إنكار الروح بينهم، فجاء عيسى بمعجزات بداية بمولده، هي في ذاتها أمر خارق للعادة، إعلان صادق للروح، وبرهان قاطع على وجودها[8].

---

[8] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 235-236)

3 ـ موقف اليهود من دعوة المسيح: لقد كانت الأجواء التي ظهرت فيها دعوة المسيح تقوم على الأمل الذي كان اليهود يترقبونه بظهور المسيح المنتظر، فالجو كان مهيئاً لظهور نبي جديد، يُخلص الشعب المختار من الظلم والاضطهاد. إلا أن المسيح عليه السلام عندما أعلن دعوته لم يجد استجابة ولا ترحباً في المجتمع اليهودي، بل وقفت الأغلبية الساحقة تقاوم دعوته، يكيدون له الى أن حكم عليه المجلس اليهودي (السنهدرين/السفهدرين) بالموت. وقد ظلت النصرانية أيام المسيح عليه السلام دعوة بسيطة واضحة مقتصرة على الشعب اليهودي تدعوهم الى عبادة الله وحده، والى إيقاف حالة الاغراق المادي التي انتشرت في المجتمع اليهودي، فتدعوهم إلى الزهد والتواضع والتسامح والتطلع إلى ملكوت الله، وطلب الأجر والثواب من اللهّ تعالى يوم القيامة. فالمسيح كان يتجول في أوساط الشعب اليهودي يعظهم ويخاطبهم، هو ما جاء في انجيل متى 5/ 1-4: (طوبى للودعاء، فإنهم يرثون الأرض، طوبى للرحماء، فإنهم يُرحمون، طوبى لأتقياء القلوب). كما كان يتصدى للانحرافات التي كان يمارسها أحبار اليهود ممن تسلطوا على المؤسسات الدينية، وراحوا يشرعون ما لم يأذن به الله.

لكل هذا تقدم اليهود لمناوأة المسيح، وقليل منهم اعتنق دينه وأمن به، وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعوته، فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا الضعفاء والفقراء يستجيبون لندائه، ويلتفون حوله مقتنعين برسالته، أخذوا يكيدون له، ويوسوسون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان لم يكونوا يلتفتون إلى تلك المسائل الدينية بين اليهود، بل تركوا هذه الأمور لهم يُسوونها فيما بينهم، ولكن اليهود كانوا يُريدون أن يقبض الرومان على عيسى عليه السلام مهما كان الثمن. فبثوا حوله العيون يرصدونه، ويتسقطون قوله بشأن الحكومة والحكام، ولما لم يجدوا شيئاً ضد المسيح كذبوا على لسانه، مما جعل الحاكم الروماني يُصدر الأمر بالقبض عليه، والحكم عليه بالإعدام صلباً. إلا أن الله لم يمكنهم منه حسب ما ورد في القرآن الكريم، بل نجاه الله من أيديهم. (سورة النساء 157-158)

وبعض الآثار تقول إن الله القى شبه المسيح على أحد حواريه المسمى بـ: (يهوذا الإسخريوطي) ، وهو الذي تقول عنه الأناجيل أنه هو الذي دُس عليه، ليُرشد اليهود والرومان عليه، اذ أنهم كانوا لا يعرفونه. فالمسيح عليه السلام لم يُصلب بنص القرآن الكريم، وقد اختلف مفسرو القرآن في هذا الشأن، فجلهم على ان الله سبحانه وتعالى رفعه بحسمه وروحه اليه، وأخذوا بظاهر قوله تعالى: (بل رفعه الله اليه) وببعض الآثار التي وردت في ذلك . وفريق أخر من المفسرين، وهم الأقل عدداً، قالوا: إنه عاش حتى توفاه الله كما يتوفى الانبياء، ورفع روحه اليه كما ترفع أرواح الأنبياء والصديقين والشهداء، وأخذوا في ذلك بظاهر قوله تعالى: ال عمران 55 والمائدة 117. ولكل من هؤلاء أدلة وتأويلات[9].

4 ـ المسيح في الرؤية المسيحية:

إن المسيح حسب العقيدة المسيحية، هو الثاني في الأقانيم الثلاثة التي آمن بها المسيحيون، وهي الاب والابن والروح القدس. والأقنوم في المسيحية، ليس عنصرا ولا

---

[9] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص236- 238)

جزءا بل هو ظهور. وقد أثارت مسألة طبيعة السيد المسيح نقاشا طويلا، فتوالت من أجل ذلك انعقاد المجامع المسكونية الاستشارية بين المسيحيين، وحصلت بسببها الانشقاقات المذهبية. وقد أخر هذا الأمر القول بألوهية المسيح وأنه الابن.

وتعود بداية التنوع في المواقف حول طبيعة المسيح، إلى أواخر القرن الأول للميلاد، يوم انفرد يوحنا من خلال إنجيله، متحدثا عن طبيعة لاهوتية للمسيح بخلاف ما كان في الأناجيل الثلاثة الأخرى متى ولوقا ومرقس. واشتد الجدال حول طبيعة المسيح في الإسكندرية مع مطلع القرن الرابع للميلاد بين اثنين من الأساقفة هما: آريوس وأثناسيوس. وكان أريوس(ت 336 م) يقول : "إن كلمة الله ليست أزلية بل مخلوقة في الزمن، خلقها الله قبل خلق العالم"، وقال: "إن المتجسد في يسوع ليس الكلمة الأزلية غير المخلوقة، بل مخلوق من المخلوقات". أما أثناسيوس(ت 373 م) فيقول : إن كلمة الله تجسدت واستقرت في الإنسان يسوع، ولكنه اختلف مع آريوس في أمر طبيعة الكلمة، فقد اعتبر أثناسيوس أن الكلمة التي تجسدت في يسوع هي أزلية، وغير مخلوقة، وكائنة مع الله منذ البدء[10].

ويعتقد النصارى أن المسيح عليه السلام هو في الحقيقة ابن الله الأزلي، وأن المسيح صلب وقتل حقيقة، فهم يعتقدون أن الله الأب غضب على الجنس البشري، بسبب خطاياهم وخاصة خطيئة أبيهم آدم التي أخرجته من الجنة. ولكن مع غضب الله على الجنس البشري فهو رحيم، يُريد أن يمحو هذا الذنب، فأرسل ابنه ووحيده الى الأرض حيث دخل جسد مريم العذراء البتول، ووُلد كما يولد الأطفال
وتربى مثلهم، حتى بدا انساناً كالبشر، ثم صُلب ظلماً على الصليب، ليُكفر عن اثم آدم الذي أصبح المسيح كأحد أبنائه.[11]

الثانيا: المجتمع المسيحي الأول:

1 ـ المسيحيون والاضطهاد الروماني:

بدأ اضطهاد المسيحيين منذ عهد مبكر، وكان المسيح ضحية هذا الاضطهاد، وقد نزل بأتباعه من بعده خوفاً يفوق الوصف، من الظلم والتنكيل، وذلك لأن الرومان كانوا يرون في اتباعه خطراً عظيماً على الدولة الرومانية، وكان مصدر هذا الرأي اليهود. وقد عرف المسيحيون أربعة عهود، كانت أشد العهود ظلاماً وأكثرها ظلماً، واعنفها قسوة[12]:

أ ـ في عهد نيرون سنة 64م: اتهم نيرون الروماني المسيحيين بإحراق روما، فأخذهم بهذه التهمة، وتفنن هو وحكومته في تعذيب المسيحيين بشتى ألوان التعذيب، منها: إدخال المسيحيين في جلود الحيوانات، ثم تقديمهم طعاماً للكلاب الجائعة، ومنها إلباسهم ثياباً مطلية بالقار ثم إيقادهم كمشاعل على الطريق يُستضاء بها في الليل، ومنها كذلك أن نيرون اتخذ هو لنفسه من تلك المشاعل البشرية شموعاً يسير على ضوئها في قصره. وفي ظل هذه الظروف العصيبة المستمرة، يدعي النصارى أن بعض الأناجيل دونت في هذا العهد، ومنها انجيل مرقص وانجيل لوقا.

---

[10] ـ أسعد السحمراني، ترجمان الأديان، دار النفائس، بيروت، ط1، 2009م، ص 342- 343.
[11] ـ محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص 238.
[12] ـ محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص 238 -239.

ب ـ في عهد نراجان سنة 106م: هذا الأخير طاردهم إلى داخل بيوتهم، وأصدر أحكامه بمنع الصلاة المنفردة، واعتبرها من التجمعات السرية.
ج ـ في عهد ديسيوس سنة 251م: ففي عهده أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة، وكان يؤتى بكل مسيحي يُرشد عنه الى الهيكل، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وكان عقاب من يرفض ذلك أن يكون هو الذبيحة.
د ـ في عهد دقلديانوس سنة 284م: الذي قتل ألآف من البشر في مصر، قُدر عددهم بـ: 140000 من المسيحيين، ولهذا أتخذ الاقباط هذه الاحداث بداية للتقويم القبطي.

2 ـ اعتناق الدولة الرومانية للمسيحية:

لقد عانت المسيحية من اضطهاد الرومان الشيء الكثير طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون، مما أفقدها الكثير من رجالها. وبحلول سنة 311 م تكشف للامبراطور(جالير) ـ وكان من اشد المضطهدين حماسا ـعقم جهوده، فاضطر الى التخلي عن خططه واستسلم لفكرة التسامح مع النصارى، ولما مات بعد فترة قصيرة، فُتح المجال للتنافس بين عدد كبير من طالبي الحكم، فقد حاول كل واحد منهم استرضاء الأنصار وكسب التأييد من طوائف الشعب المختلفة. وكانت تلك فرصة ذهبية للكنيسة أن تبيع تأييدها معتمدة على ما تملكه من قوى تجعل منها حليفا يعتز به كل طالب حكم[13].

وقد فاز (قسطنطين) بتأييد الكنيسة، فرفعته الى الحكم ضد منافسه (ماكسنتيوس)، فلما توج قسطنطين إمبراطوراً أصدر سنة 312 م مرسوم سمي بـ: (مرسوم ميلان) جعل به النصرانية ديانة مرخصة، وساوى بينها وبين الديانات الأخرى داخل الامبراطورية الرومانية[14]. وقد كان لهذا الإمبراطور أهمية كبيرة، فكان في توليه عرش الإمبراطورية خير كثير على النصارى وعلى المسيحية، فقد انهى الاضطهاد الذي عاشوه طويلا، وأصبح رجال الدين النصارى يتمتعون بالمناصب العليا في الدولة، وتدرجوا بهذه المناصب حتى صارت رتبة البابا أعظم من رتبة الامبراطور نفسه[15].

وقد اعتنق قسطنطين النصرانية بعد انتصاره على اعدائه أين حمل الصليب، وكان لوالدته (هيلانة) أثر كبير في التفاته الى النصرانية، ففد كانت نصرانية قبل أن تتزوج والده، واستطاعت أن تخفف الاضطهاد عن النصارى من قبل، وغذت ابنها حب الصليب والنصرانية. ويذكر ديورانت أن قسطنطين شاهد في احدى المعارك صليبا ملتهبا في السماء وعليه عبارة معناها (بهذه العلامة انتصر)، وفي صباح اليوم الثاني رأى قسطنطين في نومه أن صوتا يأمره بأن يرسم جنوده علامة الصليب على دروعهم، فلما استيقظ من نومه فعل ما أمر به في نومه، وخاض معركة خلف لواء عُرف من ذلك الوقت باسم (اللبارم) رسم عليه الحرفان الأولان من لفظ (المسيح) يربطهما صليب. ويقول ديورانت : "ولعل

---

[13] ـ محمد الخطيب، 255.

[14] ـ (محمد عزت الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص231)

[15]ـ (محمد الحاج، النصرانية، 129)

حقيقة الأمر أن قسطنطين رأى أن يربط حظه بحط المسيحيين، حين رأى منافسه (ماكسنتيوس) يرفع لواء (متراس) وهو لواء الشمس التي لاتقهر". ويتساءل ديورانت بعد ذلك فيقول : "ترى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصا في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية ؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية ؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب"[16].

وانطلاقا من هذه السياسة كان هذا الامبراطور يكره أي اختلاف، ويحاول القضاء عليه بأقصى سرعة لأنه يخشى أن يؤثر هذا الخلاف على عرشه، وهذا ما ظهر واضحا في قضية أريوس (270- 336م) فقد أراد أن يتفادى خطر حركة أريوس بأي شكل، وقد حاول بادى الأمر أن يُقنع الأطراف المختلفة بحل قضاياهم بسرعة، ولما عجز عن ذلك أقام مجمعا دينيا لبحث هذا الخلاف سنة (325 م) يسمى بمجمع نيقية، وترأس المجمع بنفسه، وألقى كلمة افتتاحية طالب المجتمعين فيها أن يوحدوا الصفوف[17].

ويظهر أن قسطنطين بقي وثنيا الى حين وفاته، وان ادعى انه تنصر، فهو لم يتقبل سر المعمودية الا قبيل وفاته. ففي سنة 337 م أصيب بالحمى فذهب الى مياه معدنية قريبة يستحم بها، ثم انتقل الى انقرة، وكان يود ان يتعمد في نهر الأردن كما فعل المسيح نفسه، ولكن الموت عاجله، فتقبل سر المعمودية على يد الأسقف. وتوفي يوم العنصرة، وحنط جسمه، ووضع في تابوت من ذهب، ونقل الى القصر في القسطنطينية. ثم أُمر بنقله إلى كنيسة الرسل حيث صلى الإكليروس عليه طوال الليل، ودفن فيها، وأله الشيوخ (قسطنطين)حسب العادة الرومانية، وعظمه الشعب الوثني، وعبده أمام تمثاله الذي نصب فوق عمود من الرخام[18].

ويظهر من مراسيم دفنه أنه قد أقيمت عليه طقوس مسيحية، وطقوس وثنية، مما يدل على أن كلا من الطرفين كان يعتبره منهم، فالنصارى صلوا عليه باعتباره مسيحياً ودفنوه في الكنيسة، والوثنيون اعتبروه وثنيا فألهوه وعبدوا تمثاله واقاموا عليه طقوسهم[19].

3 ـ آثار اعتناق الرومان للمسيحية على عقائدها:

كان المسيحيون يؤمنون بالله الواحد، وما لبثت المسيحية طولا بعد تنصر بولس وإعلان قسطنطين النصرانية في الإمبراطورية الرومانية، حتى نشأت فيها أفكار فلسفية غريبة، نادت بالتثليث والأقانيم والتجسد وغير ذلك من هذه الأفكار التي بدأت تنتشر، مستمدة قوتها من وثنية الرومان، وسلطان دولتهم التي باتت ترفع شعار الصليب. ان المسيحية التي أراد الله لها أن تكون دعوة مخصوصة لبني اسرائيل لم تستطع مواجهة الوثنية الرومانية الحافلة بشتى الفلسفات والأفكار، فما لبثت أن تسربت تلك الأفكار الى

---

[16] ـ (ول ديورنت، قصة الحضارة، ج11/384، 385، 387)

[17] ـ أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، مؤسسة هنداوي، 2017م، 56 ،57)

[18] ـ (أسد رستم، الروم، 70 -71)

[19] ـ (محمد الحاج، النصرانية، 134)

أصولها، وعندها بدأ الخلاف يدب بين رجال الدين من النصارى أنفسهم، فمنهم من تأثر بالفلسفات الوثنية المنتشرة، فراح يطبق تلك التفسيرات الفلسفية على مفهوم الألوهية وعلى بعض الاصطلاحات الدينية، فظهرت فكرة التثليث وألوهية عيسى عليه السلام، وبقي آخرون منهم محافظين على تعاليم الرسل
الأصيلة، وتصدوا للأفكار الواردة، وكان لابد للدولة أن تتدخل بحجة استتباب الأمن، لأن هذا الاختلاف يُعكر صفو الأمن، واختارت أن تقف مع الأفكار من يؤلهون المسيح [20].

فالنصرانية لم تنتصر في المعركة التي دارت ببنها وبين الوثنية، بل الذي حدث هو أن النصرانية اكتست صبغة رومانية، وهو ما يؤكده شارل جنيبر الذي يقول : "إن هذا الانتصار لم يكن الا ظاهريا، حيث أن الدين الجديد لم يُطوع العالم اليوناني الروماني لعقيدته وروحه، بل على العكس ترى هذا العالم قد تشربه وطوعه لتطلعاته، والكنيسة هي المسؤولة عن تلك النتيجة لأنها هي التي كانت القوة المتحكمة في أمور المسيحية، وهي التي وافقت على الحلول الوسط وعلى ألوان مختلفة من التنازلات، وأصبحت الكنيسة جانبا من جوانب الدول الرومانية "[21].

المحاضرة الثالث: بولس الرسول وبدايات التحريف

أولا: حياة بولس الرسول وتأسيس المسيحية.

1- حياة بولس الرسول.

ولد شاول سنة 10 ميلادي تقريبا، من أبوين يهوديين من سبط بنيامين، وهما من أتباع الفرقة الفريسية. وقد عُروف عند المسيحيين باسم بولس الرسول، ولد حرا يحمل جنسية رومانية يُجهل كيفية حصوله عليها، فتمتع بحقوق الرومانيين التفضيلية[22].

وقد ورد في سفر أعمال الرسل تفصيل عن حياة بولس وأعماله، جاء في الفقرة 3 في الإصحاح 22 قول لبولس: "أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكة ولكن ربيت في هذه المدينة (يقصد أورشليم)". واسمه العبري (اليهودي) شاول، ولد في طرطوس بآسيا الصغرى بعد ميلاد المسيح، من أبوين يهوديين، وهم من أشد الفرق عداوة للمسيح، ولم يكن بولس من تلاميذ المسيح ولم يره ولم يسمع منه، كانت حرفته صناعة الخيام، وله نفوذ عالي عند الدولة الرومانية، تعلم الناموس على يد معلمه "غمالائيل" عرف عن بولس انه كان من المضطهدين وشديد القسوة لأتباع المسيح قبل ادعائه الإيمان، وبعد فترة من الوقت آمن بالمسيح لرؤيا رآها فقال له المسيح:" شاول! لما تؤذيني؟"... وبدأ حملاته التبشيرية وقام بنشر الإنجيل وبناء

---

[20] ـ (محمد الحاج، النصرانية، 135)
[21] ـ (شارل جنيبر، المسيحية، ص182)
[22] ـ محمد أحمد ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، دار الاسراء، ط1، 1992، ص18.

الكنائس. [23]، فهو يهودي باعترافه وهناك تصريح آخر في السفر ذاته بأنه يهودي فريسي ... جاء في الإصحاح الثالث و العشرين: ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون و الآخرون فريسيون صرح في المجتمع وقال: "أيها الرجال الإخوة أنا فريسي"، والسفر نفسه سفر أعمال الرسل يقول أن أصله روماني.[24]

نشأ شاول بولس وأمضى طفولته في طرسوس عاصمة ولاية كيليكية، التابعة للإمبراطورية الرومانية، جنوب شرقي آسيا الصغرى، التي تقع الآن بين مدينتي أضنة ومرسين التركيتين. وقد كانت طرسوس أيام شاول بولس حاضرة علمية امتاز أهلها بدراسة الفلسفة، لغة أهلها اليونانية، وفيها ثالث مدرسة جامعة بعد أثينا والإسكندرية، كما أن كيليكية كانت مركز الديانة الميترائية الوثنية[25].

فقد كان لطرسوس التي تقع في مكان التقاء الشعوب، أثرها على حياة بولس، الذي عاش طفولته فيها، تحت ظل الحكم الروماني. فعرف الرومان وعساكرهم، وتعرف على سكان قبرص والسريانيون من أنطاكية، والجبليون من كيليكية وتجار القوافل المسافرون من خليج الاسكندرونة نحو أنطاكية وقيصرية ودمشق والسامرة وأورشليم. فعرف بولس هذه الشعوب جيدا، وهو ما ساعده على نشر ديانته فيها بعد ذلك[26].

اتقن بولس اللغتين اليونانية والعبرانية، فيظهر أنه تعلم في مدارس يونانية، كما أخذ تعاليم الطائفة الفريسية اليهودية. فعُرف بغيرته الدينية ودفاعه الشديد على كتبهم المقدسة، ثم درس الفكر واللاهوت اليهودي في أورشليم وفنون الجدال والحجاج[27]. وكل ذلك يظهر بوضوح في رسائله وتعاليمه.

كل ذلك جعل شاؤول يحمل معه التراث اليهودي واليوناني معا، كما كان حبراً من أحبار اليهود، تربى في مدارسهم، وتشبع بمبادئهم وعقائدهم. فقد تأثر شاؤول أو بولس بمدرستين: الأولى هي المدرسة التي نشأ وترعرع فيها، في طرسوس، التي شاعت فيها الفلسفات والأفكار اليونانية، حيث تشبع بمختلف الفلسفات المنتشرة هناك، وكان في

---

[23]ـــ ينظر: نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، قاموس الكتاب المقدس، هيئة التحرير بطرس عبد الملك، وجون ألكسندر طمسن، وإبراهيم مطر، دون ط، دون تاريخ ومكان نشر، ص 136ـــ 137.

[24] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، دار الزمان، ط1، 1426 ه، ص365.

[25] ـ محمد أحمد ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، دار الاسراء، ط1، 1992، ص19.

[26] ـ محمد أحمد ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، دار الاسراء، ط1، 1992، ص19.

[27] ـ محمد أحمد ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، 1992، ص22-23.

طرسوس اتباع للفلسفة (الأرفية) وغيرها من العقائد الخفية، التي تعتقد أن الإله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره، فإن أمنوا به إيمان حق انجاهم من الجحيم، واشركهم معه في الحياة الخالدة المباركة. كما كان في طرسوس حينئذ معتقدات وأساطير يونانية تتحدث عن منقذ ينشل البشرية. أما المدرسة الثانيه فهي المدرسة اليهودية الفريسية، فبعد أن تلقى شاؤول علوم ومبادى ديانته اليهودية أرسله أبوه إلى القدس، فتعلم عند إغمالائيل على تحقيق الناموس الأبوي، وإغمالائيل هذا هو أحد تلاميذ الحبر اليهودي (هليل)، وهو أحد الذين كتبوا المشناة من التلمود[28].

ومما لا شك فيه أن بولس كان يتصف بصفات امتاز بها عن غيره، فقد كان نشيطاً دائم الحركة، كما كان واسع الخيال، وشديد الذكاء بارع الحيلة، يُدير الأمور كما يريد، وكان تشربه للفكر اليوناني الأثر الكبير في أفكاره، بالإضافة إلى تأثره بالفكر والعقائد اليهودية، وكان فوق كل هذا شديد التأثير في نفوس الجماهير، قوي السيطرة على أهوائهم. وقد جعله الحقد يذهب الى رئيس كهنة اليهود يطلب منه رسالة إلى اتباعه في دمشق حتى يأتي بأتباع المسيح من هناك مقيدين إلى القدس وبدون مقدمات. وبينما هو في طريقه إلى دمشق، يحدث الانقلاب المفاجئ في حياة شاؤول، يصفها لنا لوقا في رسالة أعمال الرسل فيقول: (وفي ذهابه حدث أنه اقترب من دمشق، فبغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلا له: شاؤول شاؤول لماذا تضطهدني؟ فقال من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده .... فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب :قم وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل. وأما الرجال المسافرين معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً، فنهض شاؤول عن الأرض، وكان هو مفتوح العينين لا يبصر أحداً، وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب)[29].

2 ـ تنصر بولس وتحوله إلى المسيحية:

وقد صرح بولس عن موقفه من النصرانية ومعتنقيها وكيف أنه تعقبهم للقبض عليهم وسجنهم، ثم يقول عن حدث تحوله الى اتباع المسيح: (فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق أنه نحو نصف النهار بغتة، أبرق حولي من السماء نور عظيم فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لي: شاؤول ... شاؤل، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من أنت ياسيد؟ قال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، والذين كانوا معي نظروا إلى النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني فقلت: ماذا أفعل يارب فقال لي الرب: قم واذهب إلى دمشق وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل) أعمال الرسل 11: 4.

وهكذا تحول شاول بولس فجأة من مضطهد لاتباع المسيح، على اعتبار أنهم مفسدون لمعنى الكتاب المقدس وتعاليمه، وأنهم يشكلون خطرا دينيا وسياسيا، ويستحقون الإبادة، بل شارك بقوة في تعذيبهم وقتلهم واضطهادهم، ثم تحول الى أحد اتباعه. واغلب الروايات تذهب

---

[28] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 240- 241).

[29] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 241- 242).

إلى أن ذلك حدث بعد أن رأى نورا عظيم أثناء ذهابه الى دمشق، فقد سمع صوتا يقول له بالعبرانية: "شاول شاول لماذا تضطهدني؟" فَفُسر له ذلك على أن القائل هو يسوع، وأنه قد اختاره رسولا للأمم. وقد فقد في هذه الحادثة بصره من شدة النور، فلم يبصر الا في دمشق على يد حنانيا، فأخذ بعد تعميده يبشر بأن المسيح عيسى هو ابن الله (تعالى الله عما يقولون) [30].

وبعد تحول بولس من الكفر بالمسيحية واضطهاد أتباعها إلى الإيمان بها، أصبح رسولا ملهما يوحى إليه بالروح القدس يكتب الرسائل وينشر المسيحية ويبشر بها، هذه القصة وردت في سفر أعمال الرسل، تخبر بهذا التحول الغريب من الكفر بدين المسيح إلى الرسولية، تجعل أمر بولس مريبا، فقد جاء على لسان بولس مخاطبا اليهود في رسالة أعمال الرسل 22/ 3 - 5: (وكنت غيورا لله كما أنتم جميعكم اليوم. واضطهدت هذا الطريق (النصرانية) حتى الموت، مقيدا ومسلما إلى السجون رجالا ونساء، كما يشهد لي أيضا رئيس الكهنة وجميع المشيخة، الذين إذا أخذت أيضا منهم رسائل للأخوة إلى دمشق، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا).

بعدها بدأ بولس يرتحل من بلدة إلى أخرى ولا يقيم بضعة أيام في أي منها إلا حينما يجد جاليات يهودية هامة وكانت روما مركزا لمستعمرة يهودية كان بولس يزورها ويتوقف فيها، فبولس يدعوا إلى النصرانية، وينام في التجمعات اليهودية. وعلى قمم الجبال كان الجدل على أشده لتفسير أمور لاهوتية زعم بولس أنه وجدها وعثر عليها، يقول "شارل جنيبر": "عثر عليهما في غالب الظن دون أن يبحث عنها وكانت نتاج طبيعي لتفاعلات في ذاكرته وفي عاداته الفكرية...". والملاحظ أن أمور هامة وأحداث كبرى في تاريخ المسيحية أسست على رؤى ومنامات [31]:

- فعندما دخل بولس إلى النصرانية ادعى أنه شاهد المسيح في الهواء أو في الخلاء ثم ادعى أن معه إنجيلا ليس بشريا.

- ونجد كذلك أن خروج النصارى من أورشليم كان نتيجة سماعهم صوتا إلهيا يُحذرهم من ثورة اليهود.

- ثم نجد قسطنطين هو الآخر، يرى صليبا في الهواء فيدعى أن الله اختاره ونصبه (بالذات)على شؤون الكنيسة (الخارجية).

---

[30] - محمد أحمد ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، ص 23، 34.

[31] - صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص357- 360.

3 ـ بولس داعية المسيحية الأول:

يعتبر بولس مؤسس الديانة المسيحية التي تنسب الى شخص يسوع المسيح، بعد أن جعل منه بولس إلها. ووضع بولس نفسه في أعلى مراتب هذا الدين، فهو القائل: "ألست أنا رسول؟ ألست أنا حر؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟ ألستم أنتم عمل يدي في الرب؟"، ثم يعطي لنفسه صفات ومهام غريبة! فيقول: "إني أنا أيضا عندي روح الله" ولأنه عنده روح الله يقول: "الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله". وفي المقابل يقول على المسيح عليه السلام: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار (لعنة) لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة..."، على هذا الأساس انطلقت مسيحية بولس إلى مختلف الأمم، فبولس أسس باسم يسوع دينا لا يعرفه يسوع لو كان حيا ولا الحواريون الإثنا عشر. توجه هذا الدين الذي لن يعرفه المسيح عليه السلام عندما يعود آخر الزمان، نحو الوثنية ليمتصها في مرحلة ثانية من المراحل التكتيكية وكان حصاد هذه المرحلة كما يقول "وول ديورانت ": "إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها بعد أن هضمت تقاليد العقل الوثني فكرة المسيح الإله. وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العلم الوثني القديم..." [32].

إن لبولس شأن كبير في النصرانية الراهنة فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب إلى أحد سواه فرسائله كانت هي الأرضية لتأسيس المسيحية، فهي من أوائل ما كتب، قبل أن تظهر الاناجيل وبقيت حاضرة وبقوة وهذه الرسائل هي[33] :

- رسالة بولس إلى أهل رومية - رسالة إلى أهل كولوسي - رسالة الأولى إلى أهل كورنتوس - رسالة الأولى إلى أهل تسالونكي - رسالة الثانية إلى أهل كورنتوس - رسالة الثانية إلى أهل تسالونكي - رسالة إلى أهل غلاطية - رسالة الأولى إلى تيموثاوس - رسالة إلى أهل أفسس - رسالة الثانية إلى تيموثاوس - رسالة إلى فليمون - رسالة إلى أهل فليبي - رسالة إلى تيطس - رسالة إلى العبرانيين

وقد اقتف المسيحيون خطاه وتناقلوا أخباره وأقواله ولم يدون رسائله ولم يلقاها في الجموع بل تناقلوها مشافهة وتأثروا بأعماله فاحتذوا حذوه وسلكوا مسلكه.

بولس المبشر:

لما أصدر حاكم دمشق الروماني بإيعاز من اليهود الذين ساءهم ما فعله بولس، وأمرا بالقبض عليه، حاول أصدقائه الجدد حمايته والتستر عليه. ثم بدأت رحلاته التبشيرية، فهو يقول أنه ظل ثلاثة أيام يدعوا إلى المسيح في قرى بلاد العرب ولما عاد إلى أورشليم عفا عنه بطرس، واتخذه صديقا له وعاش معه فترة من الزمان. وكان معظم الرسل يرتابون فيه، لكن

---

[32] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص354- 356.
[33] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، ص 360.

برنابا رحب به وقدم له كثير من المعونة واقنع كنيسة أورشليم أن تُحمل مضطهدها القديم بشرى مجيء المسيح، الذي سيقيم عما قريب ملكوت الله (كما كانوا يعتقدون حينها). وقد حاول اليهود الذين يتكلمون اللغة اليونانية والذي جاءهم بالإنجيل أن يقتلوه. ولعل الرسل خشوا أن تُعرضهم حماسته الشديدة للخطر فأرسلوه إلى طرسوس.

على الراجح أن بولس قام برحلته الأولى التبشيرية بعد أن مكث لفترة من الزمن في مدينته طرسوس ومن ثم انضم إلى برنابا وذهبا معا إلى أنطاكية حيث وعظا فيها سنة كاملة (ما بين 43 و44م)، ومن هناك انحدروا إلى منطقة اليهودية حاملين معهم مساعدات من كنيسة أنطاكية وبعد أن أكملا مهمتهما غادرا أورشليم يرافقهما مرقص، فعبروا البحر إلى قبرص وبعد ذلك إلى جنوب تركيا، كان بولس ورفاقه يتبعون أسلوبا معينا في الدعوة. فقد كانوا ينتقلون من مدينة إلى أخرى ينادون بالخلاص بواسطة يسوع المسيح في مجامع اليهود وفي الأسواق والساحات العامة حيث كونوا جماعات مسيحية جديدة وأقاموا لها رعاة وقساوسة.[34]

في سنة 50 م بدأت الرحلة التبشيرية الثانية، أراد برنابا اصطحاب مرقص معهما ولكن بولس لم يوافق على ذلك فوقع شجار فيما بينهما، افترقا على أثره ومضى بولس في طريقه مع سيلا أحد الوعاظ المسيحيين. كان هدف بولس الرئيسي من تلك الرحلة هو المرور على الجماعات المسيحية التي أقامها في جنوب الأناضول خلال رحلته الأولى لتفقد أحوالها وفي سترة التقى بتيموثاوس الذي انظم إليه هو الآخر ثم تابع طريقه باتجاه الشمال حتى وصل إلى الدردنيل ومن هناك عبر إلى اليونان. وفي تلك البلاد أسس بولس كنائس جديدة في فليبي وتسالونيكي وسيريه وأثينا وكورنتوس وخلال إقامته الطويلة قام بكتابة رسالته الأولى والثانية إلى أهل كورونثوس وتسالونيكي وأيضا أهم ما دعا إليه بولس، وكانت جرأة منه محاولته التوفيق بين المسيحية والفلسفة اليونانية[35]. ومع هذا فانه لم يتأثر بهذه المحاولة إلا عدد قليل، ومع ذلك فقد توالت رحلات بولس التبشيرية.

وقد تحمل بولس في سبيل دعوته الكثير من المشقات والتهديدات، خاصة أنه يدعوا غير اليهود، فمساعيه لاستمالتهم وتنازله عن الشريعة، سببت له الكثير من المتاعب. ومنها أنه وافق على تأخير طقوس التطهير للأمميين بناء على طلب اليهود فقد حصل له عكس ما توقع من وراء إجراءه لتلك الطقوس، فتعرض للطرد من قبل نفر من الغوغاء من اليهود، وجروه خارج الهيكل. وبينما هم يطلبون أن يقتلوه إذ أقبلت كتيبة رومانية وأنقذته من القتل وذلك بأن قبضت عليه، لكونه يحمل الجنسية الرومانية. ورغم كل هذه الاهانات التي تعرض لها إلا أنه بقي صامدا وكان يجد بعض السلوى فيما يبعث به من الرسائل، وكثيرا ما كانت تتلى على الناس جهرة ولم تلبث أن أصبحت تلك الرسائل من أخص الخصائص في اللاهوت المسيحي، ولقد

---

[34] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 381- 384.
[35] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 383، 385.

أنشأ بولس لاهوت لا تجد له أسانيد في أقوال المسيح. وكانت العوامل التي أوحت إليه بالأسس التي أقام عليها ذلك اللاهوت هي انقباض نفسه وندمه، والصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، ولعله قد تأثر بالأفلاطونية والرواقية وفكرة يرث خطيئة ادم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته.

4 ـ بولس وتلاميذ المسيح:

يروي كاتب أعمال الرسل أن بولس بعد أن رأى النور وهو في طريقه الى دمشق، أصبح مفتوح العينين لا يبصر أحدا، فاقتادوه الى دمشق، وبقي ثلاثة ايام وهو على هذه الحال حتى جاء ه أحد تلاميذ، المسيح كما جاء في رواية أعمال الرسل5/17-19: (فمضى حنانيا ودخل البيت ووضع عليه يديه وقال: أيها الأخ شاؤول قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس، فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد). وبدل أن يذهب بولس إلى القدس ليتتلمذ على يد تلاميذ المسيح ويعرف منهم تعاليم المسيح، صار يدعو في دمشق بين المسيحيين أن المسيح هو ابن الله، جاء في سفر أعمال الرسل20/9: (وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح إن هذا هو ابن الله). وهذا الادعاء جعل اتباع المسيح يقفون مبهوتين محتارين امام هذه المزاعم كما جاء في أعمال الرسل، ويبدو أن ادعاء بولس أثار حفيظة اليهود في دمشق، مما جعله يتجنبهم ويغادر دمشق الى بلاد العرب، بدل أن يغادرها الى القدس حيث يوجد تلاميذ المسيح. وبقي في بلاد العرب ثلاث سنين. ذهب بعدها الى القدس ليجتمع مع التلاميذ حسب رواية اعمال الرسل، ولكنهم رفضوه ولم يقبلوه بينهم، مما جعل برنابا تلميذ المسيح يتدخل ليُقنع التلاميذ بصدق ايمان بولس، ولكن رواية بولس في رسالته إلى أهل غلاطية تنفي رؤية بولس للتلاميذ، فهو لم ير الا بطرس ويعقوب فقط، وهو لم يأت بطرس ليتعلم منه، ولا ليعرف منه دين المسيح الذي بشر به، بل جاء ليتعرف إليه فقط. ولذلك يعلن في نفس الرسالة أن الانجيل الذي جاء به لم يكن من عند أحد، وانما اعلمه به يسوع المسيح، ويترك بولس القدس ليتجه الى بلاد اليونان مبشراً بالدين الجديد[36].

5 ـ نفور التلاميذ من بولس:

لما جاء شاؤل "بولس" إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ فأخذه برنابا واحضره إلى الرسل. وبرنابا كان رجالا صالحا وهو الذي كان في مواقف كثيرة يرسله التلاميذ مندوبا عنهم وهو الذي صاحب بولس في كثير من رحلاته التبشيرية فما لبث أن تشاجر معه بولس ثم افترقا بعد أن تبين إن لكل منهما أرائه الخاصة في التعاليم المسيحية والدعوة إليها. ولما افترقا اخذ برنابا مرقص وسافر إلى قبرص، أما بولس فذهب إلى سورية وكيليكية يشيد الكنائس. فنصوص العهد الجديد تشير إلى شك التلاميذ وتوجسهم وريبتهم في بولس، حتى برنابا سرعان ما تشاجر معه رغم أنه هو من قدمه إلى التلاميذ. ومع ذلك فإنه أصبح لرسائل بولس أهمية خاصة لدى الكنيسة وهي اليوم أقدم الأسفار

---

[36] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 244)

المسيحية التي قبلتها الكنائس الأولى وأفضل نصوص الموعظة وقد أصبح ذلك الداعية "بولس" الذي لم يكن قط من تلاميذ المسيح أشهر الرسل وأهمهم[37].

لقد دعا بولس الوثنيين إلى الإيمان باسم المسيح، ولكنه لقنهم مبادى وتعاليم تخالف روح اليهودية التي ينتسب اليها المسيح وجاء ليكملها، وهذا هو الذي جعل تلاميذ المسيح واتباعه يخشون بولس وأفكاره، ويعتبرونه خارجا عن دين موسى كما جاء في أعمال الرسل: وقد أخبروا عنك أنك تُعلم جميع اليهود الذين بين الأمم، الارتداد عن موسى، قائلا: أن لا يختنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد وهكذا انفصل اتباع بولس عن تلاميذ المسيح وانفصلوا عن مجامعهم، وشكلوا لأنفسهم جماعة دعت نفسها بـ:(المسيحيين)، ولم يكن هذا الاسم موجودا او معروفا زمن المسيح . فتفرق تلاميذ المسيح بين الأمم والشعوب التي دانت بالمسيحية ليبينوا لهم أن تعاليم المسيح تختلف جوهريا عن تعاليم بولس، واستطاع هؤلاء التلاميذ المخلصين أن يقنعوا كثيرا من تلك الجماهير بصدق ما يقولون، فانقلبوا على بولس وتعاليمه التي كان يبشر بها، مما جعل بولس يستشيط غضبا، ويواجه تلك الجماهير بأفضع الاتهامات، ويصف أهل غلاطية بالأغبياء (غلاطية3/1-3).

وأصبح تلاميذ المسيح أعدى أعداء بولس، خاصة عندما بدأوا يفندون عقائده المنحرفة جوهريا عن عقائد المسيح، خاصة زعمه أن المسيح هو ابن الله ووحيده، نزل إلى الأرض بشكل الإنسان ليصلب فداء الخطيئة البشرية. فقد كان تلاميذ المسيح ينفون ألوهية المسيح، كما كانوا ينفون صلبه، وهذا ما
اكده بولس في رسالته إلى فليبي3/17-20. لذلك فإنه ليس من الغريب أن أتباع المسيح المخلصين كانوا يعتبرون بولس خائنا، ويصفه أخرون بالعدو[38].

فالدين الصحيح الذي جاء به المسيح كان حتى عام 70م، يمثل دين الغالبية من أتباعه وتلاميذه. وكان بولس في تلك الفترة منعزلا هو وتعاليمه، فقد كان الساحل السوري حينها من غزة إلى انطاكيا مسيحيا حسب تعاليم التلاميذ، وكذلك في أسيا الصغرى وأفريقيا[39].

6 ـ دور بولس في وضع عقائد النصارى :

إن مسيحية بولس تقوم أساسا على فكرة الإله المخلص المقتول، ولقد كانت الديانات التي شاعت في العالم الروماني في ذلك الوقت مثل ديانات إيزيس وميثرا وسيبل تقوم على نفس هذه الفكرة. ولهذا يقول مؤرخو الديانات إن التشابه ملحوظ بين المسيحية وتلك الديانات .

يقول: هربرت فيشر في كتابه " تاريخ أوروبا " : " استدار العالم الروماني بشغف زائد إلى عبادات الشرق الملتهبة مثل عبادات إيزيس وسيرابيس وميثرا . . إن عُباد إيزيس المصرية وسيبل الفرنجية وميثرا الفارسي اشتركوا في معتقدات كثيرة وجدت في النظام المسيحي. لقد اعتقدوا في اتحاد سري مقدس مع الكائن الإلهي إما عن طريق اقتران خلال

---

[37] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 370.

[38] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 246 ،247)

[39] ـ (موريس بوكاي، القرآن والتوراة والانجيل، 71 ،72) .

الشعائر أو بطريقة أبسط عن طريق أكل لحم الإله في احتفال طقسي . . لقد كان الإله الذي يموت بين العويل والمراثي بيد أنه يقوم ثانية وسط صيحات الترحيب والسرور، من الملامح الرئيسية في هذه العبادات الشرقية الغامضة. . إن عبادة إيزيس قد نظمت بطريقة تماثل تماما ما في الكنيسة الكاثوليكية " . وجاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة 1968 م بعنوان "المسيحية عقيدة وعمل " في صفحة 50 ما يلي: "كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحديثي الإيمان أن يحتفظوا بما كانوا عليه من أحوال قبل إيمانهم بيسوع "[40]

ويقول ول ديورانت: "لقد انشأ بولس لاهوتا لا نجد له الا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح"[41]. والشيء الذي لا جدال فيه أن بولس عندما أنشأ هذا اللاهوت الجديد إنما كان يدل على عبقرية وذكاء مع الخبث والدهاء، فقد انطوت أفكاره الدينية على أراء ومدركات ليس كلها من وحي عبقريته، بل تجمعت لديه من مصادر مختلفة، وكان له الفضل في التعبير عنها ونقلها. فالدراسة المفصلة لرسائل بولس، تكشف النقاب عن مزيج من الأفكار اليهودية، ومن المفاهيم المنتشرة في الأوساط الوثنية اليونانية، ومن الأساطير الدينية الشرقية[42].

فبولس أراد دعوت الرومان واليونان والشعوب الأخرى من غير اليهود، فرأى أنهم لن يقبلوا بما يتنافى ووثنيتهم ومعتقداتهم في تعدد الآلهة، لذلك راح يوفق بين معتقداتهم مع المعتقدات اليهودية. فاستبدل بولس أشخاص الآلهة الوثنية بالأب والإبن والروح القدس، وجعلها الها واحدا، وبذلك وفق بين المسيحية الناشئة التي تدين بالتوحيد، مع الوثنية ذات الآلهة المتعددة والأسرار والتعاليم الغامضة. ولذلك قال ان عيسى كان إلهاً، فاستطاع ان يتقرب الى الجماهير غير اليهودية في عبارات مألوفة لديها جيدا، وكان نجاحه لذلك مؤكدا، وشخصيته الجذابة مضافين الى استعداده التام ليضع حلا توفيقيا بين الرسالة الحقيقية لعيسى، وبين العقائد الوثنية، قد قادته لأن يخلع صفة (البنوة الإلهية) على عيسى[43].

1/ بولس وعقيدة الصلب والفداء:

يتفق علماء اللاهوت المسيحي على أن عقيدة الصلب والفداء قُبيل بولس كانت غير شائعة ولا مقبولة، بين تلاميذ المسيح عليه السلام، ولكن بولس تبنى فكرة سفك دم المسيح كفارة عن خطايا البشر وروج لها في رسائله، التي لم تكتب إلا بعد رفع المسيح بأكثر من 15 سنة. ويبني بولس نظريته هذه على أساس عقيم[44]. فعقيدة صلب المسيح كفارة عن الخطايا، هي عقيدة بولس التي جال بها المدن والبلاد الرومانية، حتى أنه لم ير في رسالة المسيح ودعوته، شيئا غير هذا[45].

---

[40] ـ مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ص 140- 141.
[41] ـ (ول ديورانت، قصة الحضارة، ج263/11)
[42] ـ (شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، 70)
[43] ـ بربارا براون، نظرة عن قرب في المسيحية، 30-31)
[44] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 372.
[45] ـ أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، 274.

وقد روج بولس كثيرا لهذه العقيدة في رسائله، فالمسيحية عند بولس تقوم على عقيدة الصلب وسفك الدم، يقول بولس في رسالته إلى كورونثوس الاولى2/2:(لأني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح وإياه مصلوبا). وقد تأثر في ذلك بالأفكار والأساطير الأفلاطونية والوثنيات الأخرى التي تقول: "أن كل ابن أنثى يرث خطيئة أدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي الا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته". فالإيمان بأن الآلهة ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان، عقيدة كان يؤمن بها جمهور عريض من بلاد مصر وأسيا الصغرى وبلاد اليونان[46]. وأضاف بولس إلى تلك الأساطير بعض الآراء الغامضة، التي كانت قد ذاعت بين الناس، من ذلك قول بولس: أن المسيح هو(حكمة الله، وابن الله الأول، وبكر كل خليقة، وأنه فيه خُلق الكل، والكل به وله قد خلق)[47].

والقارئ لنصوص الأناجيل في موضوع صلب المسيح، يجد أن إنجيلي مرقص ولوقا لم يشيرا الى أن صلب المسيح كان لغفران الخطايا، بل كان من أجل الخلاص من الكفر والعصيان، يقول مرقص في إنجيله (23/14) عن قصة العشاء الأخير: (وأخذ الكأس وشكر وناولهم، فشربوا منها كلهم، وقال لهم: هذا هو دمي، دم العهد الجديد الذي يُسفك من أجل الكثيرين). وهذا ما يؤكده لوقا أيضا في انجيله 22/ 19-20: (أخذ خبزا وشكر وكسره وناولهم وقال: هذا هو جسدي الذي يُبذل من أجلكم ... وهذا الكأس هو العهد الجديد بدمي الذي يسفك من أجلكم). فعيسى عليه السلام دعا الخطأة إلى التوبة وضرورة اقتران القول بالعمل للمغفرة، بينما أعلن بولس أن التبرير والغفران وقعا بموت المسيح وقيامته، فلا قيمة للعمل، لأن المغفرة تحصل بالإيمان بأن موت المسيح كان موتا كفاريا، وأن الله نفسه تدخل لفداء البشر في حياة يسوع كلها، فصالح العالم بنفسه عن طريق موت ابنه.[48]

وفي القرن الثاني ميلادي ظهر تلميذ بولس، مرقيون وكان يعتقد بأن اله اليهود الذي أعطى الناموس لموسى، وخلق العالم كان في الحقيقة إلها شريرا. وكان يعتقد أن إله المحبة قد ظهر في المسيح. وقد وضع مرقيون اله المحبة في معارضة خالق العالم اله موسى الذي كانوا يقولون به، واعتقد مرقيون أن تلاميذ المسيح الاثني عشر لم يفهموه ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيل يخالف إنجيل بولس (أي بشارته ودعوته وما ورد في رسائله)، وقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح، من أجل ذلك فان المسيح ألهم بولس بوحي خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير[49].

2 ـ نظرية تكفير الخطايا عند بولس:

لقد أنشأ بولس لاهوتا لا نجد له إلا أسانيد غامضة أشد الغموض في أقوال المسيح، وكانت العوامل التي أوحت إليه بالأُسس التي قام عليها ذلك اللاهوت هي تغير حالته وانقباض نفسه، وندمه على اضطهاد للمسحيين الأولين. وكذلك الصورة التي استحال إليها المسيح في

---

[46] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 249، 250)

[47] ـ (ول ديورانت، قصة الحضارة، ج264/11)

[48] ـ (اليهودي شاؤول بولس الطرسوي، محمد ملكاوي، 221، 222)

[49] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 373.

خياله، عند المحاكمة وعند الصلب، ولعله قد تأثرت بالفلسفة الأفلاطونية الرواقية أو تأثر بالعقيدة اليهودية المستقاة من شريعة موسى في التضحية الفدائية. وأُسس فكرة الكفارة عند بولس هي[50]:

1 / أن كل ابن أنثى يرث خطيئة أدم، وأنه لا شيء ينجيه من ذلك الا موت ابن الله تكفيرا عن الخطيئة.

2/ فكرة التكفير بالأضاحي وبما فيها التضحية بالبشر كانت معروفة، ومنها أن يوم الكفارة عند اليهود كان الكاهن يضع يديه على جدي حي، ويعترف فوق رأسه بجميع ما ارتكبه بنو إسرائيل من مظالم. وهذه الفكرة كانت أكثر قبولا لدى الوثنيين منها لدى اليهود.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد اعتقدت بعض الشعوب قبل مجيء المسيح عليه السلام، أن لها إله مخلص، عرف منها 16 إلها اعتبر ملكا مخلصا، منهم: أوزوريس- ثاموس – أندرا- بالي - أياو- أتيس- كرشنا – بعل...[51].

3 ـ بولس والتثليث:

لم يصرح بولس بكلمة التثليث، إلا أنه تحدث عن الله بصفته الأب لهذا الكون.
وعندما تحدث عن المسيح زعم أنه ابن الله نزل الى الأرض في شكل الانسان، ليُقدم نفسه قربانا ويُصلب بدلا عن خطيئة البشر. أما الروح القدس فهو الذي تظهر معجزاته، ويتم من خلاله تعليم الناس كيفية الخلاص بيسوع المسيح[52].
أما في الأناجيل الأربعة نجد الكثير من النصوص الدالة على بشرية عيسى عليه السلام ونبوته، وهذا يؤكد أن الذي جاء به بولس كان مخالفا للأناجيل في عقيدة أساسية من العقائد التي بشر بها المسيح عليه السلام. ففي قصة شفاء عيسى عليه السلام للكسيح، نجد أن الناس قالوا عند مشاهدتهم ذلك أنهم: (خافوا ومجدوا الله الذي أعطى البشر مثل هذا السلطان: متى8/9). وهذا ما أكده كذلك عيسى عليه السلام عندما قال: (ما أرسلني الله الا الى الخراف الضالة من بني اسرائيل: متى24/15). وفي قصة إطعام خمسة ألاف رجل، نجد الناس يهتفون: بأن هذا هو النبي الآتي إلى العالم (يوحنا14/5). ولو كان عيسى الها أو ابنا لله، لما طلب مشيئة الله، فقد جاء في يوحنا30/5: (لأني لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني) لو كان الها لما صلى وأجهد نفسه في ذلك، وكان عرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض، حسبما ورد في إنجيل لوقا(22/39-45).

بولس والشريعة:

---

[50] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 375- 377.
[51] ـ صابر طعيمة، قراءة في الكتاب المقدس تأملات في كتب الأناجيل، مرجع سابق، ص 378.
[52] ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 252)

بولس يرى أن المطلوب هو الإيمان القلبي، وليس العمل والالتزام، فالأعمال والطاعات لا قيمة لها لأنها لا علاقة لها بالإيمان. ويعلم بولس أتباعه أن الايمان بيسوع المسيح يُخولهم عمل ما يشاؤون مادامت المغفرة عن الخطيئة قد ضُمنت، فقد ورد في رسالته للعبرانيين10/16-17: هذا هو العهد الذي اعهده معهم بعد تلك الأيام، يقول الرب: إجعل نواميسي في قلوبهم واكتبها في أذهانهم، ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد، وإنما حيث تكون مغفرة لهذا لا يكون بعد قربان عن الخطيئة). وأول عمل أَبطله بولس من الناموس (شريعة موسى عليه السلام)، كان الإختتان، وهو الذي فتح باب الخلاف بينه وبين تلاميذ المسيح.

فالرسالة التي جاء بها بولس(انجيله كما يسميه) لم يكن من عند أحد، وانما اعلمه به يسوع المسيح، لذلك ترك بولس القدس واتجه الى بلاد اليونان مبشرا بالدين الجديد. ومن الواضح أن الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح كان في البداية غير ظاهر أمام الناس، ولم يظهر الا بعد أن واجهت بولس مشكلة مهمة، وهي فرض الختان على المؤمنين الجدد، ولهذا جاء الى القدس من أجل أخذ مشورة الرسل (حواري عيسى عليه السلام)، وهنا احتدم الخلاف بين بولس وتلاميذ المسيح. وهذا الخلاف كان لابد من حدوثه، لأن بولس كما يصرح في رسائله كان يبشر بإنجيله الذي استوحاه من تصوره وذاته، في مناطق لم يصلها تبشير تلاميذ المسيح، وذلك حتى لا يعارضه أحد، فهو يبشر بإنجيل جديد لا علاقة له بالأسس التي جاء بها المسيح وكانت عند التلاميذ، يقول بولس في رسالته إلى رومية15/20: (ولكن كنت حريصا أن ابشر هكذا، ليس حيث سمي المسيح، لئلا ابني على أساس آخر).

والإنجيل الذي كان يبشر به بولس يقوم على ان الإيمان لا يكون بالالتزام بالأعمال المفروضة في العهد القديم، وانما فقط بالإيمان بيسوع المسيح، فهو يغني عن العمل، وبسبب ذلك تفجر الصراع، لأن الاتفاق في القدس حسب كاتب أعمال الرسل، كان على الالتزام بالطاعات والمحرمات الموجودة في العهد القديم، لكن بولس نقض الاتفاق، واصبح ينادي ويعلن: أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بالإيمان بيسوع المسيح. لذا هاجم بولس بطرس بشدة، واتهمه هو والتلاميذ بالرياء والنفاق، بل بالخوف والجبن، حتى أن برنابا الذي زكاه عند التلاميذ، لم يوافقه في رأيه وانقلب عليه، ولهذا يهاجمه بولس ويتهمه كذلك بالرياء، وهو ما ورد في رسالة بولس إلى غلاطية2: 11-14. فبولس إذن قد نسف قوانين الشريعة اليهودية، وحرر اتباعه منها، مستغنيا عن أعمال الشريعة التي طالب المسيح تلاميذه بالتقيد بها، ودعا إلى أن الايمان القلبي فقط يكفي[53]. وقد تمثل دور بولس في المسيحية كالاتي[54]:

ا - جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم ولو أدى ذلك الى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالختان والسبت وتحريم الخنزير، فأبطل الختان ونقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين واباح أكل لحم الخنزير.

ب - إخراج المسيحية من البساطة الى تعقيدات الفكر اليوناني.

---

[53] - الخطيب، مقارنة الأديان، ص245-246.

[54] - (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، ص 255)

ب ـ فكرة الخطيئة الموروثة : وهي أن كل انسان مذنب منذ ولادته، لأنه يعد وارثا لخطيئة أدم، وقد أرسل الله ابنه الوحيد الى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداء لهم.
د ـأدخل بولس عقيدة الكلمة (اللوجس) التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الإسكندرية، كما أدخل عقيدة التجسيد.
هـ ـ أدخل فكرة الرهبانية إلى المسيحية، عندما فضل غير المتزوج على المتزوج، لأن الأول يهتم بالرب وفيما يرضي الرب ، أما المتزوج فلا يهتم الا بما في العالم، وكيف يرضي امرأته.

المحاضرة الرابعة: المصادر العقدية والتشريعية في المسيحية

لكل دين سماوي أو وضعي مصادر يتبعها في التشريع والمعرفة، والدين المسيحي له مصادره التي يستند إليها في كل تشريعاته الكنسية والتي يعلمها الآباء والكهنة لإتباع الكنيسة من الرعايا المسيحيين، وأول مصدر يتبعه المسيحيون في تشريعاتهم هو ما يسمونه الكتاب المقدس، ويحتوي 73سفرا بين العهدين القديم والجديد، وكل سفر هو كتاب منفصل يحوي مضامين معينة لكن يجمعها كلها الكتاب المقدس. أما المصدر الثاني فهي المجامع الكنسية وقراراتها التي تُعد مقدسة برعاية الروح القدس، ثم المصدر الثالث وهو تعاليم الكنيسة والتقليد الكنسي، ويصدرها البابا الذي يُعتبر قائد الجماعة المسيحية، ومعه مجلس الأساقفة والهيئات الكنسية.

المصدر الأول: الكُتب المقدسة:

أرسل الله الرُسول وأنزل معهم كُتابا أو صُحف فيها الشرائع والأحكام الدينية منها والدنيوية، ومن ذلك أن المسيح عيسى υ انزل الله عليه كتابا؛ وهو الإنجيل إلى بني إسرائيل قال تعالى: **[وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ] [المائدة:46]**، وأمرهم سبحانه وتعالى بحفظه وعدم الزيغ عنه، إلا أن الأيادي لحقته بالتحريف واستبدلته بما خطت أيديهم، وأصبحت قرارات المجامع مصدرا للعقائد، كما يعتمد المسيحيون الكتاب المقدس بعهديه: العهد القديم والعهد الجديد، مصدرا للتشريع عندهم.

والكتاب المقدس عند المسيحيين اليوم هو جمله الأسفار المكونة للعهد القديم والعهد الجديد. وفكرة "العهد" هي أحد القضايا اليهودية، فهم يعتقدون أن الله عهد إليهم بالتوراة والشريعة وأنهم شعبه المختار. ثم ذهب بولس إلى أن ذلك العهد تم استبداله بعهد جديد مع المسيح، فأصبح الخلاص والدخول في ملكوت الله مرتبط بالعهد الجديد والايمان بالمعتقدات المسيحية.

وقيل أن سبب التسمية يعود إلى أنّ العهد القديم كان عهدًا بين الله ومن خاطبهم بالوحي أن يعملوا الصالحات ويلتزموا به لنيل الخلاص يوم القيامة، ولكن تبيّن للإله (!) أنّ البشر على فساد عظيم أصيل منعهم أصل الالتزام بالعمل الصالح؛ ولذلك أبرم الربّ عهدًا

جديدًا مع الناس يقوم على أنّ طريق الخلاص مقصور على الإيمان أنّ الإله الأب قد أنزل الإله الابن من السماء إلى الأرض ليموت على الصليب فداء لخطايا الناس؛ إذ لا تُطهّر من خطيئة دون دم، ولا يوجد دم طاهر بلا خطيئة غير دم الابن (!). [55]

وتؤمن الكنائس المسيحية بقداسة مجموعة من الكتب صغيرة الحجم مطبوعة بين دفتي كتاب واحد يُسمى: الكتاب المقدس . وهو يأتي في طبعة "ترجمة الرهبانية اليسوعية " -مثلاً - في حدود 2800 صفحة . ويتألّف الكتاب المقدس من جزئين: أوّلهما العهد القديم، الذي يضم قرابة 419 ألف كلمة عبرية (وآرامية). وثانيهما العهد الجديد، الذي يضم قرابة 138ألف كلمة يونانية. [56]

ويقسّم كلّ واحد من الجزئين إلى أسفار، كل سفر في الكتاب المقدس يقسم إلى مجموعة فصول، ويُسمّى كلّ فصل عند النصارى العرب: فصلاً أو إصحاحًا. والفصول متفاوتة الحجم، وهي في الأغلب في حدود صفحتين أو ثلاث بالخط الصغير. وقد تمّ تقسيم أسفار الكتاب المقدس إلى فصول سنة 1238 م على يد الكاردينال **هوج دو سان شير**، وقُسّمت الفصول إلى أعداد سنة 1551 م على يد **روبرت ستيفانوس** . فسهل ذلك الوصول إلى المقاطع المطلوبة في الكتاب المقدس عند الإحالة أو الاقتباس. فنقول مثلاً : سفر التكوين 20/1؛ فذاك يعني أنّ الإحالة هي إلى العدد العشرين من الفصل الأوّل من سفر التكوين.[57]

"ويقول الاب توماس ميشال اليسوعي عن طبيعة محتوى الكتاب المقدس: "يعتقد المسيحيون أن أسفار الكتاب المقدس كتبها الله بواسطة مؤلفين من البشر، وعليه فإنهم يقولون بأن للأسفار المقدسة مؤلفا إلهيا ومؤلفا بشريا. . . والمسيحيون على وجه الإجمال، لا يقولون بأن الله أملى الكتب المقدسة على المؤلف البشري، بل أنه أتاح للمؤلف أن يُعبر عن الرسالة الإلهية بطُرقه الخاصة، وفنونه الأدبية الخاصة وأسلوبه الشخصي... وهم يرون أنه لم يتمَّ وحي الله الأكمل في كتاب، بل في إنسان"[58]. ففي المسيحية يعتقدون أن المسيح عليه السلام هو الرسالة والرسول، والأناجيل وأسفار العهد الجديد هي ما استطاع أن يعرفه كل كاتب من المسيح عليه السلام، وبهذا يبرر علماء المسيحية اختلاف الأناجيل والرسائل في بعض مضامينها.[59]

أولاً- العهد القديم:

العهد القديم مصطلح يستخدمه النصارى للإشارة إلى كتب اليهود المقدسة. وترجع هذه التسمية إلى بولس، الذي سمى التوراة بالعهد القديم في قوله: (عند قراءة العهد العتيق) (2 - كورنثوس 14/3)

والعهد القديم هو القسم الذي يؤمن بقداسته اليهود والنصارى معًا، وهو يتكوّن من 39سفرًا. والسِّفر - بكسر السين - كلمة تعني في العربية والعبرية والآرامية وعامة اللغات الساميّة "كتاب" . ويؤمن الكاثوليك بسبع كتب زائدة على القائمة التي يؤمن بها اليهود

---

[55] - سامي العامي، حقائق العلم بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والانجيل، رواسخ، الكويت، ط4، 2021م، ص 83.

[56] - سامي العامري، العلم وحقائقه في القرآن والتوراة والانجيل، ص 81.

[57] - سامي العامري، العلم وحقائقه في القرآن والتوراة والانجيل، ص 84.

[58] - توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، تر: كميل حشيمى اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1992، ص 18، 39.

[59] - ترجمان الأديان، ص 356.

والبروتستانت، وتُسمّى بالكتب الأبوكريفا. تسمية «العهد القديم» تسمية نصرانيّة لأنّها تُقابل مُسمّى العهد الجديد الذي سنذكره لاحقًا. والاسم اليهودي لأسفار العهد القديم هو: «التناخ « »תַּנַ"ךְ» .[60]

ومن العهد القديم يعرف المسيحيون أخبار العالم في عصوره الأولى، وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخ نشأتهم، والنبوات السابقة منذ هبوط الإنسان على هذه الأرض، والبشارات بالنبيين اللاحقين، وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية يتلونها عند أداء العبادات، والقيام بالطقوس الدينية كمزامير داود[61]. ويقسم الباحثون العهد القديم إلى أربع مجموعات، تضم 39 سفرا وهي:

- **المجموعة الأولى (التوراة):**

وتسمى أيضا أسفار موسى، أو كتب موسى الخمس، وكتب الشريعة وهي[62]:

1- سفر التكوين: ويُسمى سفر الخليقة وسمي بالتكوين: لأنه يعرض تاريخ الخلق والإنسان الأول وقصص الآباء الأولين، ويحتوي على خمسين إصحاحاً. وهو يتناول القضايا التالية: بداية الخليقة، قصة ادم وحواء، قصة ذرية ادم حتى نوح، قصة نوح، قصة إبراهيم، قصة يعقوب ويوسف والأسباط. والموضوعات الرئيسية لسفر التكوين يُجملها التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في سبعة قضايا وهي[63]:

1ـ البدايات: فهذا السفر يوضح بداية وقائع هامة كثيرة: (الكون، الأرض، الانسان، الخطيئة، وخطة الله للخلاص).

ـ العصيان: فالعصيان يحدث إذا لم يتبع الناس خطة الله للحياة عند الاختبارات 2العظيمة.

3ـ الخطيئة: وتكون بمعصية الله وهي تدمر حياة الناس.

4ـ الوعد: الوعد يعطيه الله للبشر لمساعدتهم وحمايتهم، ويسمى في هذه الحالة عهداً.

5ـ الطاعة: وهي نقيض الخطيئة، وبها تُسترد العلاقة مع الله.

6ـ النجاح: النجاح أعمق من مجرد الثروة المادية، فطاعة الله هي النجاح الحقيقي.

7ـ بني إسرائيل: فالله بدأ ببني إسرائيل ليكونوا له شعباً مكرساً (يحفظ طرقه حية في العالم، يُعلن للعالم من هو الله ويُعد العالم لمولد المسيح...).

2 ـ سفر الخروج: وسُمي بالخرو: لأن بني إسرائيل خرجوا وتحرروا من رق العبودية في مصر، فخلصهم الله من هذا الرق على يد موسى، ويتكون من أربعين إصحاحاً. وأهم الأحداث التي يتناولها هذا السفر هي: كيف عاش بنو إسرائيل في مصر وتوالدوا وكثرت ذريتهم، وإذلال

---

[60] ـ سامي العامري، العلم وحقائقه في القرآن والتوراة والانجيل، ص 81.

[61] ـ محمد أبو زهرة، محاضرات في الصرانية، شركة الشهاب، الجزائر، 1989م، ص 40)

[62] ـــ أحمد شلبي، مقارنة أديان "اليهودية"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1988م، ص233 ـــ 234.

[63] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، القاهرة، ص4.

فرعون لبني إسرائيل، ثم ولادة موسى عليه السلام وإلقاءه في البحر... وغيرها. الموضوعات الرئيسية لسفر الخروج يُحددها التفسير التطبيقي للكتاب المقدس في خمسة نقاط[64]:

1- العبودية: فقد استعبد ملوك مصر الفراعنة، بني إسرائيل بقسوة لمدة 400سنة.

2- النجاة/الفداء: حيث أنقذ الله بني إسرائيل بقيادة موسى (عليه السلام)، وبواسطة معجزات عظيمة. ويُحتفل بالفصح كتذكار سنوي للنجاة من العبودية.

3- القيادة: فبشجاعة موسى وضربات العصى، ومعجزة البحر الأحمر والوصايا العشر، يُحرر الله الشعب الإسرائيلي من العبودية.

4- الوصايا العشر: فهي القسم الأول من الشريعة، وفيها المبادئ المطلقة للحياة الروحية والأدبية. وتجدر الإشارة إلى أن القسم الثاني من الشريعة هو القانون المدني، الذي قَدم للناس قواعد السلوك في الحياة. أما القسم الثالث ففيه الناموس الطُقوسي، الذي بين إقامة الخيمة (وهي مكان العبادة) والعبادة المنظمة.

5- الأمة: فالله أقام الشعب القديم وجعله أمة، وأعدها ليأتي المسيح من نسلها، فيكون مصدراً للحق والخلاص لكل العالم.

3- سفر اللَّاويين: نسبة إلى الأحبار القائمين على الأمور الدينية، وهم من نسل "لاوي" أحد أبناء يعقوب ويتكون من 27 إصحاحاً، أهم ما يتناوله هذا السفر هو: التشريعات والوصايا والأحكام مثل: الكفارات، القرابين، الأعياد، النذور، الطهارة، المعاملات. أما التفسير التطبيقي للكتاب المقدس فيحدد فيه خمسة مواضيع رئيسية الأتية[65]:

1- الذبيحة: وهي على خمسة أنواع تؤدى لغرضين إما الشكر والحمد والتعبد، وإما كفارة وإزالة للذنب والخطيئة.

2- العبادة: ففي الأعياد السبعة (مواسم دينية وقومية)، يكون تعليم العبادة لله سواء في الاحتفالات أو في الخلوات.

3- الصحة: فهناك قواعد لتناول الطعام والمرض والجنس، ومبادئ مختصة بالجسد وأخرى بالروح، ليتميز بها بنو إسرائيل عن سائر الأمم، وبذلك يحميهم الله من الأمراض والمشكلات الوراثية.

4- القداسة: فبعد أن أخرج الله بني إسرائيل من مصر، أخرج منهم أساليب مصر الوثنية. حتى تكون الدوافع والممارسات مكرسة لله. وبهذا تكون القداسة.

5- اللاويون: فاللاويون وهم الكهنة يُعلمون الشعب العبادة وينفذون القوانين الأدبية، المدنية والطقسية ويشرفون على خير الأمة وصحتها وتوفير العدالة لها، فكانوا خُدَّام زمانهم.

4- سفر العدد: سمي بالعدد لأنه في معظمه يهتم بإحصاء قبائل بني إسرائيل وجيوشهم وترتيب بيوتهم، وإحصاء الذكور ويتكون من 36 إصحاحاً، وأهم القضايا التي يتناولها هي:

---

[64] - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص128.

[65] - التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص 216.

إحصاء دقيق لقبائل وأسباط بني إسرائيل وترتيب منازلهم حسب أسباطهم، تاريخ بني إسرائيل في التيه في صحراء سيناء، كما يحتوي على كثير من التعاليم والطقوس والتنظيمات الكهنوتية. أما التفسير التطبيقي للكتاب المقدس فيُسجل في سفر الاعداد أربع مواضيع رئيسية [66]:

1ـ التعداد: فقد أحصى موسى بني إسرائيل مرتين: في الأول نظم الشعب في وحدات للسير، تسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم بطريقة أفضل. وفي الإحصاء الثاني أعدَّهم للاستيلاء على الأرض الواقعة شرقي نهر الأردن.

2ـ التمرد: فقد رفض الشعب الدخول إلى تلك الأرض خوفا من الأعداء في أرض كنعان، فتمرد بنو إسرائيل عن أمر الله.

3ـ التجوال: فقد بقي بنو إسرائيل جائلين في البرية 40 سنة، عقابا من الله على تذمرهم وخطيئتهم. وقد مات حينها كل من تمسك منهم بالوثنية المصرية وقيمها، وفيها تدرب جيل جديد في طرق الله.

4ـ كنعان: وهي أرض الوعد (وعد الله بها إبراهيم وبنيه) وهي أرض العهد، اختارها الله لتكون أرض شعبه الذي أفرزه للعبادة الروحية الحقيقية.

5ـ سفر التثنية: سُمي بالتثنية لأن فيه تكرار للوصايا والشرائع والأحكام والعبادات والصلوات على موسى υ مرة ثانية، ويُسمى تثنية الإشتراع. ويتكون من 34 إصحاحاً. والمواضيع الرئيسية لسفر التثنية خمسة حسب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس وهي[67]:
ـ التاريخ: فقد استعرض موسى أعمال الله العظيمة، لتحرير بني إسرائيل من العبودية 1في مصر.

2ـ الشرائع: استعرض الله شرائعه مع الشعب، لتجديد العهد الشرعي بينهم وبين الله، لأن الجيل الجديد كان على وشك الدخول لأرض كنعان.

3ـ المحبة: فقد صور سفر التثنية محبة الله الأمينة والصبورة أكثر من عقابه، بيَنها الله لبني اسرائيل، وبيَّن مواعيده لهم. وفي المقابل ينتظر منهم محبة من القلب، لا التزام متزمت بشرائعه.

4ـ الاختيارات: بيَّن الله أن الصدق على العهد يكون باختيار شخصي للطاعة، الذي يجلب المنافع لحياتهم. أما التمرد فلا بد أن يجلب مصائب مُروِّعة.

5ـ التعليم: أمر الله بني إسرائيل أن يُعلموا أبنائهم طُرقه، باستخدام الطقوس والتهذيب والحفظ على ظهر قلب، لتأكيد الفهم ونقل مبادئ الله إلى الجيل الموالي.

ـ المجموعة الثانية (الكتب التاريخية): وتشتمل على 12 سفراً:

---

[66] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص270.
[67] ـ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، مصدر سابق، ص353.

1- **يشوع**: وهو يحكي تفاصيل دخول يشوع إلى أرض كنعان مع شعبه، وتقسيم الأرض بين الأسباط أو القبائل العبرانيَّة.
2- **القضاة**: وهو يحكي عن الشعوب التي كانت تستوطن أرض كنعان، ويحكي أيضًا عن الحروب والمنازعات بين هذه الشعوب والشعب اليهودي.
3- **راعوث**: وفيه قصة لفتاة من شعب (موآب) وهي تعتبر جدة للملك داود.
4/ 5- **سفر صموئيل الأول والثاني**: وفيهما أحداث عن النبي(صموئيل) الذي كان معلمًا وسياسيًا، و لعب دورًا مهمًا في تكوين مملكة إسرائيل.
9/8/7/6- **سفر الملوك الأول والثاني، وسفر الأخبار الأول والثاني**: وفيها متابعة تاريخ الأمة اليهوديَّة التي انقسمت إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا.
11/10- **عزرا ونحميا**: وهي قصة إعادة بناء مدينة أورشليم بعد أن خربها ملك بابل.
12- **أستير**: وهي حكاية فتاة يهودية خضعت لحاكم من غير بني إسرائيل، استخدمت جمالها وفتنتها في سبيل رفع الظلم عن اليهود وتقديم خدمات لهم.

- **المجموعة الثالثة : كتب الحكمة (وتسمى الأسفار الشعرية):** وهي كتب مليئة بالحكم والأمثال ومكتوبة بطريقة شعرية. وهي خمسة أسفار[68]:
1- أيوب: يحكي قصة أيوبυ.
2- الأمثال: وهو منسوب إلى نبي الله سليمانυ، وكلها نصائح وأمثال.
3- المزامير: وهو كتاب صلوات وأغاني، ينسب إلى نبي الله داودυ.
4- الجامعة: وهو ملخص تعاليم سليمانυ عن عدم وجود معنى للحياة بدون الله.
5- نشيد الإنشاد: وهو عبارة عن أنشودة شعرية تصف الحب بين العريس والعروس.

- **المجموعة الرابعة (كتب الأنبياء):** وهي تنقسم إلى قسمين وهما:
1-القسم الأول (كتب الأنبياء الكبار): وهم الذين يُعلنون للشعب بشارة الله وكلمته المقدَّسة، وتسمى كتب الأنبياء الكبار لطول مدتهم وعمق تأثير خدمتهم بين الشعب وهم:
- **أشعياء**: وقد عاش في وقت تثبتت فيه مملكة بابل، وقد تنبأ مسبقاً بوقوع اليهود في الأسر، ولكنه أعلن أنه سيأتي الخلاص، وقبل حوالي 700 سنة من ميلاد المسيح تنبأ أشعياء بميلاد المسيح من عذراء وصلبه نيابة عن البشر ثم قيامته من الأموات.
- **أرميا**: وقد كتب عن الأسر في مملكة بابل، وتنبأ مسبقا عن رجوع اليهود إلى وطنهم بعد 70 سنة، والذي قد تحقق بالفعل.
- **مراثي أرميا**: وهو يتناول هدم يهودا وأورشليم والهيكل على يد البابليين.
- **حزقيال**: الذي عاش زمن الأسر في مملكة بابل وقد تنبأ بالعديد من الأمور التي حدثت بالفعل.
- **دانيال**: عاش أيضا في زمن الأسر وترقى في مناصب هامة في مملكة بابل.

---

[68] ـــــ أبو عيسى محمد بن حسين المصري، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار بن الجوزي، القاهرة ـ مصر، 1432هـ/2011م، ج2، ص98ـــــ 99.

2- القسم الثاني (كتب الأنبياء الصغار): وهي أسفار قصيرة، وكاتبوها تنبئوا بكلمة الله في عصر كان فيه الناس لا يهتمون بالأمور الدينيَّة، بل ويتذمرون على الله. وهم[69]:

- **هوشع**: كان يعظ الشعب عن محبة الله للإنسان برغم معصيته وعدم أمانته.
- **يوئيل**: وقد سبق وتنبأ بحلول الروح القدس على المؤمنين.
- **عاموس**: كان راعيا للغنم، وكان يبين للشعب مساوئ الظلم الاجتماعي، وحذرهم من يوم عقاب الرب، الذي سيحل عليهم بسبب خطاياهم وعدم توبتهم.
- **عوبديا**: وقد تنبأ بحلول يوم الغضب على أدوم، وهو أصغر كتب العهد القديم.
- **يونان**: وهو يحكي عن رجل أرسله الله إلى مدينة نينوى ليبشر فيها، ولكنه لم يُطع، وفي البداية حاول الهرب في سفينة، ولكن سمكة كبيرة ابتلعته وفيه تفاصيل أخرى.
- **ميخا**: وقد عاش في زمن أشعياء، ومعه زمن هوشع، وقد تنبأ أيضا بخراب المملكة اليهوديَّة، ولكنه تنبأ بمجيء المخلص.
- **ناحوم**: وقد تنبأ بسقوط مدينة نينوى التي بعد أن تاب أهلها عن الشر أيام يونان النبي، عادت لفعل الشر والفساد.
- **حبقوق وصفنيا**: حذروا الشعب من الاستمرار في الشر والبُعد عن الله.
- **حجي وزكريا**: قاموا بتشجيع الشعب على إعادة بناء الهيكل عند عودتهم إلى وطنهم بعد الأسر.
- **ملاخي**: وقد عاش قبل ميلاد المسيح بحوالي 400 سنة.

ثانيًا- العهد الجديد:

العهد الجديد هو مجموع الكتب التي تُقدّسها الكنيسة بعد رفع المسيح إلى السماء بإسباغ صفة القانونية عليها، وليس من بينها مكتوب يُنسب إلى المسيح. والعهد الجديد يُسمّى مجازًا "الإنجيل". وكلمة إنجيل من اليونانية "εὐαγγέλιον : إفنجليون " أي الخبر السار أو البشارة.[70]

وتطلق هذه التسمية (العهد الجديد) عند النصارى على المجموعة المكونة من 27 سفرا التي تتحدث عن الفترة التي بدأت بحياة المسيح υ، في مقابل ما يُسمى بالعهد القديم. وقد تُرجم العهد الجديد من اللغة اليونانية، بينما كُتب على الكتاب المقدس كله أنه ترجم من اللغات الأصلية، وهي اللغات: العبرانية والكلدانية واليونانية. كما صُدر (العهد الجديد) بنفس العبارة، في أشهر الطبعات الإنجليزية للكتاب المقدس، وهي الطبعة الموافقة للنص المعتمد سنة 1611م، المعروفة بنسخة الملك جيمس . وقد كانت أخر هذه الطبعات للكتاب المقدس، هي (الطبعة اليهودية) التي صدرت في القدس سنة 1970م، بعد أربع سنوات فقط، من تبرئة اليهود من دم المسيح، التي يمكن وصفها بأنها (العهد الجديد خاليا من معاداة السامية) حيث حذفت من نسخة الملك جيمس، كل العبارات التي تشير إلى ما ارتكبه اليهود في حق المسيح والمسيحية[71].

---

[69]ـــ أبو عيسى محمد بن حسين المصري، المرجع نفسه، ص99 - 101.

[70] ـ سامي العامري، العلم وحقائقه، مرجع سابق، ص 83.

[71] ـ المسيح والمسيحية والاسلام / د .عبد الغني عبود: 114، 115)

ومما يُذكر أن المسيحيين قبل طباعة العهد الجديد سنة 1516م، كانوا يحفظون نصوصه في مخطوطات، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات 4700 ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش. ونصوص هذه المخطوطات تختلف اختلافا كبيرا، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيا منها قد نجا من الخطأ، ومهما كان الناسخ حي الضمير، فإنه ارتكب أخطاء، وهذه الأخطاء بقيت في كل النسخ التي نَقلت عن نسخته الأصلية، كما أن أغلب النُسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت لتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائما إعادة القراءة الصحيحة[72].

أولا: الإنجيل/ الأناجيل الأربعة:

في الأصل أن الله بعث مع المسيح إنجيلا واحدا الا أنه لم يحفظ، وتناقله الحواريون والتلاميذ مشافهتا وبرواياتهم المختلفة وهي كثيرة إلا أن رجال الدين المسيحي اعتمد منها أربعة وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، فهذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار المسيح وهو الشخصية المركزية في الديانة المسيحية، من وقت الحمل إلى وقت صَلبه في اعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليالٍ، ثم رَفعه بعد أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي أنَّها تشتمل على العقائد المسيحية في نظرهم بعد المسيح، وهذه الأناجيل الأربعة هي التي تعترف بها الكنائس، وتقرها الفرق المسيحية وتأخذ بها، وهي كالأتي[73]:

1- **إنجيل متى:**

متى هو أحد الحواريين الاثني عشر، ممن يسميهم المسيحيون (رُسلا)، وكان عمله قبل اتصاله بالمسيح عشارا - أي جامعا للضرائب - لحساب الدولة الرومانية في فلسطين، وهي وظيفة يمقتها اليهود، وينظرون إلى صاحبها على أنه ظالم[74].

وقد كُتب هذا الإنجيل باللغة العبرية أو السريانية، وأقدم نسخة عُثر عليها كانت بالغة اليونانية، كما أن هناك خلافًا حول من دون الإنجيل ومن ترجمه. وكُتب إنجيل متى مرتبا حسب الموضوعات، وتختلف الآراء في تاريخ تدوينه، فمنها من يقول إنه دُون في أربعينات القرن الأول للميلاد والغالبية تقول أنه قد تم تدوينه ما بين سنة 65 م و75م، وهو يتكون من 28إصحاحا [75] . ويلاحظ حول هذا الانجيل[76]:

1 -أنه مجهول التاريخ الذي تم تدوينه فيه.

2- أنه مجهول في اللغة التي تم تدوينه بها.

3-أن النسخة الأصلية التي دونت فيها محتويات الانجيل (العبرية، أو السريانية ، أو الآرامية) ضاعت.

4 - أن مترجم هذا الإنجيل مجهول.

---

[72] - (المسيح في مصادر العقائد المسيحية / أحمد عبد الوهاب 41)

[73]ـــ محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، 1381هـ /1966م، ص42.

[74] - (المسيح في مصادر العقائد المسيحية / أحمد عبد الوهاب 41)

[75] - ترجمان الأديان، ص 353.

[76] - (أضواء على المسبحية /د .رؤوت شلي، 41)

2- إنجيل مرقص:

مؤلفه هو القديس (مرقص) أحد التلاميذ السبعين للمسيح عليه السلام، ويقول المؤرخون أن اسمه (يوحنا) وأنه يلقب ببطرس، وخاله هو برنابا، لم يكن من الحواريين، اتبع المسيح في بدء ظهوره فاختاره من السبعين الذي نزل عليهم الروح القدس – كما يقولون في كتبهم - كان له نشاط في نشر المسيحية بأنطاكيا، فقد ذهب إليها مع بولس، ثم عاد الى اورشليم، والتقى خاله برنابا وسافرا معا الى قبرص، ثم افترقا فذهب مرقص الى شمال افريقيا، فوجد في مصر أرضا خصبة لدعوته فاتخذها مركزا للتبشير، ثم انطلق منها الى روما وافريقيا لنشر ديانته، وظل بمصر حتى قبض عليه الرومان، وقتلوه عام 62 م[77].

يعتبر انجيل مرقص الانجيل الثاني في ترتيب الأناجيل بعد انجيل متى، وهو أقصر الأناجيل الأربعة، وقد تعرف مرقص على المسيح بواسطة بطرس في آخر حياته، فمارس التبشير مع بولس وبرنابا، ويتكون هذا الانجيل من 16 إصحاح[78].

ومن المؤرخين المسيحيين من يقول أن انجيل مرقص كُتب بتدبير من بطرس عام 61م، ليستخدمه بطرس في تبشيره بدينه. وهناك رأي آخر يقول أن بطرس كتب هذا الانجيل ثم نسبه إلى مرقص. ويذهب آخرون إلى أن مرقص كتب انجيله بعد موت بطرس وبولس. واختلفوا في سنة كتابته بين 56 أو 60 أو 61م، وقد كُتب باللغة اليونانية[79].

3- إنجيل لوقا:

لوقا ليس من الحوارين، ولا من تلاميذهم، وإنما هو تلميذ بولس، وقد تكرر ذكر هذا في رسائل بولس. والباحثون ليسوا على علم يقيني بمولد وصناعة كاتب هذا الإنجيل، فمنهم من قال أنه أنطاكي ولد بأنطاكيا، ومنهم من قال أنه روماني ولد بإيطاليا. ومن قائل أنه كان طبيبا، ويقول آخرون أنه كان مصورا. وكلهم يتفقون على أنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ حواريه[80].

وقد رافق لوقا بولس في رحلته إلى فليبي، والراجح أن لوقا من أنطاكية وقيل أنه ليس من أصل يهودي، وإنجيله يُرتب الثالث، ويبدو أن لوقا كان مُلماً بالثقافة اليونانية، يظهر ذلك من صياغة إنجيله، وهو يتكون من 24 إصحاحا[81]. ويتفق المؤرخون على أن لغة تدوين هذا الإنجيل هي اللغة اليونانية، أما عن تاريخ تدوينه، فهي نقطة خلاف حادة بين المؤرخين فمنهم من يقول أنه كُتب سنة 53 أو 58 ، أو60، أو 63 ، أو 64 [82].

4- إنجيل يوحنا:

هذا الانجيل يُنسب إلى أحد الحواريين وهو يوحنا ابن صياد، الذي كان المسيح يُحبه. وهناك من يشك في نسبته له، لذلك يُقال أن كاتبه هو يوحنا آخر أو هو لشخصية مجهولة ثم نُسب إلى يوحنا. وقد انفرد هذا الانجيل بالقول بالتثليث وبألوهية المسيح في ذلك الوقت

---

[77] - (أضواء على المسبحية /د .رؤوت شلي، 42)

[78] - ترجمان الأديان، ص 353.

[79] - (أضواء على المسبحية /د .رؤوت شلي، 43- 45)

[80] - (محاضرات في النصرانية /عمد ابو زهرة، 46)

[81] - ترجمان الأديان، ص 353.

[82] - (اضواء على المسيحبة /د .رؤوف شلي 45)

المبكر من تاريخ النصرانية. وقيل أن كاتبه هو يوحنا بن زبدي، من بيت صيدا في الجليل، وهو من التلامذة الاثني عشر، وقد نادى بإنجيله في آسيا الصغرى، وهو الإنجيل الذي تحدث صاحبه عن لاهوت المسيح، وسر المسيح الإلهي. وهو يتكون من21 إصحاحا، وقد تمت كتابته في أواخر القرن الأول للميلاد.[83]

ويُرجح أنه كتب سنة 95 أو 98، وقيل سنة96 م. وفي روايات أخرى يتسع نطاق الاختلاف في تدوينه إلى ما بين 68 و98م. وهذا الإنجيل مختلف تماما عن الأناجيل الثلاثة السابقة في حجمه ونسقه وأسلوبه وموضوعاته، وهو انجيل مهم في المسيحية، لأن فقرات هذا الإنجيل تضمنت ذكرا صريحا لألوهية المسيح، بل وجعل ذلك في أول نص من نصوصه (يوحنا 1/1: في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله). وقد اختلف المؤرخون المسيحيون في تاريخ تدوين هذا الانجيل اختلافا بينا[84].

فكُتاب المسيحية يعترفون أن كتابة هذا الإنجيل كانت متأخرة عن الأناجيل الثلاثة السابقة الذكر، فبعض ما ورد فيه من نصوص لا يمكن أن يكون مما عرفه يوحنا الحواري أو أي أحد في القرن الأول الميلادي. فكل شيء يوحي بأنه كان لهذا الإنجيل كُتاب عديدون، ومن المرجح أن هذا الإنجيل نشره تلاميذ الكاتب المجهول، الذين أضافوا بعض الفصول والحواشي والأخبار[85].

وقد ورد في دائرة المعارف البريطانية، عند ترجمتهم للأناجيل أنه: "لا مرية في أن مؤلف انجيل يوحنا شخص أخر غير يوحنا بن زبدي الحواري المشهور". وهو ما يذهب إليه مؤلفو دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم (لاروس القرن العشرين)، فقد ذكروا أنه يُنسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد، ولكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تُسلم بصحة هذه النسبة[86].

ملاحظات حول الاناجيل:

1ـ تم اعتماد الأناجيل الأربعة في مجمع نيقية الذي عقده الامبراطور قسطنطين الروماني عام 325م
بسبب الخلاف بين الموحدين الذين كانوا يقولون ببشرية عيسى عليه السلام، وبين المثلثين، الذين قالوا بالثالوث وألوهية المسيح، وقد اعتمدها أباء الكنيسة بالاقتراع (بالتصويت)[87] .

وتم في مجمع نيقية إلغاء كل الاناجيل أو الرسائل التي لا تتفق مع عقيدة ألوهية المسيح، وتقرر الاعتراف بقانونية الأناجيل الأربعة فقط، ورفض ما سواها من الأناجيل[88] .

2 ـ الأناجيل التي اعتمدها مجمع نيقية لم تكن الا جزء بسيطا من قوائم طويلة، تذكرها المصادر المسيحية لأناجيل كثيرة كانت معروفة، بل ومعتمدة لدى فرق مسيحية معروفة في

---

[83] ـ ترجمان الأديان، ص 353.
[84] ـ (محاضرات في النصرانية /محمد أبو زهرة، 52، 53)
[85] ـ (مقارنة اديان /جامعة القدس، 254)
[86] ـ (الأسفار المقدسة / د .علي عبد الواحد وافي، 89)
[87] ـ (المسيح والمسيحية والإسلام / د.عبد الغني عبود: 117)
[88] ـ (دراسة في الأناجيل الأربعة / محمد السعدي 34)

التاريخ. ومن أشهر الاناجيل التي رفضها مجمع نيقية كما تذكرها دائرة المعارف الأمريكية[89]:

1 - انجيل توما 2- انجيل المصريين 3- انجيل بطرس 4 - انجيل مريم 5 - إنجيل متى الثاني 6 -

الأناجيل اليهودية المسيحية: إنجيل العبرين، إنجيل الناصريين، إنجيل الإثني عشر، انجيل الأبيونيين.

7 - انجيل باسيليوس 8 - انجيل ماركيون 9 - انجيل أبللس 10- انجيل ناسينس 11- انجبل فيليب

12- انجيل ماتياس 13- انجيل برثولماوس 14- انجيل نيقوديموس 15- انجيل غمالائيل 16- إنجيل برنابا

17 - انجيل الكمال 18- انجيل الإنكراثيين 19 - انجيل هيثيوس 20 - انجيل يهوذا.

ثانيا: سفر أعمال الرسل:

تنسب هذه الرسالة للوقا صاحب الانجيل الثالث، وموضوع هذه الرسالة هو تاريخ حياة الحواريين (الرُسل كما يسميهم المسيحيون)، وتاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في المسيحية من التلاميذ وغيرهم من التابعين كبرنابا ومرقص. وقد اعتنى لوقا بوجه خاص في رسالته هذه بتاريخ حياة بولس وما عمله لنشر المسيحية، فخصص له وحده ما يزيد على نصف صفحات رسالته. ولما كانت هذه الرسالة تتفق مع الأناجيل الأربعة في أن موضوعها الرئيسي موضوع تاريخي، حيث أن الموضوع الأساسي للأناجيل هو تاريخ المسيح، والموضوع الأساسي لهذه الرسالة هو تاريخ أنصاره من بعده، لذلك تسمى الأناجيل الأربعة ورسالة أعمال الرسل بـ: الأسفار التاريخية[90].

ثالثا: الرسائل.

تسمى الرسائل بـ: الأسفار التعليمية، لأنها توضح تعاليم وعقائد المسيحية المعاصرة أكثر من الأناجيل، وقد دونها رجال مشهورين. وهي تُـعْنَى بتفسير مظاهر السلوك وأنواع الطقوس في الحياة النصرانية، وجميع الرسائل مكتوبة في الأصل باليونانية، وهي في مجموعها اثنتان وعشرون (22) رسالة، وعدد الرسائل وكَاتبوها مقسمة كالتالي [91]:

1- **رسائل بولس:**

وعددها أربعة عشرة رسالة كتبها كلها بولس باللغة اليونانية، منها عشر رسائل الى بعض البلاد وبعض الشعوب، وأربع رسائل الى بعض تلاميذه. أما الرسائل العشرة الاولى فهي : رسالة إلى الرومان، ورسالتان الى أهل قورنتوس، ورسالة الى أهل غلاطيا، ورسالة الى أهل افسوس، ورسالة الى أهل فيلبي، ورسالة الى أهل كولوس، ورسالتان الى أهل تسالونيكي، ورسالة الى العبرانيين. وأما الرسائل الأربع التي أرسلها الى بعض تلاميذه فهي

---

[89] - (المسيح في مصادر العقائد المسيحية / احمد عبد الوهاب 37 ،38)

[90] - (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام / د.علي وافي، 113)

[91] ـــ سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ط1، مطبعة الأمانة، القاهرة مصر، 1410هـ/1990م، ص5ـــ6.

:رسالتان الى تلميذه تيموثاوس، ورسالة الى تلميذه تيطس، ورسالة الى تلميذه فيليمون.
وتستأثر هذه الرسائل بأكبر حيز من العهد الجديد، حتى أنها تستغرق وحدها نحو ثُلث صفحاته، وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها الى توضيح العقيدة، وتقريرا لألوهية المسيح وبنوته ومبدأ التثليث. هذا ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة 364م، أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبته إلى بولس، حتى أن مجمع نيقية المنعقد سنة 325م لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه[92].

2 ـ الرسائل الكاثوليكية :

وهي سبع رسائل كُتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية، وكُتبت في عهود مختلفة، منها رسالة للحواري يعقوب الصغير، ورسالتان لبطرس كبير الحواريين، وثلاث رسائل للحواري يوحنا صاحب الانجيل الرابع، ورسالة للحواري يهوذا أخو يعقوب الصغير. ولا تأخذ هذه الرسائل كلها في العهد الجديد الا حيز يسير بنسبة خمسة في المائة. والرسائل الثلاث الأخيرة من هذه الرسائل وهي الرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا، لا تتجاوز كل رسالة منها صفحة واحدة. وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وفيها الرد على المخالفين، فهي تتفق في موضوعها مع رسائل بولس، وإن كانت تقل عنها كثيرا في مبلغ استيعابها لهذا الموضوع. ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة364م، أما قبل ذلك فكان كثر منها موضع شك في صحة نسبتها الى أصحابها[93].

رابعا : رؤيا يوحنا

ويسمونها "السفر النبوي"، وهذه الرسالة في منحاها ومنهجها تخالف الرسائل السابقة، فبينما الرسائل السابقة وَعْظِيَّةٍ وتعليمية في جملتها، وتتعرض كثيراً لذكر بنوة المسيح، وتخليصه للعالم من خطيئته، نجد في رسالة رؤيا يوحنا اللاهوتي، بيان أُلوهية المسيح، وسلطانه في السماء، وعلمه بحال الكنيسة، والقائمين على المسيحية من بعده[94].

وتنسب هذه الرسالة الى يوحنا صاحب الانحيل الرابع، ولم تعتمد الكنيسة المسيحية هذه الرسالة الا في سنة 363م، أما قبل ذلك فكانت موضع شك كبير في حقائقها، وفي صحة نسبتها إلى يوحنا الحواري. وهي رؤيا منامية رآها يوحنا، ويقولون بأنه أوحي إليه فيها بكثير من حقائق الديانة المسيحية وأحداث المستقبل، ومن أهم الأمور التي تشتمل عليها هذه الرؤيا ما يلي[95]:

1 ـ تقرير ألوهية المسيح، فهي تصوره في عليائه تارة في صورة شيخ، يحمل في يديه سبعة كواكب،

---

[92] ـ (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام / د.علي وافي، 116، 117)
[93] ـ (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام / د.علي وافي، 117)
[94] — محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، المرجع السابق، ص70.
[95] ـ (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام / د.علي وافي، 118- 119)

ويخرج من فمه سيف ماض ذو حدين، وتارة تصوره في صورة خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون وسبعة أعين.
2 ـ تقرر هذه الرسالة سلطان المسيح في السماء وإشرافه في عليائه على شؤون الكنيسة وعلمه بجميع أحوالها والقوامين عليها، وتبين أعمال الملائكة في السماء وخضوعهم للمسيح.
3- تقرر أن الناس سيُبعثون يوم القيادة ويُعرضون على المسيح، وأنه هو الذي سيتولى حسابهم على أعمالهم فيجزي المحسن بإحسائه والمسيء بإساءته.
4 ـ تذكر هذه الرسالة طائفة من الأحداث التي ستحصل في العالم الانساني، وتذكر هذه الأحداث في صور رمزية مبهمة، ومن ذلك خبر الدابتين الغريبتين اللتين ستخرجان قبيل قيام الساعة، تخرج إحداهما من الأرض والأخرى من الماء، وتكلمان الناس.

ملاحظة:

لقد كانت الأسفار الموجودة في القرنين الأول والثاني أكثر بكثير مما نجده الآن في العهد الجديد من الكتاب المقدس، لكن الكنيسة مع الوقت استقرت على الأسفار السابقة الذكر فقط، وجُمعت باسم العهد الجديد. ومن الاناجيل غير المعتمدة في المسيحية نجد إنجيل برنابا، الذي لا يزال موجود يحمل اسمه حتى يومنا هذا، لا تعترف به الكنيسة، وتُشير الدراسات إلى أن هذا الإنجيل فُقد في القرن الخامس للميلاد، إلى أن تمَّ العثور على نسخة منه سنة 1709م، عندما عثر كريمر، مستشار ملك بروسيا (ألمانيا حاليا)، على نسخة من هذا الإنجيل مكتوبة بالإيطالية وبهامشها تعليقات باللغة العربية[96].

المحاضرة الخامسة: المسيحية بعد بولس إلى القرن الرابع للميلاد.

تمهيد:

بدأت المسيحية وكنيستها في القدس على يد الرسل، وبدأوا يدعون للمعمودية باسم يسوع. وتوسّعت في أنحاء فلسطين وسورية على أثر تشتت الرسل، الذي عقب الاضطهاد الذي شنّه رؤساء اليهود. وكان التبشير يوجّه أولاً لليهود ثم انفتحت على الوثنيين، وأصبحت انطاكية المركز الثاني بعد القدس لانتشار المسيحية، وانطلق منها القديس بولس في رحلاته الثلاث إلى آسية الصغرى (أفسس) واليونان (قورنتس). ووصلت المسيحية مبكراً إلى العاصمة رومة، فقد كتب بولس رسالة إلى أهل رومة، وفيها استقر نهائياً بطرس وبولس إلى غاية وفاتهما مضطهدين.

ومن المراكز المسيحية الهامة الأخرى في القرون الثلاثة الأولى، مدينة الرُها شمال شرق سورية، والاسكندرية في مصر، وقرطاجة شمال افريقيا، وليون في فرنسا. وانتشر المسيحيون في سائر أنحاء العالم الروماني، وأصبحوا في القرن الثالث يشكّلون نصف السكان في المناطق الشرقية، وظلّوا في الغرب أقلية منحصرة في المدن الكبرى. وقد تمّ انتشار المسيحية بدون تدخّل الدولة التي كانت تقاوم الديانة الجديدة وتضطهدها[97].

---

[96] ـ ترجمان الأديان، ص 355.
[97] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 1.

وقد نشأت الكنيسة (الجماعة المسيحية) أولاً في بيئة يهودية في مدينة القدس، ولم يكن المسيحيون الأولون يتميزون خارجياً عن سائر اليهود. فيسوع القائم من الأموات هو المسيح المنتظر الذي حقق كل ما يتوق إليه شعب العهد القديم، فقد قال المسيح: "لم آت لأنقض بل لأتمم". وقد كانوا يواظبون على الصلاة في الهيكل ويعملون بشريعة موسى وتميزوا عن سائر اليهود:

- بإيمانهم بيسوع القائم من بين الاموات
- وبالمعمودية باسمه
- وباجتماعاتهم الخاصة لكسر الخبز (الافخارستيا)

ولم يتبين الفارق الأول بين المسيحيين واليهود، إلا لما عارض زعماء اليهود الرسل واضطهدوهم لمناداتهم باسم يسوع، ولما انضمّ إلى جماعة المؤمنين أناس من أصل وثني تقرر رسمياً إعفاءهم من الشريعة الموسوية في مجمع القدس سنة 50م، وظل المسيحيون من أصل يهودي يمارسون الشريعة اليهودية، ثم تخلّوا عنها رغم معارضة أنصار التمسك بالختان، ويتجلّى ذلك في رسائل القديس بولس، الذي اعتبر أن المسيح حررهم من عبودية الناموس. واعطي المؤمنون اسماً خاصاُ بهم ودعوا مسيحيين وكان ذلك في انطاكية. ولم يشترك المسيحيون بثورة اليهود ضد الرومان وانقطعت العلاقات بين المسيحيين واليهود بعد هدم هيكل أورشليم، إنما ظلت الكنيسة متمسكة بأسفار العهد القديم التي تسلمتها من اليهود، فالعهدان متكاملان. وحرمت رأي المغالين مثل مرقيون (أواسط القرن الثاني) الذي رفض كتب العهد القديم وادّعى أن إله العهد القديم شرير وهو غير إله العهد الجديد[98].

الكنيسة والوثنية:

كان المسيحيون موالين للدولة الرومانية، ويشاركون في الحياة العامة وفي خدمة الجيش والبلاط ويصلون من أجل الحكام. لكنهم امتنعوا عن التظاهرات المتسمة بالإباحية ورفضوا المشاركة بمراسيم العبادة الوثنية وعبادة الامبراطور. فشُنّت عليهم الدولة المرتبطة بالديانة الرسمية اضطهاداً واسعاً ابتدأ مع نيرون عام64م. ولم يتخذ الاضطهاد في كل الحقبات نفس المنحى، فقد قرر بعضهم (منهم تراجان في مطلع القرن الثاني) ألا يُلاحق المسيحيون، بل يُعاقَبوا فقط إذا وشي بهم، ويُسامحوا إن تراجعوا عن دينهم. وذهب أخرون إلى حصر الحظر في الانتماء إلى الدين الجديد فلاحقوا المنتسبين الجدد فقط (منهم سبتيموس ساويروس في مطلع القرن الثالث) ولاحق غيرهم رجال الدين فقط، وأرادوا الاستيلاء على أملاك الكنيسة (فالريانس سنة 257م). وعاش المسيحيون فترات من السلم إذ تغاضى عنهم الأباطرة ومنهم خاصة السوريو الأصل. أما أشرس الاضطهادات الشاملة فهي اضطهاد

---

[98] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 2.

داسيوس سنة 251م وديوكليانويس سنة 303م. وذهب ضحية الاضطهاد مئات الألوف من المسيحيين، لكن تلك الاضطهادات لم تتمكّن من قمع انتشار المسيحية.

ومنذ هذه الحقبة أخذت الكنيسة موقفاً إيجابياً من الفلسفة اليونانية. ورأى بعض المفكرين المسيحيين (القديس يوستينوس واكليمنضوس الاسكندري) أن الكلمة (أي اللوغوس) كان يعمل وينير هؤلاء الفلاسفة. ولذلك استعانت الكنيسة بالفلسفة اليونانية لتوضيح معتقدها وللدفاع عن ذاتها ضدّ المفكرين الوثنيين[99].

حياة الكنيسة:

كان عصر الرسل (الحواريين والتلاميذ) متميزاً لأن الرسل كانوا شهود عيان، ومع موت آخرهم وهو يوحنا، اكتملت أسفار العهد الجديد، ودونت مذكراتهم ورسائلهم في مجموعة تبلورت في القرن الثاني وشكلت لائحة العهد الجديد، وظهر بعدها ما يسمى بتعليم الإنجيل والتقليد الكنسي. وتتابع بعدها الأساقفة ويعتبرون أن مهمتهم الأولى الحفاظ على صحة التعليم المورث من الرسل. وظهر في صفوف المسيحيين من علّموا آرائهم الخاصة فحاولوا تفسير السر المسيحي ليساير مفهوم العقل البشري (وهو ما سمي بالمغالطات الثالوثية) أو من مزجوا بين المسيحية واليهودية (الأبيونيون) أو بين المسيحية والوثنية والفلسفة الأفلاطونية (أهل العرفان والغنوصية) أو بين المسيحية والزرداشتية ديانة الفرس (المانويون). ومنهم بعض المغالين الذين نادوا بحلول الروح القدس فيهم بشكل خاص وبانتهاء العالم والعدول عن أمور الجسد (المونتانيون). فنبذوا من الكنيسة الجامعة وسمّوا هراطقة. وأشهر من قاومهم القديس ايريناوس أسقف ليون (توفي سنة 203م) في كتابه "ضد البدع" فأظهر أن التعليم الصحيح متواجد في الكنائس التي ترتبط سلسلة أساقفتها بالرسل، والكنيسة الأهم بينها كنيسة روما.

وقام خلفاء الرسل المباشرون بكتابة رسائل ومؤلفات تنحو منحى كتابات الرسل، فسمي هؤلاء بالآباء الرسوليين منهم: (القديس اكليمنضوس أسقف رومة، القديس اغناطيوس الانطاكي...) وقام بعدهم من دافع عن المسيحية ضد اليهودية والحكام المضطهدين (أشهرهم القديس يوستينوس الذي توفي سنة 165م). ولما دخل المسيحية طبقة من المفكرين وهاجمها الفلاسفة بدأ ما دعي باللاهوت العلمي الذي يوضح أسرار المسيحية بشكل علمي ومعمّق. وأشهر هؤلاء ترتليانوس في الغرب (قرطاجة) واكليمنضوس الاسكندري واريجانوس في الشرق (القرن الثالث) وهناك علم خاص يتحرى دراسة التراث الأدبي المسيحي القديم (علم الآباء)، وقد فقدت العديد من المؤلفات بسبب اضطهاد ديوكلسيانوس الذي عمد إلى إحراق المكاتب وطالب تسليمه الكتب المسيحية المقدسة. وما

---

[99] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 2- 3.

يعرف عن القرون الثلاثة الأولى يعود الفضل الأكبر به للمؤرخ أوسابيوس القيصري الذي عاش في مطلع القرن الرابع.

وتبلور في التقليد الكنسي أن تبدأ حياة المسيحي بتقبّل سرّ المعمودية في احتفال يقوم خاصة ليلة عيد الفصح، وتسبقه فترة تحضير تسمى بالموعوظية. وأن محور الحياة المسيحية سرّ الافخارستيا الذي يحتفل به بشكل جماعي برئاسة الأسقف ليلة الأحد. وكان حينها عيد الفصح من أهم الأعياد، وقد سبّب تحديد يومه بعض المشاكل (التي عرفت بالمشكلة الفصحية). وبدأ الاحتفال بعيدي الظهور والميلاد في القرن الثالث. ويلتزم المسيحي في تقبله سرّ المعمودية بالعيش حياة القداسة بموجب التعاليم الإنجيلية. وبسبب الضعف البشري يحدث أن يرتكب بعضهم "الكبائر" (القتل، الزنى، جحد الإيمان المسيحي) وكان يُفرض على هؤلاء قصاصات صارمة ولا يشتركون بالافخارستيا إلا بعد تتميمها ومصالحتهم رسمياً يوم الخميس العظيم (خلال رتبة التوبة). وقد حدث مشادة بين المتشددين الذين لا يقبلون بالمصالحة إلا مرة واحدة والمتساهلين (فيما عرف بمشكلة التوبة). والمسيحي لا يعيش مسيحيته منعزلاً بل ضمن المجموعة المسماة الكنيسة. فمنها يقتبس الإيمان المسيحي وفيها يعيش الأسرار والأخوّة المسيحية. ويرأس الكنيسة المحلية الأسقف يحيط به مجموعة الكهنة والشمامسة. وبين مختلف الكنائس المحلية شركة ترتكز على وحدة الإيمان والأسرار والخلافة الرسولية، مركزها الأهم كنيسة رومة. ويجتمع أساقفة الإقليم حول رئيس الأساقفة في مجامع أصبحت دورية لتداول الأمور التي تهم جميع الكنائس. و في آخر القرن الثالث أصبحت الكنيسة قوة روحية ليس بالإمكان تجاهلها، فشنّ عليها ديوكلسيانوس وشركاؤه في الحكم اضطهاداً شاملاً للكنيسة إلا أنها خرجت منه منتصرة[100].

نالت الكنيسة الحرية واعترف بها رسمياً في عهد الإمبراطور قسطنطين الذي أصدر مرسوم ميلانو سنة 313م. ثم اندحرت الوثنية أمامها وأصبحت الدين الرسمي في عهد الإمبراطورية (ثاوذوسيوس). وقامت الكنائس الفخمة برعاية الدولة فشيدت (كنيسة القيامة في القدس – كنيسة القديس سمعان العمودي قرب حلب – كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية) وتحددت العقيدة المسيحية رسمياً فيما يخص سر الثالوث الأقدس والتجسّد في المجامع المسكونية لا سيما المجامع الأربعة الأولى. وكان هذا العصر هو العصر الذهبي للآباء القديسين. ونُظمت الكنيسة وتشكّلت رسمياً البطريركيات والليتورجيات الكبرى، وأخذ المجتمع المدني وجهاً مسيحياً. وبعد انتهاء عصر الاضطهادات والبطولات المسيحية، قامت الحركة الرهبانية التي انتحلها الساعون إلى الكمال المسيحي.

أما الفترة الثانية من هذه الحقبة، فقد ظهرت خلالها تصدعاً في الوحدة القائمة في العالم الروماني القديم. فالجرمانيون استولوا على القسم الغربي، وفي القسم الجنوبي الشرقي

---

[100] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 3-4.

ظهر تصدّع في الوحدة الكنسية عقب المجمع الخليقدوني 451م، وضعف ولاء شعوب هذه المناطق الشرقية للدولة البيزنطية[101].

تنصّر الدولة

اعترف قسطنطين مع معه في الحكم بحرية الشعائر الدينية المسيحية في مرسوم ميلانو عام 313م، وأخذ يهتمّ بشؤون الكنيسة ويعنى بوحدتها وتنظيمها وجعل يوم الأحد عطلة رسمية واستوحى في تشريعه الكثير من المبادئ المسيحية. وبنى عاصمة جديدة دعيت باسمه (القسطنطينية) دُشنت عام 330 م ليبتعد عن جوّ رومة الوثني. وفشلت محاولة الامبراطور جوليانوس (363-361م) لإعادة النفوذ الوثني وتراجعت الوثنية شيئاً فشيئاً أمام المسيحية، ثم فصل غراسيان وثاوذوسيوس الدولة عن الديانة الوثنية، ومنع ثاوذوسيوس العبادات الوثنية في أنحاء المملكة الرومانية. وكان ثاوذوسيوس آخر من جمع في يديه حكم المملكة الرومانية بكاملها. وبعد وفاته عام 395 قسّمت المملكة بين ابنيه، وكان مركز الأولى في رومة والأخرى في القسطنطينية. وقضى الغزاة الجرمانيون على الامبراطورية الرومانية في الغرب عام 476 م. أما الدولة الرومانية في الشرق وهي التي عُرفت بالامبراطورية البيزنطية، فقد ظلّت درعاً للمسيحية حتى سقوطها عام 1453م في يد العثمانيين.

الآباء القديسون في القرن الرابع الميلادي:

من أشهر الآباء القديسين في هذه الحقبة[102]:

القديس أثناسيوس الكبير رئيس أساقفة الاسكندرية (توفي 373) الذي دافع عن المجمع النيقاوي، وقد النفي وألّف عدة كتب لاهوتية.

والآباء القبادوقيون: باسيليوس الكبير (ت379)، وغريغوريوس اللاهوتي (ت389)، وغريغوريوس أسقف نيصص شقيق القديس باسيليوس. وكانوا هؤلاء مشبعين بالثقافة الفلسفية اليونانية، ومتعمّقين في الإيمان الرسولي فقدّموا إيضاحات لعقيدة الثالوث سمحت بتخطّي الأزمة الآريوسية.

القديس يوحنا الذهبي الفم الانطاكي المنشأ راعياً وخطيباً اشتهر أولاً بكرازته وتفاسيره الكتابية في انطاكية ثم في القسطنطينية التي عيّن رئيس أساقفة عليها.

وقام في الغرب القديس امبروسيوس أسقف ميلانو (ت397).

---

[101] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 4.
[102] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 5.

والقديس أغسطينوس (ت428)، وهو من أغزر وأعمق الآباء القدماء، كتب في مختلف المجالات وكان أسقفاً على مدينة بونة شمال أفريقيا (عنابة حاليا)

والبابا لاون الكبير (ت 461) وغريغوريوس الكبير (ت 604)

أما في القرن الخامس فقد ظهر القديس كيرلس الاسكندري مدافعاً عن سر التجسّد وعارضه ثاوذوريتوس أسقف قورش وهو أنطاكي المنشأ.

ظهور الرهبانية والرهبان:

نشأت الحياة الرهبانية في مصر ومن أبرز وجوهها القديس أنطونيوس (251- 356) فكانت حينها الحياة النسكية المنفردة. ثم بدأت مع القديس باخوميوس (292- 346)الحياة المشتركة في الأديرة. وسرعان ما انتقلت الرهبانية إلى فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى، فظهر كل من القديس سمعان العمودي ت459، مار سابا قرب القدس ت531 م، ونظّم القديس باسيليوس الحياة الرهبانية المشتركة وانتشرت في الغرب وأهم منظّم للحياة الرهبانية في الغرب القديس بنادكتوس في القرن السادس. وكان للرهبان تأثير روحي كبير وساهموا في تنصير الريف في الغرب. وكانوا في أوروبا عاملاً هاماً لتثقيف الغزاة البرابرة وحفظ العلم ونشر الإيمان المسيحي بين الجرمانيين[103].

المحاضرة السادس: المجامع المسيحية.

المجمع لغة: مُجْمَعٌ ويقال أيضا أجْمِعْ أمرك ولا تدعه منتشرا، والجمع: اسم لجماعة الناس. والـمَجمع: يكون اسما للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه، كمجمع البحرين فهو ملتقاها، ويقال: أدام الله جمعة ما بينكما، كما يقال: أدام الله ألفة ما بينكما[104]. والمقصودة هنا هي الـمَجامع بفتح الميم.

اصطلاحا: عرفها زكي شنودة وهو أحد علماء النصارى بقوله: "المجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم الرسل نظامها في حياتهم، إذ عقدوا المجمع الأول في أورشليم سنة 51م برئاسة أسقفها يعقوب الرسول مع بقية الرسل، للنظر في مسألة ختان الأمم، ومن ثم نسجت الكنسية بعد ذلك على منوالهم". والمجامع نوعان[105]:

---

[103] ـ نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، الأرشمندريت أغناطيوس ديك، ص 6.

[104] ـــ ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ت: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بدون ط، 1415هـ/1995م، باب الجيم، ص119. وينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ ، باب الجيم، ج8، ص53.

[105]ـــ ينظر: زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، ط1، مصر، دون تاريخ نشر، ج1، ص63ـــ64.

النوع الأول: مجامع محلية أو مكانية أو إقليمية: كانت تعقدها الكنائس المحلية وما تزال تعقدها في حيزها ودوائرها الخاصة، من أساقفتها وقساوستها، وذلك للبحث في شؤون الكنائس المحلية.

النوع الثاني: المجامع المسكونية أو العامة أو العالمية: وهي اجتماع ممثلي الكنائس من أنحاء المعمورة، وذلك للبحث وتدارس الأمور المتعلقة بالعقيدة النصرانية، وصد كل مذهب وعقيدة غريبة ومخالفة للديانة النصرانية، وإصدار قرارات بشأنها وشأن مبتدعيها.

فالمجامع المسكونية تَقَرَرَت فيها العقائد المسيحية، وهي المجامع التي تلتزم بها كل الطوائف والكنائس المسيحية. وعدد المجامع التي انعقدت منذ القرن الأول المسيحي إلى عام 1869م عُدَّتْ بحوالي (20) مَجْمَعًا، وهذا ما يرويه نوفل بن نعمة الله بن جرجس في كتابه" سوسنة سليمان" مع الاختلاف والإنكار لعمومية بعضها، أو لصحة قراراتها، وأهم المجامع التي لها صلة بانحراف عقائد النصارى عن التوحيد إلى التثليث هي الأربعة مجامع الاولى.

ويعود تاريخ المجامع الكنسية في اعتقاد المسيحيين إلى فترة الرسل، عند اجتماعهم في أورشليم، بعد صعود المسيح، سنة 51م وقيل سنة 52م، فهذا التاريخ بالنسبة للمجامع الكَنَسيَّة، والكنسية ككل يُعتبر بمنزلة الدليل على ضرورة عقد المجامع، والرد على من يشكك في مصداقية وقراراتها، لأنها تعتبر بمثابة الترخيص من الرسل إلى الكهنة والباباوات في استمرار عقد المجامع ودليل على قداسة قراراتها وأحكامها في الديانة المسيحية. وعليه فهي المصدر الثاني للتشريع في المسيحية.

فالكنائس المسيحية، تؤكد أن رسل المسيحية هم من رسم نظام المجامع في حياتهم، لأنهم عقدوا المجمع الأول بأورشليم بعد ترك المسيح لهم باثنتين وعشرين سنة (52م)، وقد قرر ذلك المجمع، عدم التمسك بمسألة الختان، وغيرها من شرائع التوراة، إلا تحريم الزنا، وأكل المنخنقة، وأكل الدم، وأكل ذبائح الأوثان. وبذلك سن الرسل بهذا المجمع سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة[106]. (وقد ذكر هذا المجمع لوقا في رسالة اعمال الرسل في الاصحاح 15.

أولًا: مجمع نيقية (325م):

عُقد هذا المجمع في مدينة نيقية قرب القسطنطينية تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين، بناء على اقتراح تقدم به أسقف اسبانيا، الذي أرسله الإمبراطور لحل قضية خلافية عمت أرجاء الدولة الرومانية بين أريوس وبطريرك الأسكندرية، وكان أريوس يتبنى رأي الموحدين، بينما يتبنى بطريرك الإسكندرية رأي المؤلهين لعيسى عليه السلام[107].

أراد قسطنطين أن يحسم النزاع بين المسيحيين، فدعا الى عقد مجمع نيقية سنة 325 م، وأرسل بذاته رسائل الى الفرق المتخاصمة، وفي هذا يقول مؤرخ المسيحية ابن البطريق :بعث الملك قسطنطين الى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع في نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة 2048 وكانوا مختلفين في الآراء والأديان، فمنهم من كان يقول: أن المسيح وأمه إلهان إثنان من دون الله، ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر،

---

[106] ـ محاضرات في النصرانية ، محمد أبو زهرة 120)

[107] ـ (مقارنة أديان / جامعة القدس، 260)

إنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، لأن كلمة الله دخلت في أذنها، وخرجت من حيث يخرج الولد. ومنهم من قال: أن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت، كواحد منا في جوهره، ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة ألهة لم تزل، ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول[108].

كان مجمع نيقية المنعقد في 20 ماي من العام 325م أول مجمع مسكوني مهم بشموليته في التمثيل وبموضوعه. وكان انعقاده بدعوة من الامبراطور قسطنطين الثاني الذي تنصر ومال إلى رفض ما قاله آريوس من أن المسيح غير مساو للاب في الجوهر، وأن ذلك بدعة تجب مواجهتها، وقد حضر هذا المجمع 318 أسقفا وعدد من القساوسة والشمامسة، وبعد مداولات صدر ما عُرف باسم دستور الإيمان النيقاوي، وصيغته هي: **(نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل ما يُرى وما لا يُرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الاب قبل الدهور: إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنساناً، وصُلب عنَّا على عهد بيلاطس البنطي، وتألم وقُبر، وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الرب، وأيضا يأتي بمجد عظيم ليُدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه. ونؤمن بالروح القدس، الرب المحيي، المنبثق من الاب والابن، الذي هو مع الابَ والابن، مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء. ونؤمن بكنيسة واحدة مقدسة، جامعة، رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامة الموتى، والحياة في الدهر الآتي، آمين)**
هذا عند الكاثوليك والبروتستانت أما عند الأرثوذكس فيقولون عبارة: الروح القدس المنبثق من الاب فقط[109].

عُقد هذا المجمع في مدينة نيقية[110] للبت في الاختلاف بين رؤساء كنيسة الإسكندرية حول حقيقة المسيح، بين البطريك ألكسندر ومعاونه الشماس إثناسيوس من جهة، والأسقف أريوس من جهة ثانية. فآريوس يرفض فكرة ألوهة المسيح، ودافعه هو الحفاظ على كمال الله الاب وسرمديته وألوهيته، وفي الوقت نفسه نسب دور هام للمسيح الابن، يميزه عن الاخرين. كما أنه لم يستطع أن يقبل وجود تغيير أو انقسام في الله الاب الذي كان الجوهر النهائي. ويرى آريوس أن الكلمة (Logos / المسيح) مهما سما فوق باقي الخليقة، فهو كائن مخلوق أوجده الله ولذلك له بداية، وفي وقت ما، لم يكن له وجود. ولذلك أيضا كان الابن من جوهر آخر غير جوهر الأب. وهو يَعتبر أن وجود اللوغوس الكلمة (المسيح) ليس وجودا

---

[108] ـ (أضواء على المسيحية / د .رؤوف شبى، 97 ،98)

[109] ـ ترجمان الأديان، ص 349.

[110] ـــ نيقية بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر القاف وياء خفيفة. وهي من أعمال إسطنبول على البر الشرقي وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أبا (أسقف) يزعمون أن المسيح عليه السلام كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة وبه أظهروا الأمانة (قانون الايمان) التي هي أصل دينهم وصورهم وصورة كراسيهم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دون ط، دار الفكر، بيروت، دون تاريخ نشر، ج5، ص333.

حتميا، لكنه نتيجة لفعل اختياري حر من الاب خالق الكلمة اللوغوس. وكمخلوق زمني(له بداية) كان الكلمة اللوغوس خاضعا للتغير[111].

1- سبب انعقاد مجمع نيقية:

أ- سبب عام: يتمثل في الاختلاف بين الطوائف المسيحية في شخص المسيح، فقد اشتد الاختلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعدت مسافات الخلاف تباعدا شديدًا، ولا يمكن أن يكون معه وفاق، وكان الخلاف يدور حول شخص المسح، أهو رسول من عند الله فقط، أم له بالله صلة خاصة أكبر من كونه رسول، وأنه من الله بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمته! ومن قال أنه ابن الله، له صفة القدم كما لله تلك الصفة.

ب- سبب خاص: يتمثل في مقالة أريوس[112] ، التي اعتبرتها كنيسة الإسكندرية بدعة. فقد قال آريوس بوحدانية المعبود منكرا ما جاء في الأناجيل مما يوهم بألوهية المسيح وهذا سبب محاربته لكنيسة الإسكندرية وبطريكها، ومما قال أريوس: "يسوع المسيح ليس أزليًا وإنما هو مخلوق من الآب، وأن الابن ليس مساويًا للآب في الجوهر، لأن ألوهيته مكتسبة من الآب".

2- عدد المجتمعين: كان عدد المجتمعين عامة 2048، وبعد التناظر انشق المجمع إلى قسمين:

فريق أول ذهب للقول بألوهية المسيح وعددهم 318 أسقفا وهم تابعون لرأي قسطنطين.

وفريق ثانٍ معارض وهم شتى في المذهب والرأي.

3- قرارات المجمع[113]:

أ- ألوهية المسيح، وأنه من جوهر الله وأنه قديم بقدمه، وأنه لا يعتريه تغير ولا تحول.

ب- طرد كل من يخرج عن هذه العقيدة.

ج- حكم المجمع على أريوس بحرمانه ونفيه وحرق كتبه.

د- اختار المجمع الكتب المقدسة التي لا تتعارض مع القرارات وحرق ما عداها.

4- الآثار المترتبة على قرارات هذا المجمع:

كان عام 325م أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح. وفي هذا المجمع أتم المتآمرون ما بدأه (بولس اليهودي)، وحققوا ما أراده حين حولوا المسيحية من دين سماوي كما جاء به المسيحυ، إلى دين خليط من الوثنيات والخرافات والأساطير. فالمسيحية كانت قبل هذا المجمع قائمة على التوحيد، لكن هذا المجمع فرض قراره في قضية

---

[111] ـ ترجمان الأديان، ص 350.

[112] ـــ ولد في ليبية (بحدودها القديمة) في القيروان بإفريقيا سنة 270م، ودخل في شبابه المدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رسمه البابا بطرس ــ بطريرك الإسكندرية ــ شماساً سنة 307م، ثم قساً وواعظاً، وكان ذكياً فصيحاً، فما لبث أن طلع على الناس بعقيدة جديدة تخالف عقيدة الكنيسة وتهدمها، فآريوس ينادي بعقيدة:" الآب أقدم من الابن، وأنه خَلق الابن من العدم، فالابن إذاً غير مساوٍ للآب في الجوهرِ، لأنه أدنى منه في الطبيعة والمنزلة. ينظر: زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط المسيحية، ط1، مصر، دون تاريخ نشر، ج1، ص54.

[113] ـــ سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، المرجع السابق، ص 83، وص85ـــ86، ص 91.

هي من أخطر قضايا العقيدة وهذا يظهر جليا في نص الأمانة التي جعلت أساس دينهم قائم على التثليث[114]. ولذلك قال تعالى:**(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)[المائدة:72].**

ثانياً- المجمع القسطنطيني الأول (381م):

هذا المجمع من المجامع المهمة عند المسيحيين، لأنه كان استكمالا لما بدأه مجمع نيقية الذي اقر الوهية المسيح وأنه ابن الله، لكنه لم يذكر شيئا عن الأقنوم الثالث من الثالوث، حيث أقر هذا المجمع ألوهية الروح القدس ليتم الثالوث المسيحي. ويبدو أن هناك أفكارا قد ظهرت في مسألة التأليه للروح القدس، حيث قال مقدونيوس أن الروح القدس ليس بإله وإنما هو مخلوق، وشاعت هذه المقالة فتقبلها الموحدون وخالفها المؤلهون، فانعقد هذا المؤتمر من أجل ذلك، وكان عدد المجتمعين فيه لا يزيد عن مائة وخمسين أسقفاً[115].

1- سبب انعقاده: دعا الإمبراطور "ثيودسيوس" سنة 381م إلى عقد مجمع القسطنطينيَّة[116] لمواجهة الدَّعوات التي كانت منتشرة بين الكنائس، منها دعوة "مقدونيوس" أسقف القسطنطينيَّة، بأنَّ الرُّوح القدس مخلوقٌ وليس إلهًا، وكذا دعوة "صابيليوس" الذَّي كان ينكر وجود ثلاثة أقانيم، ودعوة "أبوليناريوس" أسقف اللاذقية والشَّام، الذَّي أنكر وجود نفس بشريَّة في المسيح[117].

2- عدد الحضور: حضر المجمع 150 أسقفًا.

3- قرارات المجمع[118]:

أ- تقرر فيه ألوهية الروح القدس.

ب- لعن وطرد من خالف قرارات المجمع، وبذلك اكتمل ثالوث النصارى.

ثالثاً- مجمع أفسس (431م):

---

[114]ــ سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، المرجع نفسه، ص96.

[115] ـ (مقارنة أديان / جامعة الفدس: 261)

[116]ــ قُسْطَنْطِينِيّةُ: ويقال قسطنطينة. فقد كانت رومية (روما) دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا ونزل بعمورية منهم ملكان، وعمورية دون الخليج وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية، واسمها اليوم إسطنبول، فلما عمّرها ملك الروم قسطنطين سميت باسمه، وذُكر أن لها أبوابا كثيرة نحو مائة باب، منها: باب الذهب وهو حديد مموّه بالذهب. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج4، ص347.

[117] ـ سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، المرجع نفسه، ص97.

[118] ـ سلطان عبد الحميد سلطان، المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، المرجع نفسه، ص97.

لم يحسم مجمع نيقية الجدل حول طبيعة السيد المسيح، فعُقد عام 431 م مجمع أفسس[119] لشجب تعاليم نسطوريوس (ت 451 م) الذي قال: "إن يسوع كان في الواقع شخصين، شخصا إلهيا وشخصا بشريا، فالثاني ولدته مريم والأول هو كلمة الله الأزلية، ولا يزال الكلدان الكاثوليك (في المشرق) على هذه العقيدة[120].

1 ـــ سبب انعقاده: مقوله نسطور[121] أسقف القسطنطينيَّة حول طبيعة المسيح: "المسيح له طبيعتان إلهيَّة وإنسانية بشريَّة وأنَّ مريم والدة الإنسان وليست والدة الإله".

2- عدد الحضور: عقد المجمع بحضور160 أسقفًا.

3- قرارات المجمع[122]:

أ- أنَّ المسيح إله وإنسان ذو طبيعة واحدة وأقنوم واحد وأن مريم أمُّ الإله تعالى الله عن ذلك.

ب ـ حكم على نسطور بالطَّرد من الكنيسة.

ورغم نفي نسطور وطرده، الا أن مذهبه انتشر في بقاع كثيرة في المشرق، فقد انتشر في هذه المنطقة، وتكاثر أتباعه في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة[123].

رابعًا- مجمع خلقيدونيا (451م):

كانت نتائج المجمع السابق تَعتبر أن للمسيح طبيعتين: لاهوتية، وناسوتية، وهذا القرار لم يَحسم النزاع بين الطوائف المسيحية المتخاصمة، لاسيما والفريق المعارض أخذ ينشر مذهبه، وعلى الجهة المقابلة خرج بطريرك الإسكندرية (أوطيخا) بمذهب جديد في تفسير طبيعة المسيح، يقول: أنهما طبيعتان في طبيعة واحدة، أي أن اللاهوت والناسوت إلتقيا في المسيح، ولهذا عَقد بطريرك الإسكندرية مجمع أفسس الثاني سنة 449م، وقرر فيه مذهبه: أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت. فغضبت الكنيسة الغربية، وسمت هذا المجمع بمجمع اللصوص، وبرزت بسبب ذلك أفكار دينية حول صحة انعقاد مجمع أفسس الثاني، ومدى سلطانه التشريعي. فعم البيئة المسيحية نزاع وفوضى فكرية

---

[119] ـــ أسست مدينة أفسس من قبل أهل أثينا كولاية تابعة لها في القرن العاشر قبل الميلاد، وقد حكمت امبرطورية فارس المدينة حوالي 200عام إلى أن استولى عليها الإسكندر الأكبر سنة 334 ق.م. ينظر: سان بيتر، إعداد ماهر كامل، المدن الهامة في تاريخ المسيحية، دون ط، دون تاريخ ومكان نشر، ص15ـــ17.

[120] ـ ترجمان الأديان، ص 350.

[121]- ولد نسطور سنة 381م، بمدينة مرعش بسوريا، وتربى في أنطاكية، انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، صححه وعلق عليه: أحمد فهمي محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1413هـ/1992من ج2، ص251، وهناك ترهّبن بدير أيروبيوس، وقد تتلمذ على يدي ثيودوروس النيصي، واشتهر بفصاحته وقوة عظاته ومن أقوال نسطور" أن الكلمة هو ابن الله، وأن يسوع هو ابن العذراء مريم. كان نسطور ينادي أن في السيد المسيح أقنومين وشخصين وطبيعتين، فهو حين يصنع المعجزات يكون ابن الله، وحين يتألم ويجوع ويعطش ويصلب ويموت يكون ابن مريم.

[122] ـــ سعود بن عبد العزيز الخَلف، دراسات في الأديان اليهوديَّة والنصرانيَّة، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، 1418هـ/1997م، ص184 ـــ 185.

[123] ـ (محاضرات في النصرانية / ابو زهرة، 210)

ودينية، فأرادت ملكة الرومان انهاء ذلك الشغب، فدعت إلى عقد مجمع في مدينة خلقيدونية[124] .

عقد مجمع خلقيدونيا في العام 451 م ، وخلقيدونيا هي اليوم "قاضي كوي" في تركيا، وانعقد المجمع إذن لنبذ تعاليم أوطيخا القائل بأن المسيح أقنوم واحد وليس له طبيعة بشرية بل طبيعة إلهية، وعُرف أتباعه بالمونوفيزيين، وقد رفض مجمع خلقيدونيا ما قاله أوطيخا، وأقر مَّا جاء في دستور الإيمان النيقاوي، واعتير مقولاته بدعة، ولا يزال السريان الأرثوذكس من المؤمنين بما قال به أوطيخا.[125]

1- سبب انعقاده: يعود سبب انعقاد هذا المجمع في بقاء الخلاف قائما حول طبيعة المسيح وبالضبط في مسألة اجتماع العنصر الإنساني والعنصر الإلهي فيه، فلم يُقضَ على نحلة نسطور قضاءً تاما، وان كان قد نفاه وآذاه، بل نمت نحلته بعد ذلك في المشرق. كما أنَّ كنيسة الإسكندرية خرجت هي الأخرى برأي جديد عرضته على الملأ من الأساقفة وجمعوا له مجمعا خاص، وهو مجمع أفسس الثاني (449م)، قرروا فيه: "أنَّ للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت"، فلما عارضه بطريك القسطنطينيَّة وأعلن انسحابه من المجلس وعدم احترامه، قرر رئيس المجلس (ديسقورس وهو بطرياك الاسكندرية) حرمانه مع حدوث صخب شديد،كاد أن يودي بحياة رئيس كنيسة القسطنطينيَّة، وقد اشتد الخلاف حول هذا المجمع، أهو صحيح ومحترم، أم هو مجمع غير عام لا تلتزم بآرائه الكنائس كلها؟.

2- عدد الحضور: حضر هذا المجمع 520 أسقفا وقد عقد تحت اشراف زوج الملكة.

3 ـ قرارات هذا المجمع[126]:

أ- قالوا أنَّ مريم العذراء ولدت الاله، يسوع المسيح الذي هو مع أبيه في الطبيعة الإلهيَّة، ومع النَّاس في الطبيعة الإنسانية، وشهدوا أنَّ المسيح له طبيعتان، وأقنوم واحد، ووجه واحد.

ب- لعنوا مجمع أفسس الثاني (الذي سمي بمجمع اللصوص)

ج ـــــ أكدوا لعنهم نسطور، ومن يقول بمقالته. ولعنوا ديسقورس بطرياك المصريين كذلك ونفوه إلى فلسطين.

4- الآثار المترتبة عن قرارات هذا المجمع[127]:

أ- انقسام الكنائس المسيحية، وذلك بانفصال الكنيسة المصرية عن باقي الكنائس. وتمايز بذلك المذهب المصري (سمي بالمذهب اليعقوبي) عن المذهب الروماني (سمي بالمذهب الملكي أو الملكتني).

ب- عدم اعتراف المصريين بقرار المجمع، ولقد اشتد النزاع لهذا السبب بين المصريين والرومان فثار المصريون وغضبوا عندما رأوا بطريركا يُعين لهم على غير مذهبهم، وعلى غير رغبتهم.

5 ـ مجمع القسطنطينية الثاني عام 553 م

---

[124] ـ (اضواء على المسبحة / د .رؤوف شلى، 104، 105)

[125] ـ ترجمان الأديان، ص 350.

[126] ـ سعود بن عبد العزيز الخَلف، دراسات في الأديان اليهوديَّة والنصرانيَّة، المرجع نفسه، ص185. وينظر: (محاضرات في النصرانية / ابو زهرة، 142)

[127]ـ محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، المرجع السابق، ص212 - 213.

وسبب عقد هذا المجمع، أن بعض الأساقفة اعتنق فكرة تناسخ الأرواح، وقالوا أنه ليس هناك قيامة. وكذلك في قول بعض الأسافقة أن شخص المسيح لم يكن حقيقة، بل كان خيالا، فاجتمع لذلك هذا المجمع، وكان عدد الحاضرين فيه 140أسقفا، قرروا حرمان هؤلاء الأساقفة الذين قالوا بتناسخ الأرواح وانكار القيامة، وكل من قال بأن المسيح كان خيالا، وتم لعنهم وطردهم من زمرة المسيحيين، ولم يكتفوا بذلك، بل ثبتوا قرارات المجامع السابقة، ومنها قرار مجمع خلقيدونية[128].

6 ـ مجمع القسطنطينية الثالث عام 680م:

وسبب انعقاده هو ظهور رجل اسمه (يوحنا مارون) سنة 667م، كان يقول أن المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو مشيئة واحدة لالتقاء الطبيعتين في أقنوم واحد، ولكن هذه المقالة رفضها بقية القساوسة، فأوعزوا إلى الامبراطور أن يعقد مجمعا عاما، ليقر بأن المسيح ذو طبيعتين، وذو مشيئتين. وقد أدى هذا المجمع الى هرب يوحنا مارون إلى لبنان، وانتشار دعوته في تلك المنطقة، مما أدى في نهاية المطاف الى انشقاق اتباعه الذين سُموا بـ: (الموارنة) عن كنيسة روما. وقد انعقد هذا المجمع بحضور289 أسقف، وتقرر فيه : أن الواحد الثالوث الابن الوحيد الذي هو الكلمة الأزلية الدائم، المستوي مع الأب الإله في أقنوم واحد، ووجه واحد، يُعرف تماما بناسوته، وبلاهوته في الجوهر، وأنه هو الربُ يسوع المسيح، له طبيعتين تامتين وفعلين ومشيئتين في أقنوم واحد[129].

7 ـ مجمع نيقية الثاني عام 787م:

انعقد هذا المجمع لإعادة النظر في قرارات المجمع الذي عقده الإمبراطور قسطنطين الخامس عام 754م، وقرر هذا المجمع: تحريم اتخاذ الصور والتماثيل في العبادة. وتحريم طلب الشفاعة من مريم العذراء. لأجل هذا الجمع انعقد مجمع نيفية الثاني سنة 787 م، وكان عدد الحضور377 أسقفا وأصدروا القرارات التالية[130]:

1- تقديس صور المسيح والقديسين.

2- وضعها في الكنائس والأبنية المقدسة والبيوت والطرقات، لأن النظر الى الرب يسوع المسيح ووالدته والقديسين يذكرهم بهم، ويدفعهم للتفكير فيهم.

8 ـ مجمع القسطنطينية الرابع869م:

كان أساس الخلاف في المجامع السابقة (طبيعة المسيح) ولم يتعرض أحد للروح القدس، ومن أي شيء انبثق، حتى أثار بطريرك القسطنطينية، هذا الموضوع، فحكم بأن انبثاق الروح القدس كان من الأب وحده، فعارضه في ذلك بطريرك روما معتبرا أن الروح القدس انبثق من الأب والابن معا، ولم يكن من أحدهما. فبرز الخلاف والصراع بين كنيسة روما وكنيسة القسطنطينية، وعزل بسبب ذلك بطريرك القسطنطينية، وجاء خلفه بطريرك أخر، فعقد هذا الأخير مجمعا في القسطنطينية عام 869 م، سماه المؤرخون (المجمع

---

[128] ـ (عاضرات في النصرانية / عمد أبو زهرة، 215)

[129] ـ (محاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة، 216)

[130] ـ (اضواء على المسيحبة / د .رؤوف شبي، 111، 112)

الغربي اللاتيني) للنظر في قضية انبثاق الروح القدس من الأب والابن. وكان من أهم قراراته[131]:

1 ـ إنبثاق الروح القدس من الأب والابن معا.

2- كل ما يتعلق بالديانة المسيحية ينبغي أن يرفع إلى الكنيسة بروما.

3 ـ كل المسيحيين في العالم يخضعون لكل المراسيم والطقوس التي يقول بها رئيس كنيسة روما.

4 ـ لعن وطرد بطريرك القسطنطينية وحرمانه هو واتباعه.

9 ـ المجمع القسطنطيني الخامس 879م:

وسبب انعقاده أن بطريرك القسطنطينية المعزول استطاع أن يعود الى مركزه، فعمد الى ما كان قرره مجمع القسطنطينية الرابع عام 869 م ليبطله، وليقرر مذهبه، فعقد مجمعا تاريخيا سمي بـ: (المجمع الشرقي اليوناني) سنة 879م وكان من أهم قراراته[132]:

أ ـ رفض كل ما قرره المجمع القسطنطيني الرابع المنعقد عام 869 م.

ب ـ قرروا : انبثاق الروح القدس عن الأب فقط. وكان هذا هو أهم سبب في انفصال الكنيسة اليونانية الشرقية (الروم الارثوذوكس) عن الكنيسة اللاتينية الغربية (الروم الكاثوليك).

10- مجمع روما عام1123 م:

وأهم قراراته أن تعيين الأساقفة من شأن البابا لا من شأن الحكام[133].

11- مجمع روما عام1139م:

انعقد هذا المجمع لإزالة الفرقة بين الكنيستين الشرقية والغربية، وقد حضره ألف أسقف، ولكنه فشل في التوصل الى إزالة الخلافات بين الكنيستين[134].

11- مجمع روما1179م:

انعقد هذا المجمع لوضع نظام التأديب الكنسي، وفيه تقرر ما يلي[135]:

1ـ انتخاب البابوات بثلثي عدد الكرادلة.

2- السكوت عما شاع عن استحالة الخبز والخمر في العشاء الرباني، الى جسد ودم المسيح.

12- مجمع روما 1215 م:

وقد بحث هذا المجمع ما شاع عن استحالة الخبز والخمر إلي جسد المسيح، تقرر فيه ما يلي[136]:

---

[131] ـ محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 218.

[132] ـ محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 219.

[133] ـ (اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 115) وأبو زهرة، 220.

[134] أبو زهرة، 220.

[135] (اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 115) و أبو زهرة، 220.

[136] (اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 115) و أبو زهرة، 220.

1 - اقرار ما شاع سابقا من أن الخبز والخمر في العشاء الرباني يتحول إلى جسد و دم المسيح، وجعله مبدأ دينيا.
2-الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.
وتتوالى بعد ذلك المجامع الكاثوليكية، وأهم هذه الجامع واعظمها أثرا، وأقواها عملا المجمع التاسع عشر (مجمع تريدنتو من عام 1542 الى عام1563).

13 - مجمع تريدنتو من عام 1542 الى عام 1563:

وقد انعقد هذا المجمع المتواصل لأكثر من عشرين عاما، للرد على الأفكار التقدمية التي ظهرت بين الجماهير المسيحية، والتي أدت الى ظهور فرقة (البروتستانت)، وكانت كل قراراته قائمة للرد على أفكار الفرقة البروتستانتية[137].

14 - مجمع روما عام 1869م:

من أهم قراراته: اقرار أن البابا معصوم[138]. وبذلك انتقل حق التشريع الى البابا كرأس للكنيسة، وعن طريقه أصبحت الكنيسة تملك حق التشريع، وقد نسب المسيحيون عصمة الكنيسة ومن ثم (البابا) وأرجعوها الى المسيح حيث يقول الأب بولس الياس: "لقد خول السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه : (كما أرسلني الأب، هكذا أنا أُرسلكم)" . ويقول عبد الأحد داود : "إن المسيحيين عندما اثبتوا عصمة البابا انتقلت كل السلطة في اصدار القرارات وتعيين المعتقدات والأحكام الى حبر روما، وأصبح حكمه قطعياً"[139].

المحاضرة الرابعة: العقائد والشعائر والعبادات في المسيحية.

تمهيد:

كانت المسيحية في أصلها وكونها رسالة عيسى عليه السلام، ديانة توحيد تدعو إلى عبادة اله واحد، وتقرر أن المسيح إنسان من البشر أرسله الله تعالى بدين جديد، ولكن لم تمض بضع سنين على رفع المسيح حتى أخذت مظاهر الشرك والزيغ والانحراف تتسرب إلى معتقدات بعض الفرق المسيحية، وهي مظاهر وافدة اليها أحيانا من فلسفات قديمة، وأحيانا من رواسب وديانات ومعتقدات كانت سائدة في البلاد التي انتصرت فيها المسيحية.
فانقسم المسيحيون الى طائفتين: طائفة جنحت عقائدها الى الشرك بالله، وطائفة ظلت عقائدها محافظة على التوحيد، وضم كل طائفة من هاتين الطائفتين تحت لوائها فرقا كثيرة[140].

لكن الطائفة الأولى هي التي سيطرت على الموقف من خلال قرارات مجمع نيقية، فأصبحت عقائدها هي المسيطرة باعتبار أن أصحابها صاروا يستمدون قوتهم من السلطة

---

[137] - (اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 116). وأبو زهرة، 220
[138] (اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 116). وأبو زهرة، 220
[139] - (ابحاث في الشرائع / د .فؤاد عبد المنعم، 150)
[140] - (الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للأسلام / د .علي عبد الواحد وافي، 120، 121)

الرومانية والإمبراطور، وبذلك بدأت تسود في الأوساط المسيحية عقيدة الثليث والوهية المسيح، وهي التي استمرت الى وقتنا الحاضر بعد أن انقرضت عقيدة التوحيد وبشرية المسيح.

أولا: العقائد المسيحية.

تتمحور الديانة المسيحية بشكل خاص حول شخص المسيح، الذي هو في العقيدة المسيحية متممُ النبوءات، وابن الله المتجسد، الذي قَدّمَ في العهد الجديد ذروة التعاليم الاجتماعية والأخلاقية، وأيّد أقواله بمعجزاته، وهو مُخلّص العالم بموته وقيامته، وهو الوسيط الوحيد بين الله والبشر. فالمسيحيون يؤمنون بأن الله واحد، فقد جاء في **إنجيل مرقص 12/29** "الرب إلهنا رب واحد"، غير أن الله في العقيدة المسيحية، مكون منذ الأزل وإلى الأبد، من ثلاثة أقانيم[141] متحدة في نفس الجوهر، وتسمى هذه العقيدة بعقيدة التثالوث[142] الأقدس، ولا يمكن قبول أحد الأقانيم منفردًا بل يجب التسليم بها جميعًا، وأهم عقائد المسيحية هي: التثليث (الإيمان بأقانيم ثلاثة)، عقيدة الصلب والفداء، والمحاسبة (الدينونة).

1- التثليث والإيمان بثلاثة أقانيم:

إن العقيدة المسيحية في الألوهية أخذت الكثير من الجدل والخلاف، وعاش هذا الخلاف قرونا، وحصلت الانقسامات في الكنيسة، فكانت غالبا بتأثير تنوع الأفهام حول التوحيد والأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس، وكان السبب الذي ولد اللبس والتشويش هو كيفية التوفيق والربط بين الوحدانية وبين الظهورات في الأقانيم. فكلمة "تثليث" لم تكن معروفة في السنوات الأولى من عمر المسيحية، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: "والكلمة نفسها: التثليث أو الثالوث، لم ترد في الكتاب المقدس، ويُظن أن أول من صاغها واخترعها واستعملها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد" . فترتليان (160-240م) اعتنق المسيحية في روما سنة 190م، وقد سُمي أبو الفكر اللاهوتي اللاتيني، لأنه كان المفكر الرئيسي الذي صاغ المصطلحات والتعبيرات التي سادت في الكنيسة الغربية. وأبرز تلك المصطلحات (سر Sacrumentum . الثالوث Trinitaire . الجوهر) Substantia.

---

[141] ـ الاقنوم في اللغة تعني "القائم حقيقة"، وقد اتخذت لفظة "أقنوم" معاني عديدة عبر التاريخ. من ذلك أنها كانت تستعمل كمرادف لكلمة ماهية باليونانية، فكلاهما يحددان وجوداً موضوعياً جوهرياً، أي يحددان ما هو موجود وقائم. ولكن "ماهية" تميل إلى العلاقات والمميزات الداخلية، بينما تشير لفظة "أقنوم" إلى الطابع الواقعي الخارجي للجوهر. حالياً تستعمل أقانيم كمرادف للفظة العربية: أشخاص، وهي تختلف في المعنى عن لفظة فرد، لهذا فالمسيحيون يقولون: إن الله ثلاثة أقانيم (أي ثلاثة أشخاص).

[142] ـ الثالوث: هي الأقانيم الثلاثة (الآب، الابن والروح القدس) تشترك معاً في جميع خواص الجوهر الإلهي الواحد وتتمايز فيما بينها بالخواص الأقنومية. فالآب : هو الأصل أو الينبوع في الثالوث، هو أصل الجوهر وأصل الكينونة بالنسبة للأقنومين الآخرين، والابن: هو مولود من الآب ولكنه ليس مجرد صفة بل أقنوم له كينونة حقيقية، وغير منفصل عن الآب لأنه كلمة الله، والروح القدس: انبثق من الآب ولكنه ليس مجرد صفة بل أقنوم له كينونة حقيقية وغير منفصل عن الآب لأنه روح الله.

وهو ما تذهب إليه "دائرة المعارف الكتابية" فقد ورد فيها، تحت مادة ثالوث: "لم ترد كلمة الثالوث في الكتاب المقدس، حيث لا يذكر الكتاب المقدس هذا اللفظ بالذات، تعبيرا عن مفهوم أنه ليس هناك سوى الله الواحد الحقيقي، وأن في وحدانية الله ثلاثة أقانيم هم واحد في الجوهر، متساوون في الأزلية والقُدرة والمجد، لكنهم متمايزون في الشخصية... لا يمكن إثبات عقيدة الثالوث بالعقل لأنها تسمو عن إدراك العقل ... فالثالوث الأقدس فريد لا مثيل له في الكون كله، وعليه فليس ثمة ما يعيننا على فهمه... ويكفينا أن نلاحظ أنه في العهد الجديد لا يوجد سوى الله الحي الحقيقي الواحد الوحيد... وأن الاب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم متميزون". فلم يرد في نصوص العهد الجديد الا نص في إنجيل متى، يربط محتوى التثليث بالمعمودية، متى28/ 19: (إذهبوا وتلمذوا الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس) وهو ما أقر على أساسه المجمع المسكوني في نيقية دستور الإيمان المسيحي[143].

والتثليث عند المسيحيين يقوم على أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فدور الأب هو الخلق بواسطة الابن، ودور الابن هو الفداء، ودور الروح القدس هو التطهير. ونجد الكتاب المسيحيين يحاولون في دفاعهم عن التثليث اثبات أمور ثلاثة هي[144]:

1- إثبات أن التوراة وجد فيها أصل التثليث، لوحت به ولم تصرح ، واشارت إليه ، ولم توضح.

2- أن في اللاهوت ثلاثة أقانيم، وهي في شعبها متغايرة، وإن كانت في جوهرها غير متغايرة.

3 - أن العلاقة بين الأب والابن ليست ولادة بشرية، بل هي علاقة المحبة والإتحاد في الجوهر.

والأقانيم كلمة سريانية الأصل مفردها (أقنوم) وهو الشخص الكائن المستقل، ويحدد اللاهوتيون معناه بقولهم: الإله الواحد في ثلاثة أقانيم متميزين (أب وابن وروح القدس) كل أقنوم قائم بذاته، طبيعتهم واحدة وجوهرهم واحد، وهم أزليون على حد سواء، لكن يختلفون في المنشأ، فالأب موجود بنفسه لم يأخذ الوجود من سواه، والإبن متولد من الأب، والروح القدس منبثق من كليهما (وهو منبثق من الاب فقط عند الارثوذكس).

ويرى فلاسفة المسيحية أن الله (تعالى عما يقولون) يتكون من ثلاثة أقانيم، أي ثلاثة عناصر أو أجزاء : الذات، والنطق، والحياة، فالله موجود بذاته ناطق بكلمته حي بروحه. وكل خاصية من هذه الخواص نعطيه وصفا معينا، فإذا تجلى الله بصفته ذاتا سمي (الأب)، واذا نطق فهو(الابن) ، واذا ظهر كحياة فهو(الروح القدس) ويرى هؤلاء أن الإنسان خُلق على صورة الله، فكما أن الله مثلث الأقانيم، كذلك فإن الانسان مكون من ثلاثة عناصر، فالإنسان بذاته كائن على صورة الله ومثاله، وناطق على صورة الله ومثاله، وحي على صورة الله ومثاله.

---

[143] ـ ترجمان الأديان، ص 346- 348.

[144] (محاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة، 173- 174.

ولتقريب هذا المفهوم كثرت التمثيلات والتشبيهات عند المسيحيين، فقد مثله بعضهم بالتفاحة، فكما أن التفاحة لها ثلاث خواص هم: الذات والطعم والرائحة، ويمكن التمييز بين هذه العناصر، رغم أنها تفاحة واحدة، فالرائحة مثلا غير الذات والطعم، والذات هي علة الطعم والرائحة. وكذلك شبه آخرون الثالوث بالشمس، فالشمس أيضا تتكون من ثلاثة عناصر أو أجزاء هي: جرم الشمس، وشعاع الشمس، وحرارة الشمس، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع والجرم، والكل شمس واحدة. ويذهب بعضهم الى تفسير أخر، يحاولون به حل لغز الثالوث، فقالوا: الله محبة، وحتى تتحقق هذه المحبة والسعادة، لابد أن تكون بين اثنين على الأقل، فلابد من أخر يهبه الله هذه الهبة ليجد السعادة، فكان الابن الذي ولده من الأزل نتيجة لحبه إياه، وثمرت هذه المحبة المتبادلة بين الاب والابن كانت روح القدس[145].

والكنائس المسيحية كلها تعتقد التثليث، فهو موضع اتفاق، لكن موضع الخلاف هو العنصر الإلهي في المسيح، أهو الجسد الذي تكون من روح القدس ومن مريم العذراء، الذي اختلاطه بالعنصر الإلهي فصار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة؟ أم أن الأقنوم الثاني (الابن/ المسيح) له طبيعتان؟. فهم يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية، لكن عند هذه المحاولة تتعقد فكرة التثليث، وتصبح بعيدة عن التصور، كما هي ذاتها مستحيلة التصديق. حتى أن علمائهم أنفسهم يعتقدون أنها بعيدة التصور، لأنه من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث[146].

وعندما يقول النصارى ان في الألوهية أبوة وبنوة، فهل يعقل أن يكون الله أباً وأبناً معاً في وقت واحد. ويلزم من كونه واحداً ألا يمكن أن يكون أباً لنفسه، ولا أن يكون ابن لنفسه، إذن فلا ريب في أن العقيدة المذكورة قائلة بوجودين مطلقين أو إلهين مستقلين. ثم إن الروح القدس الصادر والمنبثق على الدوام من هذين الوجودين المطلقين أو المستقلين (الآب والابن)لما كان ليس أباً ولا ابناً وجب أن يكون له وجود مطلق ثالث مستقل[147] .

الانتقادات الموجهة لعقيدة التثليث[148]:

أ - الانتقاد العقلي لعقيدة التثليث: المسيحيون يعتقدون أن التثليث حقيقي والتوحيد حقيقي، ولكن اذا وجد التثليث الحقيقي وجدت الكثرة الحقيقية أيضا، وإذا ثبت التثليث والكثرة الحقيقيان انتفى التوحيد الحقيقي ولا يمكن ثبوته، فمن المحال اجتماع الضدين الحقيقيين. ويلزم تعدد واجبي الوجود، وهو محال أيضا، فالقائل بالتثليث لا يمكن أن يكون موحدا لله توحيدا حقيقيا، لأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح، وليس هو مجموع أحاد.

ب – الانتقادات من خلال أقوال المسيح عليه السلام: فأقوال المسيح تتناقض مع عقيدة التثليث، حيث أن هناك الكثير من النصوص المنقولة عن المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند المسيحيين، تؤكد عقيدة التوحيد، وتنفي الوهية المسيح. ومن ذلك ما ورد في انجيل يوحنا3/17: قول المسيح عليه السلام مخاطبا الله تعالى: (وهذه هي الحياة

---

145 - النصرانية من التوحيد الى التثليث / د . محمد الحاج، 209- 212)

146 - (محاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة، 176

147 - المهتدي دافيد بن يامين الكلداني، حقيقة المسيحية، 9)

148 - (ينظر: محمد الخطيب/ مقارنة الأديان/ 311)

الأبدية أن يعرفوك، أنت الاله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته). وجاء في انجيل مرقص30/12: (اسمع يا إسرائيل. الرب الهنا رب واحد). وجاء في إنجيل متى50/27: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: الهي الهي لما شبقتني؟. (أي الهي الهي لماذا تركتني؟)). كما ورد في انجيل يوحنا17/20: أن عيسى عليه السلام قال لمريم المجدلية: (ولكن اذهبي الى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم).

وقد جاء في كتاب تاريخ الكتاب المقدس: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير"، ويفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة، ملازمة لذات الخالق". والمسيحيون يعتقدون أنَّ في اللاهوت ثلاثة أقانيم، وأنَّ العلاقة بين الأب والابن ليست ولادة بشرية، بل هي علاقة المحبة والوحدة في الذات. وتعتقد الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية بأن للأقنوم الثاني طبيعتينِ، ومشيئتين. فالكنائس كلها تعتقد التثليث؛ وهذا موضع اتفاق، ولكن موضع الخلاف بينها هو العنصر الإلهي في المسيح، أهو الجسد الذي تكون من الروح القدس ومن مريم العذراء الذي باختلاطه بالعنصر الإلهي صار طبيعة واحدة ومشيئة واحدة أم أن الأقنوم الثاني له طبيعتان ومشيئتان؟ [149].

ويفهم من كل هذا أن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون أن في اللاهوت ثلاثة يعبدونهم، وعباراتهم تفيد أنهم متغايرون وإن اتحدوا في الجوهر والقدم، والصفات، والتشابه بينهم كامل، ولكن كُتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعاً أقانيم لشيء واحد، هو جوهر الالوهية، أي أنهم يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية.

ج ــ الانتقادات أخرى: تذهب بعض الآراء الى أن تاريخ تبلور عقيدة التثليث بدأ مع الاضطهاد الديني للمسيحيين من قبل الإمبراطورية الرومانية وشعبها الوثني، أين وجد المسيحيون أنفسهم بين خيارين: إما أن تفنى المسيحية بفناء أتباعها، أو أن يتم دمج المسيحية بالوثنية، وهذا ما تم من قبل الامبراطور قسطنطين. فقد حافظ هذا الأخير على وثنيته مع قبول المسيحية كدين جديد لروما، فقد أدخل الكثير من الوثنيات فيها حتى انقسمت المسيحية في زمانه إلى قسمين: مسيحية ما قبل مرحلة قسطنطين، وبالضبط ما قبل مجمع نيقية. وتميزت هنا بأن المسيح كان عند أتباعه مجرد إنسان فانٍ. أما المرحلة الثانية أي ما بعد مجمع نيقية، فقد تميزت بتأليه المسيح واعتباره ابن الربِّ، وهذه هي البداية الفعلية للتثليث. ومع ذلك فإن الحديث عن التثليث في المسيحية أسبق من ذلك، فالأناجيل والرسائل فيها إشارات للتثليث وتوجد كذلك إشارات في العهد القديم تم تفسيرها لتأكد معنى التثليث نذكر منها كأمثلة:

- في العهد القديم:

جاء في سِفر التكوين: "وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (التكوين:26/1). وجاء أيضا في (التكوين:8/11): "هلم ننزل ونبلل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض". فالمسيحيون يفسرون النصين على أنهما يُشيران إلى التثليث، لأن لفظة الله وردت بالجمع في العهد القديم، أي "ألوهيم". يقول جوش مكدويل: "جاء اسم الجلالة في التوراة "ألوهيم" وهذه صيغة الجمع، وقد قال البعض إن هذه الصيغة للتعظيم،

---

[149] - أبو زهرة، ص 173-174.

ولكن عادة حديث الفرد عن نفسه بالجمع بقصد التعظيم لم تكن معروفة في التوراة، ولو كانت العادة موجودة للزم أن تجيء كل أسماء الله وصفاته والضمائر المتصلة به في صيغة الجمع أيضاً، غير أننا لا نجد أثراً لهذا".[150]

- في العهد الجديد:

جاء في رسالة بولس إلى كورنثوس الثانية: " نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله، وشركة الروح مع جميعكم، آمين" (2- كورنثوس 14/13) وجاء في إنجيل متى: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (إنجيل متى:19/28).

وقد اعتمدت النصارى في إثبات عقيدة التثليث على ألفاظ المعمودية (الوارد في هذا الانجيل) اعتمادا كبيراً، فقالوا إن هذا النص ذَكر الأقانيم الثلاثة، والـمُعمدُ لا يجوز أن يُعمد إلا باسم (الآب والابن والروح القدس) مُقراً بهؤلاء الأقانيم الثلاثة إلهاً واحداً. واعتبر جوش مكدويل التعميد من البراهين الكتابية القوية على عقيدة التثليث[151].

فالتثليث تاريخيا دخيل على ديانة المسيح، فقد كان المسيح في نظر أتباعه نبيّاً له معجزات إلاَّ أنه كان إنساناً فانياً، ففكرة (ابن الرب) أُقتراح تم التصويت عليه وتثبيته في المجمع النيقاوي سنة 325م، وإن كانت الإشارة بألوهية المسيح سبقت عصر قسطنطين وذلك في رسائل بولس وإنجيل يوحنا الذي ذَكر ألوهية المسيح صراحة دون تأويل، إلا أن المسيحيين الأوائل لم يكن مفهوم التثليث حاضر لديهم، ويرجع ذلك إلى أن التثليث لم يكن معروف نهائياً بينهم، وما قد يكون حاضر بينهم حول البنوة والابوة وروح القدس، كان يُفهم بمعناه المجازي التأويلي لا الحقيقي الصريح.

2 - تأليه المسيح:

مع أن النصارى يؤمنون بالأقانيم الثلاثة إلا أنهم يعظمون الأقنوم الثاني (أقنوم الابن)أكثر من غيره، فهو محور الديانة المسيحية، وحوله تدور معظم معتقداتهم، وفكرة تأليه الابن هي التي بُنيت عليها فكرة الأقانيم الثلاثة[152]. ويعتقد المسيحيون أن الله الابن، أصر بأن يصير انسانا، ويولد من مريم العذراء، لكي يكون إلها وإنسانا معا، فهو اله (منذ الأزل) ، وإنسان (من وقت التجسد)، وهو بذلك اله كامل، وإنسان كامل، فهو ابن الله وابن الإنسان، كما لقب نفسه[153]. ويستدل المسيحيون على فكرة الوهية المسيح بنصوص من العهد الجديد منها[154]:

1- اطلاق ألقاب الله على المسيح :

- ففي إنجيل متى21/1: (ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا وهو الكلمة، ومن ذلك ما ورد في مستهل انجيل يوحنا1/1-5: (وفي البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان في البدء عند الله)

2- المسيح له نفس أوصاف الله :

---

[150]ـــ جوش مكدويل، برهان جديد يتطلب قراراً إجابات لأسئلة تتحدى المسيحيين القرن الحادي والعشرين، دون ط، دون دار نشر، دون تاريخ ومكان نشر، ص237.

[151]ـــ جوش مكدويل، برهان جديد يتطلب قراراً، المرجع نفسه، ص278.

[152] - (النصرانية من التوحيد الى ال!ليث / د .محمد الحاج: ، 227)

[153] - المسيح والمسيحة والاسلام / د .عبد الغني عبود، 106.

[154] - (أنظر النصرانية من التوحيد الى التثليث / د .محمد الحاج، 228، 229)

ـ فهو الأزلي حسبما ورد في رسالة بولس إلى العبرانيين8/13: (يسوع المسيح هو أمسا، واليوم الى الأبد).
ـ وهو الحاضر في كل مكان: يوحنا 13/3: (وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء)
ـ وهو العليم بكل شيء: يوحنا 3/16: (الآن نعلم أنك عالم بكل شيء، ولست تحتاج أن يسألك أحد، ولهذا نؤمن أنك من الله خرجت) .
ـ وهو القدوس: كما في رسالة الى العبرانيين26/7: (قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات)

3 ـ المسيح يعمل أعمال الله:

ـ فهو الخالق: يوحنا 3/1: (كل شيء به كان ويغيره لم يكن شيء مما كان)
ـ وهو الذي يغفر الخطايا: مرقص5/2 : (فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج : يا بني مغفورة خطاياك)
ـ وهو الذي يقيم الموتى روحيا وجسديا: يوحنا 25/5: (الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة، وهي الآن حين بسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) .

الانتقادات الموجهة لعقيدة تأليه المسيح عليه السلام: وجهت الى هذه العقيدة الكثير من الانتقادات، ومن أهمها[155]:

أ ـ أن إطلاق لفظ ابن الله على المسيح يتعارض مع إطلاق لفظ (ابن الانسان) ولفظ (إبن داود) عليه،
وكذلك سلسلة نسب المسيح الوارد في الاناجيل الثلاثة الأولى، التي تنسبه الى داود عليه السلام، ثم إلى يعقوب عليه السلام، فإذا كان المسيح يرجع نسبه إلى الأنبياء المذكورين، الذين هم من نسل الإنسان، فلا شك إذن في أنه ابن إنسان، فابن الإنسان لا يكون الا إنسانا وليس ابن الله تعالى .

ب ـ أن لفظ الابن في قولهم (ابن الله) لا يصح أن يكون بمعناه الحقيقي، فلابد من حمله على المعنى المجازي، أي بمعنى الإنسان الصالح البار.
والدليل على ذلك المعنى المجازي قول قائد المئة (القائد الروماني) الوارد في إنجيل مرقص ولوقا، ففي إنجيل مرقص39/15: (قال حقا كان هذا الانسان ابن الله)، وفي انجيل لوقا47/23: (فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان بارا). فوقع لفظ (البار) عند لوقا مكان لفظ (ابن الله) عند مرقص، وفي هذا دليل على جواز اطلاق لفظ ابن الله على الانسان الصالح البار. وفي المقابل ورد في الأناجيل إطلاق لفظ (ابن الله) على غير المسيح من الصالحين، ففي إنجيل متى 44/5: (طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون)، وفي رسالة يوحنا الأولى1/5-2: (كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله، وكل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضا. بهذا نعرف أننا نحب أولاد الله). ولا شك أن جميع المذكورين في الفقرات السابقة ليسوا أولادا لله على الحقيقة، فوجب حمل تلك

---

[155] ـ (المسيحية / د .احمد شلبي: 125، 126)

البنوة على المعنى الجازي. ويضاف إلى ذلك أن إطلاق لفظ (ابن الله) على كثير من الأنبياء في العهدين القديم والجديد، ففي انجيل لوقا(3 /38) أطلق على أدم (ابن الله)، وفي سفر الخروج (4 : 22) (أطلق على اسرائيل لفظ (الابن البكر لله)، وفي مزمور (89/26-27) اطلق على داود لفظ (البكر)، وأطلق على الله لفظ (الأب له) فلو كان إطلاق لفظ (الابن) على المسيح موجبا للألوهية، لكان آدم وإسرائيل وداود أحق بالألوهية من المسيح، لأنهم من أباء المسيح، حسب سلسلة النسب الواردة في الاناجيل.

ج - ما ورد في بعض نصوص إنجيل يوحنا في أن المسيح والأب واحد، فقد جاء في إنجيل يوحنا 30/10 قول المسيح(أنا والأب واحد)، فهذا القول عند المسيحيين يدل على اتحاد المسيح بالله، فهو اله مثله. وهدا التفسير غير صحيح، لأن مثل هذا القول وقع في حق الحواريين، ففي إنجيل يوحنا17/21-23: (ليكون الجميع واحدا كما أنك أنت أيها الأب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني. أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكملين إلى واحد). فمن الواضح أن احاده بالله، واتحاد المسيح بهم ليس حقيقيا، فالمعنى الصحيح للاتحاد هو طاعة أوامر الله والعمل بالأعمال الصالحات.

د - ورد في الأناجيل الأربعة عبارات كثيرة تقرر توحيد الله، وتفيد بوضوح أن المسيح بشر رسول، ففي إنجيل متى21: 11 (هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل). ويروي متى عن المسيح قوله23 : 8 (إن أباكم واحد الذي في السماوات) ، كما جاء في مرقص قول المسيح 12/30-31: (الرب الهنا اله واحد، وليس أخر سواه) ، وفي لوقا 7: 16 (قد خرج فينا نبي عظيم) ، وينقل يوحنا عن المسيح قوله 10/18:
(إني أصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم).

3 - عقيدة الصلب والفداء (صلب المسيح فداء عن الخليقة):

واساس هذه العقيدة عند المسيحيين، أن من صفات الله (العدل) و(الرحمة) ، فبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية أدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم فطُرد بها من الجنة، واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الانسان، ثم يُصلب ظلما ليُكفر عن خطيئة البشر[156]. فالمسيحيون يؤمنون أن من صفات الله العدل والرحمة، فبمقتضى صفة العدل كان على الله أنْ يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم وطُردَ بها من الجنَّة واستحق هو وأبناؤه البعد على الله بسببها، ولم يكن هناك في اعتقادهم من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلاَّ بتوسط ابن الله ووَحِيدِهِ وقبوله أن يظهر في شكل إنسان، وأن يعيش كما يعيش الإنسان، ثم يُصلب ظلمًا ليُكفر عن خطيئة البشر.

كما جاء في **إنجيل يوحنا:3/16–17**: (لأنَّه هكذا أحب الله العالم حتَّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية. لأنَّه لم يرسل الله ابنه لِيُدِينَ العالم بل ليُخَلِص به العالم)، كما جاء في حديث النبي أشعياء عن العذاب الذي لقاه المسيح ونصه في

---

[156] - (المسيحية / د .احمد شلي: 131)

سفر أشعياء: 1/42: (هو ذا عبدي الَّذي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِيَ الَّذي سُرَّت به نفسي، ظلم هو أي المسيح ووضع عليه إثم جميعنا فتذلل ولم يفتح فاه كشاة تساق إلى الذبح، مع أنّهَ لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش)[157].

ويقول القس إبراهيم لوقا: "إن المسيحية تُعلِّم (الناس) أنَّ الله لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه، دبَّر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة، فنال البشر العفو والغفران وهذه **نظرية الفداء"**. فعقيدة الصلب والفداء هما مصطلحان ارتبطا بالخطيئة الاصلية أو الأولى كما يسميها المسيحيون، وهي خطيئة آدم التي حملها بنوه. فهي متوارثة على مدى عصور، وفي نظر المسيحيين هي التي أبعدت البشر عن الربِّ. وفكرة الخطيئة الموروثة، هي الـمُنطلق لعقيدة المسيحيين في الصلب والفداء والخلاص. فأبو البشر ارتكب الخطيئة الأولى، فبقي الذنب على ذريته من بعده، الا أن محبة الله لهذا الانسان شاءت أن تخلصه من أرجاس هذه الخطيئة، فأرسل ابنه الوحيد ليتحمل عناء الألم والصلب، وبذلك يكون قد فداهم بنفسه[158].

وهذا المفهوم ركزت عليه الكنسية لجعل المسيح هو المختار لتخليص البشرية، واعتبرت فكرة الصلب هي طريق للخلاص، وأيضا فكرة جعل المسيح ابن الله الوحيد مخلص البشرية من الخطيئة الأصلية. ثم جعلوا من الكنسية هي الطريق الثاني بعد المسيح للخلاص من الخطايا، بشرط الايمان بمعتقداتها.

الانتقادات الموجهة لعقيدة الصلب[159] :

1 - يعتقد المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، فأي عدل وأي رحمة في تعذيب إنسان غير مذنب وصلبه؟ فإن قالوا إنه هو الذي قبل ذلك، يقال لهم : إن من يقطع يده أو يعذب بدنه أو ينتحر، مذنب ولو كان يريد ذلك.

2- اذا كان المسيح ابن الله، فاين كانت عاطفة الأبوة؟ واين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه ؟!

3- من هذا الذي قيد الله (جل جلاله) وجعل عليه أن يلزم العدل ، وأن يلزم الرحمة ، وأن يبحث عن طريق للتوفيق بينهما؟

4- يقول المسيحيون: أن ذرية أدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، ففي أي شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد، وخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل (سفر التثنية 16/24)

5 - إذا كان صلب المسيح عملا تمثيليا، فلماذا يكره المسيحيون اليهود، ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح ؟!

6- هل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضروريا؟ ألم تكن هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر؟!

---

[157]ــ ينظر: أحمد عثمان ومنير غيور، المسيحية في الإسلام، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009م، ص61 ــ 62.

[158] ـ (النصرانبة من التوحيد الى ال!ليث / د .محمد الحاج: ، 227)

[159] ـ (المسيحية / د .أحمد شلى: 134- 137)

7- إذا كان يسوع قد تجسد لمحو الخطيئة الأصلية، فما العمل في الخطايا التي تأتي بعد ذلك؟

8- أين كان عدل الله ورحمته منذ حادثة آدم وحتى صلب المسيح ؟ ومعنى هذا أن الله ظل (تعالى عن ذلك) حائرا بين العدل والرحمة ألاف السنين، حتى وافق يسوع أن يُصلب للتكفير عن خطيئة آدم.

9- جميع الشرائع تقرر مناسبة العقوبة للذنب، فهل هناك توازن بين صلب المسيح على هذا النحو، وبين الخطيئة التي ارتكبها آدم؟ فخطيئة آدم لم تزد على أن تكون أكلا من شجرة نُهي عنه، قد عاقبه الله عليها بإخراجه من الجنة، وهو عقاب كاف. فالحرمان من الجنة والخروج الى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين، وهذا العقاب اختاره الله بنفسه، وكان يستطيع أن يفعل بآدم أكثر من ذلك، ولكنه اكتفى بذلك، فكيف يُستساغ أن يظل مُضمرا السوء غاضبا ألاف السنين حتى وقت صلب المسيح؟.

10 - لقد مرت بالبشرية من عهد آدم الى عهد المسيح أحداث وأحداث، وهلك كثيرون من الطغاة وخاصة في عهد نوح، حيث لم ينج الا من آمن بنوح بعد الطوفان، فهؤلاء هم الذي رضي الله عنهم، فكيف بعد ذلك تبقى ضغينة وكراهية تحتاجان لأن يضحي عيسى بنفسه لفداء البشرية؟

11 - هل يعقل أن خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشري بسببها، بقي مكتوما عن كل الأنبياء السابقين، ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب؟

12 - يرى المسيحيون أن الشفيع في تكفير الخطيئة لابد أن يكون مطهرا من خطيئة آدم، ولذلك ولد عيسى من غير أن ينجو من انحدار الخطيئة إليه من أبيه. وهنا يأتي سؤال مهم: ألم يأخذ عيسى نصيبا من الخطيئة عن طريق أمه مريم؟ ويجيب المسيحيون: بأن الله طهر مريم من الخطيئة قبل أن يدخُل الله الابن فيها، والسؤال المطروح هنا: إذا كان الله يستطيع هكذا في سهولة ويسر أن يُطهر بعض خلقه، فلماذا لم يُطهر كل خلقه من الخطيئة بتلك الطريقة السهولة وذلك اليسر؟ وبدون انزال ابنه، وبدون تمثيلية الولادة والصلب ؟!

13 - هل كان الأنبياء جميعا مدنسين خطأة بسبب خطيئة أبيهم آدم؟ وهل كان الله غاضبا عليهم أيضا؟ وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر؟.

فهذه بعض الانتقادات الموجه لعقيدة صلب المسيح عليه السلام.

4 ــ قيامة المسيح بعد صلبه ثم رفعه:

يعتقد المسيحيون أن المسيح قام من القبر بعد ثلاثة أيام كما ذكرت اناجيلهم، ولكنها اختلفت في تفصيل قيامته، فإنجيل متى ذكر أنه ظهر بعد قيامه في الجليل، ولوقا ذكر أنه ظهر في أورشليم، ويوحنا ذكر أنه ظهر في اليهودية والجليل معا، ومرقص بين أن ظهوره كان بين تلاميذه. وقد علل بعض الكتاب المسيحيين سبب هذا الاختلاف، بأن كل واحد منهم كتب عن القيامة وظهور المسيح للتلاميذ من وجهة نظره الخاصة.

فالحواري متى كتب عن ظهور المسيح في الجليل، لأنه كتب عن المسيح الملك. ولوقا كتب عن ظهوره في أورشليم، لأنه كتب عن المسيح مخلص جميع الأمم مبتدئا من أورشليم. ويوحنا كتب عن ظهوره في اليهودية والجليل، لأنه كتب عن المسيح ابن الله الأبدي صخر الدهور. ومرقص كتب عن ظهور المسيح للتلاميذ، لأنه كتب عن المسيح الذي جاء ليخدم البشرية، ويرفعها الى مستوى الكمال. إلا أن هذا الاختلاف غير

منطقي، لأن هذه الأناجيل ذكرت أمكنة مختلفة في حادثة معينة. فكان ذلك سبب للشك في الشهادة واتهام الشهود فيه[160].

ويبدو أن هذه العقيدة وردت الى المسيحية من عقائد أخرى وخاصة عقيدة الهنود، إذ أننا نجدها معتقدا سائدا عند الهنود قبل المسيح بمئات السنين، فهم يعتقدون أن (كرشنا) المولود البكر الذي هو نفس الاله (فشنو) الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، تحرك كي يخلص الأرض من ثقل حملها، فأتاها وقدم نفسه ذبيحة عن الانسان، ويصورونه مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين، ويصفون (كرشنا) لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر[161].

5 ـ عقيدتهم في اليوم الاخر:

ترتبط عقيدة اليوم الآخر بموت الانسان، يقسم النصارى الموت الى قسمين : الموت الجسدي الذي هو مفارقة الحياة، والموت الروحي، وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله[162]. كما يعتقد المسيحيون[163]:

1ـ أن البشرية بقيت تحت لعنة الخطيئة التي حملتها من أبيها آدم، وفقدان مسيرة الخلود بالموت. فلما أراد الله أن يخلص هذه البشرية مما حاق بها بسبب تلك الخطيئة، فكان لابد من مخلص تكون فيه (طبيعة الألوهية، وطبيعة البشرية) فاختار الله يسوع المسيح – إبنه الوحيد ـ ليكون مخلصا للبشرية من خطيئة أبيها.

2 ـ أن الموت الجسدي عقوبة للجسد، ومن مات وهو مخطئ بالأعمال، يعاقب بعقوبتين: ظاهريا بالموت الجسدي ثمنا لخطاياه التي عملها، يتبعه موت روحي غير منظور وهو العقوبة الحقيقية.

3 ـ أن الاشرار يكونون بعد الموت في حالة عذاب في انتظار قيامة الدينونة والهلاك، أما أرواح المؤمنين فتكون بعد الموت سعيدة في الفردوس مع المسيح في انتظار المجد والحياة. هذا وتختص الكنيسة الكاثوليكية، باعتقادها أن أرواح المسيحيين غير الصالحين تذهب بعد الموت إلى " المطهر" لتتطهر بأنواع من العذاب ثم تصعد إلى الفردوس في السماء.

4 ـ يعتقدون بأن هناك قيامتين (الأولى والثانية بينهما ألف سنة). تقع القيامة الأولى عند عودة المسيح ليأخذ الابرار والقديسين إلى السماء، بعد أن يشاركوه في حكم الأرض خلال ألف سنة، وبعدها تقع القيامة الثانية، فيُبعث الناس من القبور، وتبدأ الدينونة والحساب.

6 ـ الحساب والدينونة (المسيح يحاسب النَّاس):

يعتقد المسيحيون أن الأب أعطى سلطان الحساب والدينونة للابن، وذلك لأن الابن بالإضافة الى ألوهيته وأبديته، هو ابن الانسان أيضا، فهو أولى بمحاسبة الإنسان. ويعتقدون أن الابن بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بحوار الأب على كرسي، استعدادا لاستقبال الناس يوم الحشر ليُدينهم على ما فعلوا. ويستدلون عل ذلك بأدلة منها ما قاله بولس: (كورونثوس الثانية10/5: لابد أننا جميعا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد، بحسب ما صنع، خيرا كان أو شرا). كما جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس22/1 قوله : (أقام

---

160 ـ (مح اضرات في النصرانبة / محمد ابو زهرة، 182

161 ـ (محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 318)

162 ـ اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام / د .فرج ابو عطا الله، 71.

163 ـ (ينظر: محمد الخطيب، مقارنة الأديان، 322- 325)

الله المسيح من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماوات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وأخضع كل شيء تحت قدميه) . وفي رسالته لأهل روما 10/14 يقول : (إننا جميعا سوف نقف أمام كرسي المسيح) . وجاء في انجيل يوحنا22/5: (الأب لا يدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للأبن).

تؤكد المسيحية في نصوصها على الدينونة والحساب في اليوم الاخر، وأن التائبين المتحدين بكنيسة المسيح ستكون لهم الفردوس (paradis) في الجنة حيث السعادة. فقد وعد المسيح أحد التائبين بالجنة من خلال النص الإنجيلي (لوقا 23/ 43) فقال له: "الحق أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس". والحساب والدينونة الأخروية لها موعد، فقد جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كونثوس4/ 5: "فلا تدينوا أحداً قبل الأوان، قبل أن يأتي الرب، فهو الذي ينير خفايا الظلمات ويكشف عن نيات القلوب، وعندئذ ينال كل واحد من الله ما يعود عليه من الثناء". والقيامة للحساب في المسيحية تكون بالروح والجسد بعد أن انفصلا بالموت. بعد البعث والقيامة سيكون الجزاء حيث يلقى إبليس وأتباعه في النار، ويكون مقام الصالحين والتائبين في الفردوس (الجنة) [164].

ويرى المسيحيون أنَّ الآب أعطى سلطان الحساب للابن، وذلك لان الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته، فهو ابن الإنسان أيضًا، لذلك فهو أولى بمحاسبة الإنسان. ويعتقد المسيحيون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء، جلس على يمين الآب على كرسي، استعدادًا لاستقبال الناس يوم الحساب ليدينهم على ما فعلوا، وقد جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل كُورِنْثُوس، **(2-كُورِنْثُوس:10/5)**: "لأنَّه لابدَّ أنَّنا جميعا نَظْهَرُ أما كرسيِّ المسيح لينال كلُّ واحدٍ ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا"، وجاء في **إنجيل يوحنا:22/5**: "لأنَّ الآب لا يدينُ أحدًا بل قد أعطى كل الدَّينونة للابن"[165]. ويمكن تلخيص أبرز أحداث الدينونة كما بينتها نصوص العهد الجديد كمايلي[166]:

أ ـ أن المسيح يجمع أمامه جميع الشعوب ليميز بين الأبرار والأشرار.

ب ـ نشر الصحف أو سجلات الأعمال، وقد أورد يوحنا في رؤياه (20/ 11- 15) ذكرا للسجلات التي كُتبت فيها أعمال الناس في الحياة الدنيا.

ج ـ أن الحساب سيكون لجميع الناس فردا فردا، وسيكون دقيقا فيحاسب الانسان عن كل صغيرة وكبيرة، كما جاء في انجيل متى (12/ 36-37).

د ـ أن الحساب سيكون على أرض جديدة بعد تغيير معالم الكون، كما جاء في رؤيا يوحنا(1/21).

هـ ـ ويقسم النصارى البشر طبقات أثناء الحساب، فالبشر يوم القيامة على أربعة أقسام، وتدعى هذه الأقسام (طبقات القائمين في ذلك اليوم من الأبرار والأشرار):

فالطبقة الأولى : هم كبار القديسين كالرسل، وهؤلاء يدينون ولا يُدانون.

---

[164] ـ ترجمان الأديان، ص 250- 251.

[165] ـــ أحمد شلبي، مقارنة أديان (2) المسيحية، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998م، ص169-170.

[166] ـ (محمد الخطيب/ 329- 331)

والطبقة الثانية : هم الذين غسلوا ثيابهم التي تدنست بالخطايا، فأصلحوا فساد أعمالهم بأفعالهم الصالحة، ولاسيما أعمال الرحمة ، فظفروا برحمة الديان ، وهؤلاء يدانون ويُخلصون.
والطبقة الثالثة : هم المؤمنون الخطأة، الذين دنسوا قداسة ايمانهم برجاسة افعالهم، اولئك الذين يقرون بأنهم يعرفون الله، وهم بمقتضى أعمالهم به كافرون، وهؤلاء الذين يدانون ويهُلكون.
والطبقة الرابعه : هم اللذين لم يؤمنوا كالوثنيين، فهؤلاء يحتاجون الى دينونة وحساب، وهؤلاء الذين لا يدانون ويهلكون.

ثانيا ـ الشعائر المسيحية:

الشعائر في عمومها هي طقوس تميز ديانة عن أخرى، وقد تميز طائفة عن أخرى داخل الديانة الواحدة. والمسيحية تحوي على جملة من الطقوس والشعائر المشتركة بين المسيحيين.

الشعيرة في اللغة: من فعل أشعر أي جعل علامة. والشعيرة البدنة المهداة، سميت بذلك لأنه يُؤشر فيها بالعلامات. والجمع شعائر، وشعائر الحج: مناسكه وعلاماته وآثاره وأعماله.
والشعيرة هي كل ما جُعل علما لطاعة الله عز وجل، والمشعر: المعلم والمتعبد من متعبداته.
والمشاعر: المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها؛ ومنه سمي المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع[167].
وفي هذا المعنى قال تعالى: **(إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) [البقرة:158].**

الشعيرة في الاصطلاح: هي الممارسات، أفعالا كانت أو أقوالا، يؤديها أصحاب الملل الدينية، وفق ضوابط وشروط مشروعة، بغية التقرب من الاله الذي يؤمنون به ويعتقدون فيه. وهي دليل الارتباط الديني، كما أنها تعزيز مشاعر الانتماء. وقد ارتبطت الشعائر في المسيحية بما يسمى عندهم بالأسرار الكنسية السبعة وهي:

1- سر المعمودية:

والتعميد يقصد به تعميد الأطفال عقب ولادتهم بغِطاسهم في الماء أو الرش به، باسم الأب والابن والروح القدس، لتمحي عنهم آثار الخطيئة الأصلية، بزعم إعطاء الطفل شيئاً من الحرية والمقدرة لعمل الخير، وهذا على خلاف بينهم في صورته ووقته[168]. فالتعميد فيه مجموعة من الطقوس المصاحبة للدخول في الملة المسيحية، وهو حل بديل فيها عن سنّة الاختتان في اليهودية. وعادة الغطس في الماء هي عادة قديمة كانت معروفة قبل عصر السيد المسيح ʊ، فالصابئة (المندائيون ــ المغتسلة) جرت العادة عندهم السكن قرب ضفاف

---

[167]ــ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر – بيروت، 1414هـ، ج4، ص414. ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، ج2، ص105. ينظر: بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دون ط، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج3، ص194.

[168] ـ ينظر: مانع بن حماد الجهني، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، 1420 هـ، ج2، ص576.

الأنهار لتسهيل مراسم الغطس، فأخذت اليهودية بها وأصبح طقسا يمارس في أيام الاحتفال بعيد الغفران. وقد كان يوحنا المعمدان (يحي عليه السلام) أيضا يمارس التعميد في نهر الأردن، جاء في **إنجيل متى:5/7 ــ 6** " يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أولاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!"، وفي **إنجيل مرقص:1/4ــ5** " وكان الناس يخرجون إليه من أورشليم وجميع اليهودية وكل الأرجاء المحيطة بالأردن، ليعمدهم في نهر الأردن معترفين بخطاياهم"، ولهذا طلب منه السيد المسيح υ أن يعمده وهذا ما ذكر نصه في **إنجيل متى13/3ــ15**: "وجاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليتعمد على يد يوحنا، فمانعه يوحنا وقال له: أنا أحتاج أن أتعمد على يدك"، والتعميد سر من الأسرار يعتبر مفترق طريق مستأنف وجديد في حياة الإنسان وهو كرمز وإيذانٍ بالانتقال إلى حياة متوافقة ومنسجمة مع الإرادة الإلهية، ومن ثم نيل الخلاص النهائي. وبالتعميد يكون المعمد مرشحاً للانضواء في المسيحية، فهو إذاً سمة الدخول والانضمام لها.

والتعميد هو أول الشعائر المسيحية وأهمها، فلا يُعدُ المسيحي ضمن جماعة المسيحيين إن لم يُعمد. وقد كان التعميد قديماً يتم بالتغطيس في نهر الأردن، وأشهر المعمدين على الإطلاق يوحنا المعمدان (وهو يحي بن زكريا عيهما السلام) الذي عمد يسوع، وفي الوقت الحاضر أصبح التعميد عبارة عن ماءٍ يُغْسِلُ به الكاهن طالب التعميد، إن كان المــُعَمدُ مولوداً جديداً، أمَّا إن كان كبير نوعا ما فإنه يرش بماءٍ من قبل الكاهن. وهو يرمز للسر الذي يكمن في تطهير النفس من الذنوب والخطايا إضافة لوظيفته الأساسية وهي الدخول في المسيحية، ويطلق عليها بالولادة الثانية أو الولادة عن طريق الروح القدس بالحق والنار.

ويعتبر التعميد أو المعمودية Bapteme فريضة مسيحية بها يصبح المرء مسيحيا، لذلك يُطلق عليها اسم التنصير. وكانت الكنائس قديما لا تُعمد الشخص قبل البلوغ، لكن حاليا في الكنائس الغربية والشرقية يُعمد الصغير مع شرط وجود عراب له يتعهد بتنشئته على المسيحية. عند الشرقيين يغطس المعمد بالماء ثلاث مرات، أما عند سواهم فيُكتفى برش الماء على الجبهة. والعماد يقوم به الكاهن (القسيس) التزاما بما جاء في إنجيل متى الذي يأمر بذلك. ورد في إنجيل متى19/28: (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به)[169].

2 ــ العشاء الرباني (الافخارستيا):

واسم هذا السر مشتق من الكلمة اليونانية (Eucharist) التي تفيد معنى: القيام بأداء الشكر ويعرف هذا السر عند الكنائس بأسماء مختلفة مثل: الطقوس الربانية، العشاء الرباني، الصلاة الجامعة العامة، القُداس. وليس هناك خلاف بين الطوائف المسيحية في وجوب العمل بهذه الشعيرة لمرجعيتها الكتابية **(إنجيل متى: 26/26 ــ70)** "فَأَنْكَرَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ قَائِلًا: لَسْتُ أَدْرِي مَا تَقُولِينَ ".

وهو ثاني أهم شعيرة بعد التعميد وهذا باتفاق الطوائف المسيحية ويحمل من القداسة ما يحمله حتى عُدَّ العمل الأساسي في الإيمان المسيحي. وهو يُعبر عن ذكرى لعشاء يسوع الأخير مع تلاميذه، ففيه يأكل المسيحيون خبز بلا خميرة، وشراب خمر. ومن أكل من الخبز فكأنما أكل لحم المسيح، ومن شرب من الخمر فكأنما شرب من دم المسيح، وعلى ذلك يكون

---

169 - (ترجمان الأديان 367)

المسيح مختلطا فيه. وهو ما يسميه المسيحيون بالاستحالة، غير أن البروتستانت يرون هذا السر رمزي للعشاء الأخير، ولا يقبلون فكرة الاستحالة.

ومصطلح أفخارستيا يعني العرفان بالجميل والامتنان، وبعده تقديم الشكر. والشكر يكون على النعم، وما جرى من معجزات وعجائب، وعلى ما كان من تضحية قدمها المسيح عليه السلام بعد العشاء الأخير مع التلامذة، وهو عشاء الفصح. وقد بين ذلك بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس حيث قال: (الأفخارستيا تتجاوز الشكر والخلاص إلى انتظار المجيء الثاني الذي يكون معه مجيء ملكوت الله). لذلك كان احتفال الفصح وتناول الخبز والخمر هو المشاركة، المشابهة للعشاء الأخير مع المسيح عليه السلام، وإذا كان هذا الأمر دليلا على سر الأفخارستيا فإنه كذلك أساسي من أجل سر التثبيت[170].

وهذا القُداس هو المناسبة الأبرز والمحطة الرئيسة في المسيحية لأنه مناسبة الفداء، فمع الفصح تم تقديم الجسد لحما ودما من أجل التكفير عن خطايا البشر. ويُستعمل في القداس (أو العشاء الرباني) قليل من الخبز والنبيذ. فالخبز يشير إلى الجسد المكسور، والنبيذ إلى الدم المسفوك، والعشاء نفسه يُشير إلى المجيء الثاني للمسيح. والفصح يُشير كذلك إلى المائدة السماوية التي يسير نحوها الإنسان بعد الحياة الدنيا.

وكلمة فصح تعني العبور، وكأنها تُشير إلى عبور من آمن بما جاء به المسيح، يعبر بواسطته إلى الآخرة السعيدة. وفي العشاء أبلغ المسيح تلاميذه بأنه قد جاءت لحظة الرحيل من الدنيا. ورد في إنجيل يوحنا 13 / 1: (قبل عيد الفصح كان يسوع يعلم بأنه قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم إلى أبيه). وجاء في إنجيل مرقس14/22-23 : (وبينما هم يأكلون، أخذ خبزا وباركه، ثم كسره وناولهم وقال : خذوا، هذا هو جسدي، ثم أخذ كأسا وشكر وناولهم فشربوا منها كلهم وقال لهم : هذا هو دمي، دم العهد، يُراق من أجل جماعة الناس).

أما الأسبوع الذي يسبق الفصح يسمى أسبوع الآلام، يبدأ يوم الأحد (أحد الشعانين)، ثم يكون خميس الأسرار، فالجمعة الحزينة وفيها طقس هو في رتبة دفن المسيح، وفي منتصف ليل السبت إلى الأحد تدق أجراس الكنائس إشارة إلى قيامة المسيح من القبر.

والفصح في المسيحية هو عيد الانتقال من الموت إلى الحياة، كما يرد في كثير من صلوات عيد الفصح، وهو عيد قيامة المسيح من الموت الذي به حصل العبور من العبودية الحتمية للعدو للإنسان، الموت، إلى الحرية التي هي الحياة التي لا تعرف نهاية بالإيمان بالمسيح[171].

3 ـ سر التوبة أو الاعتراف بالذنوب وغفران الخطايا:

يعتقد المسيحيون أن السلطة الروحية التي كانت للسيد المسيح υ قد انتقلت منه عن طريق الوراثة الروحية إلى الحواريين ومنهم إلى القديسين، جاء في **إنجيل متى:16/28–20** "فدنا منهم يسوع وقال لهم: نلت كل سلطان في السماء والأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس، وعلموهم أن يعملوا بكل ما أوصيكم به، وها أنا معكم طوال الأيام إلى انقضاء الدهر"، كما جاء في **إنجيل لوقا:24/48–50** "إن المسيح

---

[170] - (ترجمان الأديان ص 376، 378)

[171] - (ترجمان الأديان 364)

يتألم ويقوم من بين الأموات ويقوم في اليوم الثالث، وتعلن باسمه بشارة التوبة لغفران الخطايا إلى جميع الشعوب"، وصار هذا السر في التلاميذ عامة[172] .

وجاء في **إنجيل متى:13/18–20** "الحق أقول لكم: ما تربطونه في الأرض يكون مربوطا في السماء وما تحلّونه في الأرض يكن محلولاً في السماء"، وبهذا تغدو السلطة الرسُولية شرعية موروثة وتتخذ صيغة سلطة روحية، ثابتة، مخلِّصة، لا تزول ولا تفنى، ومن له هذه السلطة يمكن أن يُكلف للإشراف على سر الاعتراف، حيث يتقدم المسيحي ليعترف بذنوبه وخطاياه أمام القديس، ليحصل على الغفران.

وسر الاعتراف في بادئ الأمر كان يتم في العلن، وفي مراحله الأولى انطوى على جملة أفعال مخصوصة، وصور من المعاناة وإيذاء الذات إضافة إلى القيام بكل من الصوم والاضطجاع على الرماد وارتداء ما خشن من اللباس وغيرها، ثم تطور إلى أن أصبح المذنب يبوح بذنوبه للقسيس في السر الذي يعلن بدوره بعد ذلك الاعتراف، التكفير عن الخطيئة، وقد فرضت قديما غرامات مالية على طالب الغفران.

فبعد التعميد ودخول الطفل كعضو في الكنيسة، وبعد أن يبلغ سن التمييز، في حدود السابعة، يتمكن الطفل من تمييز الخير من الشر، ويعي ما هي الخطيئة ويحظى بالمناولة التي يقر له الكاهن من خلالها بنصرانيته (أي أنه أصبح مسيحياً) ولأنه معرض للوقوع في أخطاء، ولأنه قد يرتكب معاصي وآثاما، فلا بد أن يبدأ في ممارسة سر جديد آخر هو سر التوبة أو الاعتراف. بهذا السر، تغفر الخطايا التي اقترفها بعد المعمودية، ويتصالح الخاطئ مع الكنيسة، لذلك يسمى هذا السر بالمعمودية الثانية. ولكن الاعتراف أصبح منذ قرون طويلة، سواء في الشرق أو في الغرب، بمثابة محادثة خاصة بين الكاهن والمؤمن، والكاهن ملزم بالمحافظة على سر الاعتراف محافظة مطلقة. وليس في الكنيسة الأرثوذكسية كرسي اعتراف على الطراز الكاثوليكي. فإذا ما قصد تائب الأسقف أو الكاهن معترفا نادما فإن واجب الأسقف قبول عودة هذا الشخص، لأن رفضه يُخالف نصوص العهد الجديد. ففي النص الإنجيلي: (فإني ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخاطئين). وفي نص آخر: (أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة)[173].

4 ــ سر تثبيت المعمودية:

يتم إجراء هذا السرّ بوضع الأيدي على المسيح υ نَيْلاً مجدداً لروح القدس، كما رسمه بادئ ذي بدء بطرس ويوحنا قبل نيلهما لروح القدس. وهذا السرّ في البداية كان يقام في الطفولة فقط إلا أنه في القرن 16م أصبح سرين متمايزين ومنفصلين، فاعتادت الكنائس الكاثوليكية الغربية أن تجريه عند بلوغ سنّ الرشد، حيث يضع الأسقف الدهن المقدس على جبهة من يُجرَى له سرّ التثبيت، ويتأهل بذلك لأن يكون من الشهداء على المسيحية، ويعلن عن إيمانه بدينه.

فالتثبيت هو سر تّابع لسر المعمودية. فالمعمودية هي التي تُدخل الشخص في الكنيسة، والتعميد يكون للأطفال في سن مبكرة. أما سر التثبيت فيرافقه طقس المسح بالزيت ثانية،

---

[172]ـــ عرفان عبد الحميد فتاح، النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها، ط1، دار عمار، عمان ــ الأردن، 1420هـ/2000م، ص118ـــ121.

[173] - (ترجمان الأديان 366)

وهو دليل على متابعة الشخص لرسالة المسيحية، ويكون في سن البلوغ. قال الأب توماس ميشال اليسوعي: "وإذا كان الداخلون في الكنيسة من البالغين، فإنهم يتقبلون سرَّي العماد والتثبيت معا على أنهما قسمان من طقس واحد. أما إذا كان المعمدون أطفالا، فيتمُّ تثبيتهم في وقت لاحق، وهم على عتبة البلوغ، بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة"[174].

5 ـ رسامة الكهنة (الدرجات المقدسة):

يتم رسم من وقع عليهم الاختيار من قبل الآباء الكبار في الكنيسة ليكونوا بذلك مؤهلين دينياً للتبشير بالإنجيل والقيام بإجراء الأسرار باسم الكنيسة التي هي جسد المسيحυ. ويكمن السر هنا في انتقال الروح القدس إلى المرسمين في الدرجات المقدسة، كما انتقلت إلى التلاميذ من قبل. وهذه الرسامة يقلدها كبار الأساقفة للقس، بوضع الأيدي على رؤوسهم لنيل الروح القدس التي تؤهلهم لسلطة روحية مخلصة ثابتة لا تزول، وليؤدوا دور الشفعاء بين العباد والله تعالى.

يُمنح سر الكهنوت لمن تأهل بالعلم والسلوك، وهو يَهَب اشتراكا خاصا في وظيفة يسوع المسيح، فيسوع في المسيحية هو الكاهن الأعظم الوحيد الأوحد، والوسيط الوحيد بين الله والناس. بذلك يُؤهَل من ينال سر الكهنوت لأن يُتمم رسالته. لكن هذا المفهوم متأخر نوعا ما لأن المسيح عليه السلام لم يستخدمه، ولا المسيحيون الأول استخدموه، فهذا اللقب يعني، في بيئته اليهودية، وظيفة محدودة بذاتها، مقصورة على سبط لاوي من بني إسرائيل. فيسوع كان يُدرك أن عمله يختلف كل الاختلاف عن عمل كهنة زمانه، ففضل أن يُسمي نفسه الابن وابن الإنسان. ولم تعرف الكنيسة الأولى مثل هذه الوظائف الكهنوتية، وفي مراحل لاحقة ظهرت رتبة الأسقفية، ومع الأسقف وبإذنه يكون الكاهن (القسيس) نائبا عنه وإلى جانبهما خُدام الطُقوس في الكنيسة المعروفون بالشمامسة، ووظائفهم هي[175]:

1ـ فالأسقف هو الإنسان الذي أقامه الله في مكان معيَّن ليرعى المسيحيين الذين أوكلوا إليه. فهو الذي يسهر على الكنيسة، ويرأس القداس الإلهي كشاهد أمين للإنجيل المقدس والتقليد الشريف. وظيفته إذاً ثلاثية : أن يوجه ويعلم ويرأس إقامة الأسرار المقدسة. والأسقف محور السلطة الروحية، ينقل كهنوت المسيحيين إلى جميع رجال الإكليروس، وإذا أقام الكهنة خدمة إلهية فعليهم أن يذكروا اسمه..

2ـ أما الكهنة (القساوسة) فإن رسامتهم تكون خلال قداس إلهي، وبشكل فردي، إذ أن الكنائس لا تعتمد الرسامة الجماعية. والكهنة فئتان: فئة المتزوجين ويبقون كهنة لرعية ولا يرقون إلى الأسقفية ليكونوا في موقع المطران أو البطريرك أو الكاردينال والبابا عند الكاثوليك، فكل هذه الرتب مخصصة للرهبان غير المتزوجين ، لكن الفئة المتزوجة عليها أن تفعل ذلك قبل الرسامة ، وإذا حصل وتوفيت زوجة الكاهن فإنه لا يحق له الزواج ثانية.

3ـ أما رتبة الشماس، فهو خادم الكنيسة ومعاون الكاهن في مهمته، وهي رتبة تمهيدية باتجاه رتبة الكاهن فالأسقف، في الكنيسة الكاثوليكية، أما في الكنيسة الأرثوذكسية فقد يبقى الشمامسة في مهمتهم طوال حياتهم.

6 ــ سرّ الزواج والحياة الزوجية المقدسة:

---

174 ـ (توماس ميشال اليسوعي، مرجع سابق، ص83)

175 ـ (ترجمان الأديان ص 378- 380.

جاء في الأناجيل إشارات على أن الزواج عقد مقدس لا يجوز حله بعد ربطه: في **إنجيل متى: 32/5و9/19: "**من طلق امرأته إلا في حالة الزنا يجعلها تزني، ومن تزوج مطلقة فقد زنى"، وفي **إنجيل مرقص:2/10 ــ9 "**من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى عليها، وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت غيره زنت"، والحالتان اللتان يباح فيهما فسخ هذا العقد الأبدي هي ثبات اقتراف الزنا من أحد الزوجين، أو من حياة زوجية بين مسيحي ووثني أو وثنية، لم يعد في الإمكان استمرارها، ومعروف أن الكنائس البروتستانتية تنظر إلى عقد الزواج لا باعتباره سراً، بل باعتباره طقساً عادياً، لهذا جاز فسخه.

وهو تقديس للعلاقة بين الزوجين، وأنها إنفاذ لإرادة إلهية، والزواج أثمن خيرات البشرية لأن الأسرة نواة المجتمع البشري. ويوصف العهد بين الرجل والمرأة على أنه صورة العهد بين المسيح والكنيسة. وفي رتبة الزواج الكنسي يطلب ثلاث مرات الإعلان عن الموافقة والرضى من قبل العروسين، لأن الزواج المسيحي الصحيح يقوم على الرضى بالوحدة والإنجاب وبالأمانة الزوجية. وتشتمل خدمة الزواج من طرف الكاهن على قسمين: خدمة الخطبة وخدمة الإكليل. فأثناء خدمة الإكليل يُقام السر المقدس. والجزء الأساسي من خدمة الخطبة هو تبريك المحابس، وتبادلها عربوناً للرضى المتبادل، الذي يُعرب عنه الخطيبان بملء حريتهما، لأن سر الزواج المسيحي لا يمكن أن يتم إلا بموافقة الطرفين. وقمة خدمة الإكليل هي في وضع إكليل من قبل الكاهن على رأس كل من العروسين. وفي نهاية الخدمة يشرب الزوجان النبيذ من كأس واحدة، إشارة إلى أنهما من الأن وصاعدا سيتقاسمان حياة واحدة[176].

7- المسح على المريض بدهن الزيت المقدس:

لازالت هذه الشعيرة معروفة حتى في اليهودية، وانتقل إلى المسيحية، حتى أن مصطلح Messianism (المسيحانية) مشتق من شعيرة المسح بدهن الزيت المقدس، فجرت عادة اليهود بمسح الطفل أو الملك المتوّج وكبار الكهنة من آل هارون بدهن الزيت كسمة لإضفاء القداسة عليهم، ودل عليها نصوص من العهدين القديم والجديد، ففي **سفر إشعياء:24/45،28/1 "**وهذا ما قاله الرب لكورش الذي مسحه ملكاً وأخذ بيمينه ليُخْضِع له الشعوب... فتعلم أني أنا الرب، إله إسرائيل، الذي دعاك باسمك"أي الممسوح". أما في الكنائس المسيحية وتاريخها فقد وردت إشارات عرضية إلى هذا التقليد، فصار من العوائد المستقرة منذ بدايات التاريخ المسيحي، ومن بين تلك الإشارات التي تفيد المسح بالدهن المقدس، لأغراض متعددة ومختلفة، كقيام السيد المسيح υ بالمسح على المرضى ببصاقه ولعابه طلباً للشفاء، وهو ما جاء في **إنجيل مرقص:7/34ــ35"** ووضع أصابعه في أذني الرجل وبصق ولمس لسانه، ورفع عينيه نحو السماء وتنهد وقال للرجل: ((إفاتاً ـ أي انفتح)) ففي الحال انفتحت أذنا الرجل وانحلت عقدة لسانه، فتكلم بطلاقة"، وفي رسالة القديس بولس إلى كنيسة كورنثوس **(2-كورنثوس:1/21)**: "ولكن الله هو الذي يتبنانا وإياكم في المسيح، وهو الذي مسحنا وختمنا بخاتمه ومنحنا روحه عربونا في قلوبنا"، وفي الأناجيل الكثير من الشواهد على مسح المسيح υ على المرضى والقصد تارة هو الشفاء من الأمراض، وتارة

---

[176] - (ترجمان الأديان ص 372- 373)

أخرى لطلب هبوط القداسة على الممسوح. ثم أصبحت أيضا علامة لترشيح من يريد التنصر ليكون أهلاً لسرّ التعميد. [177]

ولأن المرض في المسيحية هو إحدى نتائج الخطيئة، فإن المسحة التي تُجرى باسم الرب تحقق الخلاص للمريض فهي تشركه في انتصار المسيح على الخطيئة والموت، سواء أكان بالشفاء، أم بمضاعفة قواه لمواجهة الموت. كما أن هناك المسحة بزيت الميرون لغير المرضى، تلي التعميد مباشرة، حيث يمسح الكاهن أماكن مختلفة من جسم الطفل المعمد بزيت الميرون، مع رسم إشارة الصليب. ويُستخدم سر مسحة الميرون أيضا في حالات المصالحة مع الكنيسة، أو الرجوع إليها بعد الارتداد عنها. وزيت الميرون أو الميرون المقدسSaint Chreme يُحضره الأساقفة، تتم أثناء ذلك أداء الصلوات واستدعاء الروح القدس. وهو مؤلف من زيت الزيتون، ومن عطور ثمينة متنوعة[178].

العبادات في المسيحية:

1- الصلاة:

الصلوات المسيحية ترتبط بالسنة الطقسية(السنة الشمسية)، التي تبدأ في الأحد الأول من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر، وتتواصل كل أحد من الأسبوع حتى نهاية العام . وأبرز هذه الصلوات صلاتي الصباح والمساء. الصلاة في المسيحية تؤدى جماعية أو يؤديها الفرد لوحده، وتقام في الكنيسة أو البيت أو أي مكان، وتكون لأجل الآخرين كما تكون لأجل المصلي نفسه. يجوز في الصلاة أن يطلب المصلي ما يحتاج إليه نفسيا وجسديا، وله أن يطلب ما يشاء على أن يبدأ الدعاء بأن يطلب ملكوت الله أولا . والصلاة تكون في أوقات متعددة من النهار، وتكون للشكر عند تناول الطعام مثلا، كما تكون الصلاة من أجل الأموات، وهكذا فلكل مناسبة، مفرحة أو محزنة صلاة. ولكن الصلاة الربانية المسيحية هي الأبرز، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام[179]:

أ – الدعاء : وله نصوص مخصوصة هي: " أبانا الذي في السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما في السماء، كذلك على الأرض، أعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا ذنوبنا، كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا . ولا تُدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشر".

ب - الطلبات : والمعتمد أن تنقسم إلى نوعين وبتوازن، فتكون نصفها مختصة بملكوت الله ومشيئته، ونصفها الاخر طلبات تتعلق بحاجات الإنسان المادية والمعنوية، ولا يصح أن تكون كثيرة، والمعتدلة منها تكون في ستة طلبات.

ج - التمجيد : هي عبارات تكون في خاتمة الصلاة، ويقال فيها : لأن لك المُلك والقوة والمجد إلى الأبد. آمين.

2- الصوم:

---

[177]ـــ عرفان عبد الحميد فتاح، المرجع نفسه، ص128ـــ130.

[178] - (ترجمان الأديان 369-371)

[179] - (ترجمان الأديان ص 361).

الصوم في المسيحية هو الامتناع عن أكل اللحوم وسائر المشتقات الحيوانية. فالصوم حالة طاعة للخالق، ولا يصح الصوم مع إبراز الصائم مظاهره ليرائي بها الاخرين، وإنما عليه الظهور بوضع طبيعي. وأبرز أنواعه[180]:

1- الصوم الكبير في المسيحية، وهو الذي يسبق الفصح، ومدته سبعة أسابيع، في كل يوم يمتنع الصائم عن الأكل والشرب من منتصف الليل إلى الساعة الثانية عشرة ظهرا، الكنائس الشرقية تشدد على الامتناع عن اللحوم والمشتقات الحيوانية، أما الكنائس التي تعتمد الطقس الغربي فإنها تطلب ذلك ليومين في الأسبوع أو بصيغ مختلفة.

2 - صوم الميلاد ومدته 45 يوما. يبدأ صوم الميلاد في 15 تشرين الثاني / نوفمبر، وتكون نهايته مع عيد الميلاد في 25 كانون الأول / ديسمبر.

3- صوم الرسل : ويبدأ يوم الإثنين بعد العنصرة[181] بثمانية أيام ، وينتهي في 28 حزيران /يونيو، عشية عيد القديسين بطرس وبولس ، وتتراوح مدتّه بين أسبوع واحد وستة أسابيع.

4 - صوم رقاد السيدة، ومدته أسبوعان من أول آب /أغسطس حتى14 منه.

5 - الصوم كل أربعاء وجمعة، وكل إثنين في بعض الأديرة (أي دار الاعتكاف على العبادة).

3- تقديس الصليب:

الصليب هو رمز الخلاص والفداء، وهو الأساس في المسيحية ووجه من وجوه خصائصها، لأنه يرمز فيها إلى الآلام، فبها كان التكفير عن الخطايا البشرية، فعقيدة الصلب في المسيحية تؤكد أن المسيح كان الفادي للبشر. فقد جاء في انجيل يوحنا: "ليس حُب أعظم من هذا، أن يبذل إنسان نفسه لأجل أحبائه".

ففي العقيدة المسيحية واجب كل مسيحي صادق أن يكون جاهزاً للفداء، وهذا يكون بأن يستعد لحمل صليبه، أي أن يستعد لتلقي الموت والعذاب، قدوته في ذلك هو المسيح[182] .

فالغريب أن الكنيسة التي تعلن الحرب على الأصنام، هي بذاتها تعبد صليباً مصنوعاً من معدن أو خشب، بدعوى أنه كشف سر التثليث. وهو ما يفعله كل النصارى ما عدا البروتستانت يرسمون الصليب بأصابعهم الثلاثة الأولى الأمامية على وجوههم وصدورهم، ويسجدون للثالوث ويمجدونه قائلين (باسم الآب والابن والروح القدس) وكل من لا يرسم الصليب على وجهة أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن، لا تقبل عبادته ويعد رافضاً ومرتداً لدى كل الكنائس، وأما البروتستانت فإنهم وإن لم يعبدوا الصليب فإنهم على كل حال معتقدون وقائلون إنه بواسطته انكشف التثليث وألوهية المسيح لنوع البشر[183].

---

[180] - ترجمان الأديان، ص 361- 362.

[181] - يوم العنصرة أو عيد العنصرة في المسيحية، يأتي بعد خمسين يوماً من الفصح، يعتبر المسيحيون أنه في يوم العنصرة كان موعد حلول الروح القدس على تلامذة المسيح ليخرجوا مبلغين بالرسالة. جاء ذلك في العهد الجديد، سفر أعمال الرسل 2/1- 4: (ولما أتى اليوم الخمسون، كانوا مجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق من السماء دوي كريح عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت، فوقف على كل منهم لسان، فامتلأوا جميعا من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم على ما وهب لهم الروح القدس أن يتكلموا).

[182] - (ترجمان الأديان 363)

[183] - دافيد بن يامين الكلداني، حقيقة المسيحية، دط، دت، ص 8.

المحاضرة الخامس: الفرق المسيحية القديمة.

تمهيد:

بعد مجمع نيقية تم استبعاد التوحيد رسميا عن الديانة المسيحية. ومع ذلك بقي للتوحيد أتباع، فالحكومة الرومانية لم تستطع أن تقضي على التوحيد كليا، لكنها أبعدت الموحدين عن أماكن الرياسة في الكنائس واضطهدتهم، ولم تسمح بوصول صوتهم إلى الناس، فقد تم نفيهم وتشريدهم في الصحاري والقفار، فغاب التوحيد مع الزمن بين المسيحيين، وحل محله التثليث. الا أن التناقض الذي يكمن في التثليث الذي يرى فيه المسيحيون توحيدا، كان سببا رئيسيا في ظهور الكثير من الفرق المسيحية في عصورها الأولى، ومن أبرزها:

1 ـ الفرقة الاريوسية:

تنسب هذه الفرقة إلى أريوس، الذي ولد سنة 270م في القيروان، كانت حينها تابعة لليبيا. دخل في شبابه للمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية، ثم رشحه البابا بطرس ـ بطرياك الإسكندرية ــ شماسا سنة 307م، ثم قسا وواعظا. كان أريوس ذكيا فصيحا يُجيد الوعظ والإرشاد، وكان من الذين يجوز لهم الاطلاع على جميع الكتب الدينية الموجودة، كما عُرف بزهده وتقواه. فاستطاع بأسلوبه الحكيم أن يستميل لفكرته كثيرا من المؤيدين، معظمهم من رجال الدين.[184]

ظهرت الفرقة الآريوسية بعد وقوع خلاف في كنيسة الإسكندرية حول حقيقة المسيح، بين الشماس إثناسيوس والبطرياك الكسندر من جهة، والأسقف أريوس من جهة ثانية. وكان الخلاف يدور حول شخص المسح، أهو رسول من عند الله فقط، أم له بالله صلة خاصة أكبر من كونه رسول، وأنه من الله بمنزلة الابن لأنه خُلق من غير أب، ولكن ذلك لا يمنع أنه مخلوق لله، لأنه هو كلمته! وبين من قال انه ابن الله له صفة القدم كما لله تلك الصفة. وهنا ذهب أريوس إلى رأي يؤكد وحدانية المعبود منكرا ما جاء في الأناجيل مما يوهم بألوهية المسيح، وقال: "يسوع المسيح ليس أزليًا وإنما هو مخلوق من الآب، وأن الابن ليس مساويًا للآب في الجوهر، لأن ألوهيته مكتسبة من الآب". ويقول أريوس فيما ذكره زكي شنوده: "أن الابن ليس مساويا للأب في الأزلية، وليس من جوهره وقد كان الأب في الأصل وحيدا، فأخرج الابن من العدم بإرادته، والأب لا يمكن أن يراه أو يكفئه أحد، ولا حتى الابن، لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي"[185].

---

[184] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 52 (هـ).
[185] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 52-55.

وظهر للجميع أن أريوس ينادي بعقيدة مفادها أن:" الآب أقدم من الابن، وأنه خلق الابن من العدم، فالابن إذاً غير مساوٍ للآب في الجوهرِ، لأنه أدنى منه في الطبيعة والمنزلة"[186]. فهذا هو سبب خلافه مع بطرياك كنيسة الاسكندرية ألكسندر ومعاونه الشماس إثناسيوس. ومع احتدام الخلاف بين الطرفين، تم نفي أريوس وبعض ممن تبعه، بعد عقد مجمع محلي اتهموا فيه بالهرطقة. وهو ما جعل الأريوسيون يتحركون في كنيستي القدس وأنطاكية، وقد تمكن أريوس من أقناعهم برأيه. فتوسعت رقعة الخلاف، وأثارت هذه القضية ضجة في أوساط الإمبراطورية الرومانية، حتى أصبح المسيحيون مثار سخرية بين الوثنيين. فلما ظهرت بوادر الفوضى والتفلة، وفشلت محاولات التهدئة ولم الشمل على رأي واحد، عزم الامبراطور قسطنطين على عقد مجمع عام (مجمع نيقية 325م) دعا له ممثلين عن جميع الكنائس في الإمبراطورية الرومانية. تم فيه تأليه المسيح وتثبيت تهمة الهرطقة على الاريوسيين[187].

ومع ذلك كثر أتباع أريوس في الشرق، وبعد وفاة قسطنطين أصبح ابنه قسطنطيوس إمبراطورا، فتبنى الاريوسية مذهبا له، وعمل على تعميمه في الإمبراطورية، وما أن دخلت سنة 360م حتى حلت الاريوسية محل المسيحية الرومانية. ومع مجيء القرن الخامس أصبحت كل أسقفية إما أريوسية أو بقية شاغرة[188]. ومع ذلك فإن الاريوسية انقرضت في أواخر القرن الخامس الميلادي[189].

2 ـ فرقة مقدونيوس:

تنسب هذه الفرقة إلى مقدونيوس الذي كان أسقفا للقسطنطينية لمدة عشر سنين ثم مات، ويذهب المؤرخ المسيحي ابن البطريق إلى أن مقديونيوس كان آريوسي[190]. والذي نادى بأن الروح القدس مخلوق وليس إلها. فكان رأيه هذا أحد أسباب عقد مجمع القسطنطينية سنة 381م[191]، وقد تقررت في هذا المجمع ألوهية الروح القدس، فاكتملت أقانيم التثليث، وتم لعن وطرد كل مخالف لهذه العقيدة.

3 ـ الفرقة النسطورية:

---

[186] ـــ ينظر: زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط المسيحية، ط1، مصر، دون تاريخ نشر، ج1، ص54.

[187] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 58-60.

[188] ـ نهاد خياطة، الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دار الأوائل، سوريا، ص83.

[189] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 194.

[190] ـ محمد غالب بركات، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاث (اليهودية، المسيحية والإسلام)، ص130.

[191] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 165.

تنسب هذه الفرقة إلى نسطور الذي كان بطرياك القسطنطينية سنة 428م. الذي كان يقول بأن عيسى لم يكن إلها في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله وأنه فوق الناس. وهو يرى أن مريم ولدت الانسان، ثم اتحد بالأقنوم الثاني بعد ولادته، وذلك الاتحاد ليس مزج جعلهما شيئا واحدا، فهو ليس اتحادا حقيقيا بل اتحاد مجازيا، لأن الاله منحه المحبة فصار بمنزلة الابن. وهذا الرأي اعتبره معارضوه إنكار لألوهية المسيح. في حين أن نسطور ناقش فكرة الجوهر والأقانيم نقاشا عقليا، وانتهى إلى أن المسيح إنسان ووُلد إنسانا، ثم حدثت النعمة الإلهية التي نزلت على الرسل من قبل فاتصل اللاهوت بهذا الإنسان. ولأن صلت اللاهوت بالمسيح أكثر دواما واستقرارا فيه، فإنه سمي ابن الله الوحيد. وقد تم هذا الاتحاد كإشراق الشمس في كوة، فهذا الاشراق لم يجعل من الكوة شمسا. فالاتحاد إنما هو صدور عن المشيئة الإلهية، وهو يرى أن القتل فيما يزعمه النصارى وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته[192].

وقد كانت تلك الآراء سببا في عقد مجمع أفسس سنة 431م، الذي قرروا فيه إبعاد نسطور عن منصبه ونفيه إلى مصر، واتفقوا على لعنه ولعن أتباعه. وبذلك انفصل النسطوريون عن باقي الكنائس المثلثة. والجدير بالذكر أن النسطوريون بعد نسطور أنحرفوا عن مبادئه، وقالوا بامتزاج اللاهوت بالناسوت امتزاجا حقيقيا لا مجازيا[193].

ونسطور الذي تولى بطريركية القسطنطينية لمدة اربع سنين قبل خلعه ونفيه إلى مصر، لما قال مقالته تلك في المسيح، كاتبه (كيرلس) بطريرك الأسكندرية و(يوحنا) بطريرك أنطاكيا ليعدل عن رأيه، لكنه لم يستجب فانعقد مجمع أفسس سنة431م وقرر لعنه وطرده، واثبات أن مريم العذراء ولدت الانسان والاله. ويبدو أن السبب في لعنه وطرده هو أن مقالته معناها انكار الوهية المسيح. وقد اندثرت مقالة نسطور، فأحياها بعد مدة (برصوما) مطران مدينة نصيبين، وثبتها في الشرق، ولذلك تكاثرت النسطورية في العراق والموصل والجزيرة. وفي هذا العصر أصبح النسطوريون يسمون بـ: (الكلدان) أو (الأشورين)، ويسكنون خاصة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لهما. وقد تطور اعتقاد النسطوريين في المسيح فأصبح اعتقادهم فيه أن فيه (أقنومين) كما أن فيه طبيعتين، وقد التصق الأقنومان والطبيعتان حتى صار منهما رؤية واحدة. وقد ادخلتهم كنيسة روما الكاثوليكية في سلطانها، رغم الاختلاف العقائدي بين الكنيستين. فهي بعد ما كانت تتشدد قديما في طرد كل من يخالف معتقدها، قد تساهلت في هذا الزمان، ووسعت صدرها للمخالفين لها، وتأولت لهم، لتدخلهم في حظيرتها. كما أن النسطوريين قد انحرفوا عن مبادئ نسطور، لأن نسطور لا يرى أن الأقنوم الثاني (الابن) مازج المسيح قط، بل هو يرى

---

[192] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 150-152.
[193] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 152.

أن بنوة المسيح مجازية بالموهبة والمحبة لا بالحقيقة، كما أنه يرى أن المسيح خال من العنصر الالهي خلوا تاما، وكان يقول بأن مريم ولدت الإنسان فقط. بينما أتباعه قالوا بامتزاج اللاهوت في الناسوت، وبذلك انحرفوا عن مقالة نسطور[194]. ومن تقاليدهم التي يحافظون عليها في الوقت الحالي، أن أساقفتهم يلتزمون التبتل، والامتناع عن الزواج، وذلك منذ سنة 1830م[195] .

4 ـ الفرقة اليعقوبية:

تنسب الى يعقوب البراذعي، الذي انتحل مذهب بطريرك الإسكندرية القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة، التقى فيها اللاهوت والناسوت في المسيح، وهي الفكرة التي رفضها مجمع خليقدونية عام 451م، وتسبب عنها تمسك الكنيسة المصرية برأي بطريركها، والانفصال عن الكنيسة الرومانية[196]. فهذه الفرقة إذن تنسب إلى يعقوب البراذعى، الذي عاش في القرن السابع ميلادي، لكونه أنشط من دعا لمبادئها، القائلة بأن للمسيح طبيعة واحدة جامعة، التقى فيها اللاهوت والناسوت. وهو الرأي الذي قال به بطرياك الإسكندرية قبل يعقوب البراذعي وتبناه أتباع كنيسة الإسكندرية في منتصف القرن الخامس ميلادي.

وكان قد عقد النصارى مجمعا في أفسس سنة 431م، قرروا فيه القول بالطبيعة الواحدة، ثم رُفض ذلك القرار في مجمع خلقيدونيا سنة 451م. فتسبب ذلك في تمسك الكنيسة المصرية القبطية برأي بطرياكها القائل بالطبيعة الواحدة، والانفصال عن الكنيسة الرومانية[197].

واستقرت عقائد المسيحيين في مصر والحبشة وأثيوبيا ومعظم مناطق أفريقيا على هذا المذهب القائل أن للمسيح طبيعة واحدة، وأن العذراء تدعى والدة الإله[198].

5 ـ الفرقة الملكانية أو الملكية:

وهذه التسمية نسبة إلى الملك، والملك بالآرمية "ملكا"، فاتباعها يذهبون لما يذهب إليه قيصر الروم في مجمع خلقدونية لسنة 451م. الذي تقرر فيه أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتذرعت بناسوته، فهو عندهم ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية، وأن الله (تعالى الله عما

---

194 ـ (عاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة: 228- 230)

195 ـ (الخطيب، 377)

196 ـ (الخطيب، 368)

197 ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 153.

198 ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 165.

يقولون) ثلاثة أقانيم: الأب والابن وروح القدس. وهم جل النصارى، الا أنهم انقسموا إلى طوائف: (المارونية، الكاثوليكية، الارثوذوكس الروم والبروتستانت) [199].

6 ـ الفرقة المارونية:

تنسب إلى يوحنا مارون السوري، الذي قال بأن يسوع ذو طبيعتين (الأولى إلهية وأخرى ناسوتية) وأنه ذو مشيئة واحدة إلهية. وقد انعقد المجمع القسطنطيني الثالث سنة 680م لمناقشة هذه المقولة، فرفضت، وأكدوا أن المسيح ذو طبيعتين وذو مشيئتين[200]. فانشق المارونيون عن الكنيسة الملكانية بعد ذلك، واستقروا في لبنان.

ويظهر أن دعاة المذهب الماروني لم يكونوا ذوي شوكة وقوة، لذلك نزلت بهم اضطهادات شديدة، فلم يجدوا لهم مأمنا يعتصمون به الا بعض المناطق في جبل لبنان، فاعتصموا به، واستمروا على عقائدهم، حتى قربتهم كنيسة روما الكاثوليكية إليها، فاعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها، على أن يبقوا على رأيهم، وقد كان اتحادها مع كنيسة روما الكاثوليكية سنة1182م، ومازالت هذه الطائفة في جبل لبنان، ولها بطريرك خاص بها، وهي تُقر بالرئاسة لبابا روما[201].

المحاضرة السادس: المذاهب المسيحية الحالية.

1 ـ بداية تبلور المذاهب المسيحية الحالية:

في عهد الإمبراطورية الرومانية وصلت الديانة المسيحية إلى أرمينيا ومملكة فارس، وأُنشئ تنظيم كنسي خاص في كلا البلدين. كما امتدّت المسيحية إلى الحبشة واليمن والهند، وتسرَّبت إلى العديد من القبائل العربية في نجد والحجاز. وفي الغرب بلغت إلى ايرلندا واسكوتلاندا. أمّا القبائل الجرمانية التي اجتاحت الإمبراطورية الرومانية الغربية فتمَّ شيئاً فشيئاً تنصيرها أو إعادة من كان منها أريوسياً إلى الكنيسة الجامعة الكاثوليكية. كما تنصّر كلوفيس ملك الفرنجة عام 496م، واعتنق ملك القوط في أسبانيا ريكاردو الدين الكاثوليكي عام 589م، بعد أن كان على المذهب الأريوسي. وأرسل البابا غريغوريوس الكبير إلى الأنكلوساكسون في إنكلترا عام 597 الراهب أغسطينوس الشرقي المنشأ، الذي نصر الملك

---

[199] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 153- 155.
[200] ـ محمد حسني يوسف، موسوعة الفرق والمذاهب، ص 171.
[201] ـ (عا!رات في النصرانية / محمد أبو زهرة، 232)

وأصبح أول أسقف لكانتربري. ويتّضح أنَّ الكنيسة الكاثوليكية تغلبت منذ أواخر القرن السادس، في جميع أنحاء العالم الروماني، وارتبطت بها المدنية الجديدة فعُرفت بالمدنية المسيحية[202].

2 ـ انهيار العالم القديم:

في العصور القديمة كانت الإمبراطورية الرومانية تجمع في نظام واحد الشرق والغرب. إلا أن انقسام المملكة في عهد ديوكلسيانوس وخصوصاً ثاوذوسيوس الكبير، في سنة 395 مهّد السبيل لانقسامات القرون الوسطى. فأخذت القسطنطينية والجزء الشرقي من المملكة تتسم بطابع اليونانية، وروما مع القسم الغربي بطابع اللاتينية، ومع ذلك بقي الحكم في كلا العاصمتين في يد الأسرة المالكة الواحدة وبقية الوحدة الرومانية مستتبة قائمة. ولكن هذه الوحدة ما لبثت أن تحطمت تحت ضربات الجرمانيين والعرب وقام على أنقاضها عالم القرون الوسطى.

لم تكن الغزوات والفتوحات العامل الوحيد لتفكيك العالم القديم، ففي الشرق المسيحي قرناً قبل ظهور الإسلام تم انفصام سورية ومصر عن المذهب الرسمي (الملكاني) فتبين بذلك ضعف ولاء هذه الشعوب لحكامها الرومان. أما في الغرب فظلّ البرابرة الجرمانيون يعتبرون أنفسهم عملاء الإمبراطورية الرومانية وكان كلوفيس ملك الفرنجة يفتخر بلقب البطريق الروماني الذي أغدقه عليه أنسطاس امبراطور القسطنطينية. واستعاد يوستينيانوس رومة مع جزء من الغرب في القرن السادس، ولم يكتمل انفصام الوحدة الرومانية في العالم المسيحي إلا عندما انتقلت رومة من حماية القسطنطينية إلى حماية الفرنجة وخصوصاً عندما تَوّج البابا شارلمان ملك الفرنجة امبراطوراً على الرومان، فعندئذ أصبح العالم الروماني القديم مقسوماً إلى ثلاث كتل متنافسة:

1ـ دولة الخلافة العربية وكانت تشمل الساحل الجنوبي للبحر المتوسط: شرقي آسية الصغرى وبلاد الشام ومصر وافريقيا الشمالية والأندلس إضافة إلى الجزيرة العربية وممتلكات دولة فارس القديمة. وساد فيها الإسلام وانتشرت فيها العربية لغة الحكم والثقافة.

2 ـ الدولة الرومانية الشرقية أو المملكة البيزنطية وسماها العرب بلاد الروم وانحصرت بعد الفتوحات العربية في آسية الصغرى والبلقان وكانت معرضة دوماً لضربات العرب (الفتوحات الاسلامية) في آسية الصغرى ولغزوات الصرب والبلغار في البلقان ولم تكن هذه الدولة رومانية إلا بالاسم وقد بطل بعد يوستينيانوس استعمال اللاتينية في الدوائر وأصبحت الدولة فعلاً مملكة يونانية. خصوصاً بعد أن انسلخت من رقعتها بلاد الشام ومصر حيث لم تكن اليونانية معروفة إلا في المدن. وامتد نفوذها إلى روسيا وبلاد الصقالبة الشرقيين من

---

[202] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 6.

صرب وبلغار. وكان المذهب الخلقيدوني (الملكاني) والليتورجيا البيزنطية القاسم المشترك بين هذه الشعوب على اختلافها.

3 ـ العالم المسيحي الغربي: كان يشتمل على مقاطعات الإمبراطورية الرومانية الغربية ما عدا افريقيا الشمالية والأندلس التي فتحها المسلمون. وامتدت المسيحية الغربية إلى شمالي اوروبا كلها شاملاً جميع المناطق الجرمانية والمقاطعات السلافية الغربية. وانتقل مركز الثقل في العالم الغربي من البلاد المتاخمة للبحر المتوسط والمرتبط تاريخها بالشرق إلى قلب المناطق الجرمانية ومرد ذلك إلى اثنين: النفوذ العربي في البحر المتوسط، والتفوّق العسكري الذي أحرزه الجرمانيون قاهرو الإمبراطورية. وكان لهذا العالم الغربي رأسان الإمبراطور والبابا. ولهذا سميت منذ القرن العاشر بـ: " الإمبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة ". وقد كان لانقسام العالم القديم إلى هذه الكتل المتنافسة أثران فادحان على الوحدة المسيحية[203]:

1 ـ الأثر الأول هو ترسيخ الانقسامات الدينية التي حدثت في القرن السادس:

فعندما كانت سورية ومصر مرتبطتين بالدولة البيزنطية كانت تُبذل محاولات ومساع لرأب الصدع وإعادة الوحدة وإزالة خلافات كانت تُعتبر حتى ذاك منازعات عابرة بين إخوة. فعندما وصل الاسلام إلى تلك البلاد أقرّوا الوضع القائم وبقي الخلاف مستحكماً بين رعاياهم المسيحيين والكنيسة الرسمية في الإمبراطورية الرومانية المعادية.

2 ـ الأثر الثاني هو ظهور الهوة بين الشرق الأرثوذكسي والغرب الكاثوليكي:

ففي حين حافظت رومة على علاقاتها مع الشرق حتى بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية، فالشعوب الرومانية اللاتينية لم تنسَ حياتها الطويلة المشتركة مع الشرق، ولم تكن التقاليد الشرقية غريبة عنها كثيراً. بينما الجرمانيون الذين سيطروا على العالم الغربي بعد ذلك، فكانوا حديثي عهد في الإيمان المسيحي، ولم تقم لهم أي علاقة سابقة مع الشرق، ولم يعيروا الاعتبار اللازم للتقاليد القديمة المشتركة مع الشرق.

أما البيزنطيون وبعد أن انحصروا في المناطق التي تتكلم اليونانية دون سواها أمسوا يجهلون اللاتينية، وكانوا يعتبرون أنفسهم الخلفاء الوحيدين للامبراطورية الرومانية وللحضارة القديمة ويستخفّون بالغرب الواقع في حكم البرابرة الجرمان. ومن يوم ارتبطت الباباوية بالدولة الجرمانية لم يعد الكرسي الرسولي الروماني في نظر الشرق، يمثل السلطة الروحية العليا الشاملة، بل أصبح عنصراً من النظام الغربي وأمسى الخضوع للباباوية

---

[203] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 6- 8.

والحالة هذه، لوناً من ألوان الارتباط السياسي بالعالم الغربي، مما عرّض دوام الشركة الكنسية للانهيار.

انفصال الكنيسة الشرقية عن الكنيسة الغربية:

وسبب هذا الانقسام يتعلق بكنيسة القسطنطينية، التي اعتقدت أن انبثاق الروح القدس من الأب وحده، بينما كان رأي كنيسة روما أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معا .ومن أجل هذا عقد بابا روما مجمعا سنة 869 م ، أعلن فيه طرد ولعن بطريرك القسطنطينية، لمقالته في أن الروح القدس انبثق من الأب وحده. وردا على هذا المجمع عقدت كنيسة القسطنطينية مجمعا آخر سنة 879 م، تم فيه اعتناق رأي البطريرك في أن الروح القدس انبثق من الأب فقط. وبذلك انقسمت الكنيسة (الملكانية) إلى قسمين: أولاهما: كنيسة روما (وهي الكنيسة الغربية اللاتينية) وثانيهما: كنيسة القسطنطينية (وهي الكنيسة الشرقية اليونانية). فالأولى سميت بالكاثوليك، والثانية سميت بالأرثوذكس.

وإضافة إلى السبب الاعتقادي كونه السبب الرئيسي للانقسام، كانت هناك أسباب أخرى، أهمها ما يتعلق بالرئاسة الدينية أو الكهنوتية، فقد كان هناك تنافس بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية، حتى قبل انقسامهما بشكل رسمي. ولهذا فإن هذا التنافس قد زاد بعد الانقسام، وأصبح الصراع علنيا بين الطرفين حول الرئاسة الدينية، أهي لكنيسة القسطنطينية أم لكنيسة روما؟ . وبناء على ذلك عقد بابا روما مجمعا سنة 869م قرر فيه أن الرئيس العام للكنائس هو بابا روما، بينما قامت كنيسة القسطنطينية برفض هذا القرار عن طريق مجمع عقد سنة 879م وقررت أن رئيس كنيسة القسطنطينية هو الرئيس العام للكنائس[204].

المذهب الكاثوليكي:

الكنيسة الكاثوليكية بهذه التسمية تعني الكنيسة الجامعة، وتُسمى بالكنيسة الغربية، وعرفت تاريخيا بالكنيسة اللاتينية، لأنها استعملت اللغة اللاتينية وثقافة الشعوب اللاتينية في طقوسها وتلاواتها ومكتوباتها. وعرفت كذلك بالكنيسة الرومانية، لأنها انتشرت في الأوساط التي سيطرت عليها الإمبراطورية الرومانية بعد انقسامها بين أبناء الامبراطور قسطنطين. ومركزها الرئيسي في الفاتيكان في روما بإيطاليا، ويعود تأسيسها إلى بطرس، أحد الحواريين الإثنا عشر، الذي يلقب بالصخرة، لأنه ورد في الكتاب المقدس في انجيل متى 18/16: (أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي). يترأس هذه الكنيسة البابا المنتخب من قبل الكرادلة من رجال الدين الكاثوليك، والبابا عند الكاثوليكية هو خليفة المسيح، وقراراته حاسمة في مختلف الشؤون، وإرادته لا تقبل المناقشة، وأتباع هذه الكنيسة معظمهم

---

[204] - (الخطيب، مقارنة ، 370)

في الغرب اللاتيني، ومن أبرز مواقع انتشارهم: إيطاليا، إسبانيا، فرنسا، بلجيكا، البرتغال وتنتشر في سائر القارات، ويفوق عدد أتباعها في العالم المليار نسمة[205].

والكاثوليكية كلمة لاتينية تعني: العامة، فكنيستهم هي الكنيسة العامة، لأنها تدعي أنها أم الكنائس ومعلمتها. وقد أطلقت على الكنيسة الكاثوليكية أسماء مختلفة مثل: الكنيسة الرومانية الغربية، والكنيسة البطروسية أو الرسولية، أو الكنيسة اللاتينية، ورئيسها البابا في الفاتيكان بروما. وقد سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها الى الغرب اللاتيني، وخاصة في بلاد: ايطاليا وبلجيكا وفرنسا اسبانيا والبرتغال، وان كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان. وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية، لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها هو بطرس كبير الحواريين ورئيسهم، والبابواب في روما خلفاؤه.

نظام الكنيسة الكاثوليكية :

النظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام البابوي (الهرمي)، والذي يرأسه البابا ويساعده الكرادلة (جمع كاردينال) وهم أصحاب الحق في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجتمع الكنائسي الذي يصدر ارادات بابوية سامية، وهي إرادات إلهية، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، فهو يمثل الله، ويلهمه الروح القدس، ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدال أو المناقشة. وعندما يموت البابا يُنتخب خلفته من طرف الكرادلة، وبعد انتخابه يكون صاحب الحق في ابرام قوانين، لها صفة الالزام والطاعة من الشعب الكاثوليكي، وهكذا تبدو سلطة البابا واسعة. وقد مارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع أنواع الاضطهاد الديني ضد معارضيها، ومحاكم التفتيش جزء من هذه الحملة الكاثوليكية الشرسة على معارضهم سواء كانوا مسيحيين أو غير مسيحيين[206].

عقائد الكاثوليك:

يعتقد الكاثوليك بأن الأقانيم الثلاثة متمايزة ومنفصلة، فالأب غير الابن، والابن غير الأب، والروح القدس غيرهما. والعقيدة التي يتمسك بها الكاثوليك هو القانون الذي نادى به (اثناسيوس)،
وهو الذي تصدى لآريوس في مجمع نيقية سنة 325م، وصورة هذا القانون كما يلي[207]:
1 -أن كل من ابتغى الخلاص، وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي، أي الايمان الجامع العام للمسيحية.
2- الإيمان الكاثوليكي، هو عبادة اله واحد في تثليث، وثلاثة في واحد.
3 -لا تمزج الأقانيم، ولا تفصل الجوهر.
4 -إن الأب أقنوم على حدة، والابن أقنوم على حدة، وللروح القدس أقنوما آخر.
5 - الأب والابن والروح القدس لاهوت واحد، ومجد متساو، وجلال أبدي معا.
6-الأب غير مخلوق، والابن غير مخلوق، والروح القدس غير مخلوق.

---

[205] - (ترجمان الأديان ص 357)
[206] - (مقارنة اديان / جامعة القدس /299)
[207] - (ينظر: أقانيم النصارى / د .احمد حجازي السقا: 69- 72

7-الأب غير محدد، والابن غير محدد، والروح القدس غير محدد.
8-الأب سرمد، والابن سرمد، والروح القدس سرمد، ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين، بل سرمد واحد.
9- وهم ليسوا ثلاثة مخلوقين، ولا ثلاثة محددين، بل واحد غير مخلوق، وواحد غير محدد.
10 - وكذلك الأب ضابط الكل، والابن ضابط الكل، والروح القدس ضابط الكل، ولكن ليسوا ضابطي الكل، بل واحد ضابط الكل.
11 - وهكذا الأب اله، والابن اله، والروح القدس اله، ولكن ليسوا ثلاثة ألهة، بل إله واحد.
12- وكما أن الحق المسيحي يكلفنا أن نعترف بأن كلا من هذه الأقانيم بذاته اله ورب، فإن الدين الكاثوليكي ينهى عن القول بوجود ثلاثة ألهة وثلاثة أرباب.
13 - فالأب غير مصنوع من أحد، ولا مخلوق ولا مولود، وكذلك الابن وحده، وروح القدس وحده.
14 - أب واحد لا ثلاثة آباء، وابن واحد لا ثلاثة أبناء، وروح قدس واحد لا ثلاثة أرواح قدس.
15 - يجب عبادة الوحدانية في ثالوث، والثالوث في وحدانية.
16 - من أراد أن يلزم له الخلاص، فعليه أن يؤمن بهذا الثالوث وبتجسد يسوع المسيح.
17 - الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأن يسوع المسيح ابن الله هو اله انسان، وأنه اله من جوهر الأب ومولود قبل الدهور، وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر، اله تام، وإنسان تام، كائن بنفس ناطقة وجسد بشري.
18 ـ والابن مساو للأب بحسب لاهوته، ودونه الأب بحسب ناسوته، وهو ورغم كونه الها وانسانا، فإنما هو مسيح واحد لا إثنان.
19- المسيح تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم (أي عالم الأموات) وقام أيضا في اليوم الثالث من بين الأموات، ثم صعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الرب.
20- ومن هنا يأتي ليُدين الأموات والأحياء، وعند مجيئه يقوم جميع البشر بأجسادهم ليحاسبوا على أعمالهم الخاصة، فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية، والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية.
21-هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذي لا يقدر الإنسان أن يُخلص ـ عندهم ـ من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين .

شرائع الكاثوليك[208]:
1 -إستعمال الفطير في العشاء الرباني بدل الخبز.
2-أكل الدم والمخنوق.
3-أكل الرهبان دهن الخنزير.
4- لبس الأساقفة الخواتم في أصابعهم، وحلق الكهنة لحاهم.
5-المغفرة من حقوق الكنيسة ورجالها.

---

[208] ـ ينظر: محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهر، 234: وينظر: مقارنة أديان / جامعة القدس، 302.

6- تحريم الزواج على رجال الكنيسة.
7- تحريم الطلاق على جميع المسيحيين، حتى عند الخيانة الزوجية.

المذهب الارثوذوكسي:

الأرثوذكس كلمة يونانية تعني "الرأي المستقيم أو الرأي القويم والرأي الصحيح". وتسمى كذلك الكنيسة الشرقية. لأنها تتمركز في الشرق، وعرفت تاريخيا بالكنيسة اليونانية لأنها استخدمت اللغة والثقافة اليونانية في طقوسها وتراتيلها ومكتوباتها، كما سميت قديما بالكنيسة البيزنطية، لأنها انتشرت في الأراضي التي كانت تحت سيطرت الإمبراطورية البيزنطية.

أما في الاتينية فكلمة الأرثوذكسية تعني: المتشددون أو المتعصبون، وتسمى كنيستهم (كنيسة الروم الأرثوذكس) أو(الكنيسة الشرقية أو اليونانية) لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان. مقرها الأصلي القسطنطينية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية في القرن التاسع الميلادي، وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس[209] .

ولهذه الكنائس بطاركة (في رتبة البابا): أولهم بطريرك القسطنطينية، وهو كبيرهم، ولذلك يلقبونه بـ:
(البطريرك المسكوني)، ويليه في المرتبة والمكانة الدينية (بطريرك الإسكندرية) خاص بالروم
الأرثوذكس، ثم بطريرك (أنطاكيا)، ثم بطريرك(أورشليم) ثم (المجمع الروسي) ثم عدة مجامع لأسقفيات مستقلة أخرى كأسقفية (أثينا)، وأسقفية(قبرص[210]) .

ومنذ الانشقاق الرسمي بين المسيحية الشرقية والغربية عام 1054م باتت عاصمة الأرثوذكس هي القسطنطينية (وهي إسطنبول اليوم) ولا يزال بطريرك إسطنبول يُسمى البطريرك المسكوني. وينتشر أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في اليونان والبلقان وأوروبا الشرقية. وقبل الشيوعية لعبت روسيا القيصرية دورا مهما في مسار هذه الكنيسة. وضمن الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية نجد بشكل أساسي الكنيسة القبطية والأرمنية والسريانية[211].
وهم عموما لا يعترفون بالسلطة الروحية لبابا روما عليهم، وإن كان بعضهم قد اعترف بتقدمه في الرئاسة الرمزية على المسيحيين في العالم. كما يعتبرون بأن كل واحد من بطاركة الكنائس له نفس القدر من السلطة الروحية على أتباعه (رعاياه).

عقائد الأرثوذكس

يعتقد الأرثوذكس أن الله واحد في ثلاثة أقانيم، ويقولون: إن الله عز وجل نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، ثم خرج طفلا كاملا اسمه (عيسى) أو (يسوع)، ونما كما ينمو الأطفال، ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة، وبعد سنتين وأشهر قتله اليهود وصلبوه، ثم دفن في القبر ثلاثة أيام، ثم نزل إلى الجحيم وهو في القبر، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السماوات . وسُمي (الأب) قبل التجسد، ثم(الابن) بعد التجسد،

---

209 - (المسيحية / د .أحمد شلبي: 201)
210 - (محاضرات في النصرانية / محمد ابو زهرة، 236)
211 - (ترجمان الأديان ص 357).

وسمي الروح القدس، الاسم الذي كان عليه قبل انشاء العالم، أي أن عيسى هو(الله) خالق السماء والأرض، والله هو عيسى [212]. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ويستدلون على مذهبهم هذا بقول بولس: (رسالة تيموثاوس الاولى16/3: الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تَراء للملائكة، كُرز به بين الأمم، أؤمن به في العالم، رُفع في المجد). ولتوضيح ذلك يقول الأرثوذكس: "إن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذه جسدا حقيقا، بنفس عاقلة ناطقة، ثم الحبل به في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء". وقد مثل أباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت، بأن الانسان مركب من جزأين أحدهما: الجسد الكثيف المأخوذ من التراب، وثانيهما النفس العاقلة الناطقة، ومع وجود هذين الشيئين واتحادهما دون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصا واحدا ذا طبيعة واحدة، فاللاهوت هو الجزء البسيط، والناسوت هو الجزء الكثيف من النفس الناطقة، وباتحادهما معا دون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتا واحدة جوهرا وطبيعة واحدة[213].

ويمكن أن نوجز أهم الأصول الاعتقادية والتشريعية للارثوذكس كما يلي[214]:

أ- المسيح له طبيعة واحدة، ومشيئة واحدة في أقانيمه الثلاثة، فهو في كل أقنوم منها يحمل هذه الطبيعة.

ب-روح القدس نشأ عن الاله الأب فقط.

ت-أفضلية الإله الأب عن الاله الابن.

ث-عدم جواز أكل الدم والمخنوق، وأكل دهن الخنزير للرهبان.

ج- نظام الكنيسة الأرثوذكسية يبدأ من (البطريرك) ويليه في الرتبة (المطارنة)، ثم (الأساقفة)، ثم(القُسس) أصحاب الامتياز ويسمون (القمامصة)، ثم القُسس العاديون، ويسمون القساوسة.

ح- اجازت الكنيسة الأرثوذكسية لرجال الدين الزواج بشرط أن لا يصل الى رتبة (الأسقف).

الكنيسة البروتستانتية:

البروتستانت هي كلمة لاتينية تعني المُحتجون، وبسبب ملاحقة الكنيسة لأتباع هذه الحركة أنشأوا كنيسة خاصة بهم، لها أصولها وطقوسها الخاصة. وقد سميت بالكنيسة البروتستانتية أو الانجيلية، اشارة منهم إلى أن الإنجيل هو المصدر الوحيد لفهم المسيحية بعيدا عن تفسيرات رجال الدين. وتنتشر البروتستانتية في المانيا وانجلترا والدنمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية[215].

بدأت حركة الإصلاح في الكنيسة الغربية الكاثوليكية في أوربا بعد انتشار أنواع من الفساد داخل الكنيسة وبين رجالها، تجلى ذلك الفساد في مجالات مختلفة:

---

[212] - (مقارنة اديان / جامعة القدس: ، 303)

[213] - (اقانيم الصارى / د .احمد حجازي السقا:، 68)

أ- [214] - (مقارنة اديان / جامعة القدس: 304) وينظر: (المسيحية / د .أحمد شلي: 202، 203).

[215] - (الخطيب، مقارنة، 381)

أ -الفساد المالي وفرض الاتاوات : فرضت الكنيسة الكاثوليكية اتاوات على كل فرد مسيحي طيب السلوك أو سيء السلوك، وقد استخدموا أساليب غير مهذبة في جمع هذا المال، وقد كان في روما ستة عشر الفا من النساء العاهرات اللاتي يستخدمن أعراضهن في الحصول على المال، وقد اعتبرتهن الكنيسة موردا ماليا لخزانة الكنيسة، ففرضت عليهن الضرائب.
ب -التحكم في تفسير الانجيل : استحوذت الكنيسة الكاثوليكية على احقية تفسير الأناجيل، واصدار الفتاوى، ومنعت العقل وحجرت عليه التفكير، بل طالبت بإلغائه إذا عُرضت عليه قضية فلم يفهمها. ودعت العوام والمثقفين الى ترويض عقولهم لقبول كل شيء غير معقول.
ج - مسألة العشاء الرباني : تقول الكنيسة الغربية بأن من تناول الخمر والخبز في عيد الفصح يستحيل إلى جسد ودم المسيح، وهو ما يسمونه بالإستحالة وهذه المسألة لم تقبلها عقول الشباب الغربي فثار عليها.
د - سلوك رجال الكنيسة الكاثوليكية أنفسهم : قرر المجمع الثاني عشر أن المسيح أعطى كنيسة روما حق منح الغفران لمن تشاء، وتطور هذا القرار الى وثائق تُباع تسمى بـ: صكوك الغفران.
هـ - أما عن السلوك الأخلاقي، فقد حدث أن رجال الكنيسة الذين يزعمون أنهم بلغوا الغاية في الطهارة الروحية، قد انغمسوا في الشهوات وارتكبوا الموبقات واستغلوا سلطانهم الديني.

ظهور المصلحين وبداية الإصلاح: بسبب كل المفاسد الأخلاقية والعقائدية والمالية في الكنيسة الغربية، ظهر الكثير من المصلحين من داخل الكنيسة وخارجها يطالبون بالإصلاح، وكان من أوائل هؤلاء:

يوحنا هوس وتلميذه (جيروم): وكان من أهم أفكارهما بأن الكنيسة ليس لها سلطان في محو الذنوب، وان التوبة مع رحمة الله فقط هي الطريق الطبيعي لهو الآثام وتطهير النفوس من الخطايا، وأن ما يسمى بسر الاعتراف خرافة، وكذلك صكوك الغفران، لأنها تتعارض مع تعاليم المسيح. لكن الكنيسة رأت ان ذلك هدم لكيانها، فانعقد مجمع كونستانس مدة أربع سنوات (1414-1418م) للنظرة في ثورة يوحنا هوس وتلميذه جيروم، وقرر المجمع قتل العالمين الثائرين حرقا بالنار لما يقولانه من هرطقة.

ثم ظهر **(آرزم):** الذي دعا الى قراءة الكتب المقدسة من مصادرها، ثم ظهر (توماس مور) وهو إنجليزي ثار على طقوس الكنيسة، وأعلن ان سيادة البابا واجبة مع وجوب اصلاح الكنيسة. وكان أخر المعارضين **(مارتن لوثر)** الذي يعد أول من انتقل بحركة الإصلاح الى مرحلة الثورة والتمرد على نظام الكنيسة الكاثوليكية، فكان ينادي بأعلى صوته: أن صكوك الغفران دجل، وأن الذنب لا يُغفر الا بالندم والإقلاع عن المعاصي، وطالب الكنيسة بإلغاء صكوك الغفران، وأعلن أن البابا ليس خليفة المسيح، وأن زواج القساوسة أمر ضروري لإصلاح نفسية رجال الدين، وان كل مسيحي له الحق في فهم الكتاب المقدس، بل وطالب بإنكار مبدأ الاستحالة في العشاء الرباني .

وقد سميت ثورة (مارتن لوثر) بثورة الإصلاح الديني، ورغم أنها كانت ثورة شاملة زلزلت أركان الكنيسة الغربية وخرجت على نظامها، وحدت من طغيانها وطاعة الناس العمياء لها، الا أنها لم تكن إصلاحا عقائديا دخل في عمق جوهر الفساد العقائدي الذي طرأ على المسيحية، فلم يبطل البروتستانت أصلا من أصول المسيحية، ولم تتطرق للموضوعات العقائدية المهمة كالتثليث وقرارات المجامع المتلاحقة المتناقضة التي كان يلعن بعضها

بعضا، ولم تتعرض لمسألة طبيعة المسيح عليه السلام وما دار حولها من جدل طويل وخلاف حاد وانقسام بين الكنائس، ولم تتعرض الى مسألة الصلب التي اعتقدها النصارى وما لحقها من عقائد الفداء والتكفير والتضحية[216]. فالملاحظ أن حركة الاصلاح اقتصرت على الشكليات والممارسات الخاطئة لرجال الكنيسة، وعلى العموم يمكن القول أن حركة الإصلاح لم تكن إصلاحا للمسيحية، إنما كانت إصلاحا للكنيسة.

وقد حصل انشقاق كبير في الكاثوليكية في القرن السادس عشر في أوروبا قاده مارتن لوثر (1483 - 1546م) وحنا كالفن (1509- 1564م) ظهرت على أعقابه البروتستانتية، التي قامت على قاعدة رفض السلطة الإكليريكية (أي السلطة الكهنوتية) لرجال الدين، وقاومت البروتستانتية محاكم التفتيش ومسألة بيع صكوك الغفران، ونادت بالعودة إلى أهل الناموس (أي التوراة). ولذلك أخذت بالعهد القديم مع العهد الجديد، والفريق المتشدد منهم، يحب أن يُدعون بأنهم إنجيليون، منهم الأنغليكانية التي تتمركز في بريطانيا. والمجالس التي تدير عمل المذهب البروتستانتي هي علمانية وإكليريكية، وينكرون الرتب الدينية المعتمدة في سائر الكنائس، ويعتمدون فقط لقب " قس " للمعني بالشأن الديني . تنتشر البروتستانتية في أوروبا وسط الكاثوليك وفي أمريكا عموماً والشمالية خصوصاً[217].

عاش مارتن لوثر في أسرة فقيرة، ومع ذلك اجهد والده ليوصله إلى الدراساته العليا في القانون فأرسله الى الجامعة. لكن ميول لوثر كانت دينية أكثر منها قانونية، فقد كانت له مشاعر دينية مرهفة، فعكف على دراسة اللاهوت. وهو ما جعله محل عناية من الكنيسة. عين مدرسا للفلسفة، وظل يعكف على دراسة الفلسفة حتى شك في صلاحيتها، وكان يرى أن أرسطو واحد من عبدة الأوثان. دفعته عواطفه الدينية الى أن يحج الى روما لتحل عليه بركات من البابا، وما أن وطئت قدماه روما حتى اصطدمت مشاعره وأماله بخيبة كبرى، فقد كان قبل ذلك يحلم بأنه سوف يقابل خشوعا وورعا وتنسكا وطهرا ووقارا، فإذا به يجد مدينة ماجنة خليعة، ونفوسا مدنسة، واستهانة بالدين، وجرأة على ارتكاب الخطايا، ووجد رجال الدين قد انغمسوا في شهواتهم، فانفعلت مشاعره والتهب وجدانه مما رأى. فلما رجع إلى ألمانيا أخذ يدعو إلى الاصلاح، وفي أثناء ذلك أعلنت الكنيسة ما يسمى بصكوك الغفران، فأعلن لوثر أنه لا تُغفر الذنب الا بالإقلاع والندم ورجاء رحمة الله الغفار، وكتب منشورات يلعن فيها بيع صكوك الغفران، وعلقها على أبواب الكنيسة، فتهيج الرأي العام وانتبه لذلك، فغضب البابا. وقدم لوثر لمحاكم التفتيش بعد ذلك، فلم يذهب، فأصدر البابا قرارا بحرمان لوثر، فثارت ثائرته، واشتد في عدائه، وأعلن الإمبراطور حرمانه من الحقوق المدنية بناء على قرار البابا بالحرمان، ولكن أمير سكسونية استطاع حماية لوثر، ولما حاول الإمبراطور أن ينفذ قراره منعته القوة الشعبية لأفكار لوثر ومؤيدوه، واحتجوا فسموا بعدها بالبروتستانت. وبعد موت لوثر، أنزل الإمبراطور بالبروتستانت أشد أنواع العذاب[218] .

---

[216] - (مقارنة أديان / جامعة القدص، 307)

[217] - (ترجمان الأديان ص 358).

[218] - .(اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 133- 135)

أما جون كالف الذي ولد عام 1905في فرنسا. فقد تشابهت حياته الثقافية مع حياة لوثر، فهو الآخر التحق بالدراسات القانونية، ثم تركها لدراسة اللاهوت. وعندما شاعت تعاليم لوثر أخذ كالفن في الدعوة اليها. ثم سافر إلى جنيف بسويسرا للتأليف ونصرة مبادى لوثر. كتاباته اهتمت في الأساس بتنظيمات الكنيسة البروتستانتية. من أبرز آراءه أن المسيح لا يحضر العشاء الرباني، لا بشخصه ولا بروحه، وتناول العشاء رمز الى مجيء المسيح، لا أنه يجيء حقيقة أو مجازا[219].

أهم مبادئ حركة الإصلاح الديني أو الكنيسة البروتستانتية[220] :

1- جعل الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للمسيحية، ورفض كل الأحكام التي لم ترد فيه، وجعل الخضوع التام الواجب على المسيحي، لنصوص الكتاب المقدس وحدها. وقياس كل أوامر الكنيسة وقرارات المجامع على ما نص عليه في ذلك الكتاب المقدس، فما وافقه قُبل، وما خالفه رُفض، ولو كان قد صدر عن البابا.

2- ليس لكنائس البروتستانت رئاسة عامة، فلكل كنيسة رئاستها، والكنيسة ليس لها سلطان الا الوعظ والإرشاد، والقيام على تأدية الفروض والتكاليف الدينية، وبيان الدين لمن لا يستطيع معرفته من تلقاء نفسه.

3- ليس للكنيسة حق غفران السيئات، فسلطان الوعظ لا يعني أن لها سلطان محو الذنب، أو ستره،
أو تلقي الاعتراف بالذنوب ومسحها، سواء كانت تلك هي المسحة الأخيرة عند الاحتضار، أم كانت قبل ذلك، فكل ذلك ليس لها فيه سلطان، لأنه من عمل الديان. فهم يعتبرون أن غفران الذنوب يرجع الى عمل الشخص وعفو الإله، وتوبة العاصي وندمه على ما فات ولومه نفسه على ما كان.

4- من حق كل مسيحي قادر أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره، فحق التفسير والفهم للكتاب المقدس، لم يعد مقصورا على رجال الدين، وبهذا فقد أزال البروتستانت ذلك الحجاب الذي أقيم بين المسيحي وكتابه المقدس، إذ أقامه رجال الدين ليحتكروا حق تفسير الكتاب المقدس لأنفسهم.

5- رفض البروتستانت الصلاة بلغة غير مفهومة (كاليونانية أو اللاتينية)، فترجم الكتاب المقدس للغات مختلفة حتى يقرأه الناس على اختلاف لغاتهم، وحتى تكون صلاتهم ودعاؤهم بلغة يعرفونها، لأن الصلاة دعاء من العبد للمعبود وانصراف القلب إليه، فوجب أن يكون بألفاظ يفهمها العابد ليُردد معانيها ويقصد مراميها.

6 - لا علاقة للعشاء الرباني بجسم المسيح ودمه، وما هو الا تذكار بفداء المسيح للخطيئة التي ارتكبها آدم، وتحملت الخليقة من بعد وزرها، وتذكار لمجيئه ليُدين الناس، فهو تذكار للماضي والمستقبل. وهم ينكرون أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر الى دمه.

---

[219] - (اضواء على المسيحية / د .رؤوف شلي، 136)

[220] - **(ينظر:** محاضرات في النصرانية / عمد ابو زهرة: 184- 188 و والمسيحية / د.أحمد شلى: 214 و مقارنة الاديان / جامعة القدس، **308)**

7 - انكار الرهبنة، وعدم الاعتراف بضرورتها، واباحة الزواج لرجال الدين، واعتبروا أن ذلك الحظر قد أدى لكبت الجسد الانساني وتعذيبه من غير ضرورة، وأنه لا يوجد نص في الكتاب المقدس كلة يفيد ذلك.
8 - عدم اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس وعدم السجود لها، فذلك من بقايا الوثنية، وهو منهي عنها في التوراة.
9 - لا تؤمن البروتستانتية بنظام الكهنة ولا بالبخور في الهيكل.
10 - لا تؤمن بالأسرار السبعة التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية.
11 - لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى.

الفرق البروتستانتية:

البروتستانت الذين انفصلوا عن الكنيسة الكاثوليكية وتعاليمها، اختلفوا فيما بعد، وتعددت طوائفهم بعد ذلك، وكان من طلائع الانقسامات في داخل هذه الطائفة[221]:

أ – جماعة الأصدقاء:

الذين ظهروا في إنجلترا قبيل نهاية القرن السابع عشر، وكانوا يؤمنون بأن الدين الصحيح الذي يسمونه النور الباطن، هو في داخل المرء، وأنه حيثما يجتمع المؤمنون الحقيقيون كان مكان اجتماعهم أرضا مقدسة، وقد كانوا يجتمعون في بيوت خاصة وفي الحظائر وفي الهواء الطلق وفي الأسواق. وكانت اجتماعاتهم تشبه اجتماعات الأصدقاء، وقد أُضطهدوا في إنجلترا، وهاجر الكثيرون منهم إلى أمريكا، ولكن معاملتهم في امريكا لم تكن أحسن حالا من معاملتهم في إنجلترا، حتى اتخذ أخر أتباع هذه الطائفة مستعمرة لهم في بنسلفانيا ونيوجرسي.

ب - المورمونيه :

ظهرت المورمونية بولاية نيويورك، أنشأها (جوزيف سميث) الذي ادعى أنه وجد كتابا مكتوبا على أوراق من الذهب كشفها له ملك من السماء اسمه (موروني)، وقد نظم مع بعض الأصدقاء كنيسة جديدة أسموها (كنيسة يسوع لقديسي اليوم الأخير). وقد أُنشئت هذه الكنيسة في وسط ديني أمريكي يستعمل قصص الأساطير المقدسة التنبؤية. ويتصف تطورها المبكر بالغموض، فقد كانت مضطهدة من طرف الكنائس السائدة أنذاك، ومن طرف السلطات المحلية، لكن ما إن حل عام 1877 حتى ازداد عدد أتباعها، فأصبح هذا المذهب حسب احصاءات أخيرة هو من أكثر المذاهب ازديادا في امريكا اليوم.

ومؤسس هذا المذهب (سميث)، أثار قلقه الجدال والحماس الدينيين الكبيرين اللذين كانا سائدين في فترة شبابه، حيث لم يجد اجابات عن اسئلة كثيرة كانت تراوده عن الدين. ادعى بعد ذلك أنه جاءه في الحلم (الأب والابن) ونصحاه ألا يأبه بهذه المذاهب، وبشراه بأنه سيكون له شأن كبير في مستقبل المسيحية، ثم اتاه في حلم أخر ملاك اسمه (موروني) ونبأه أن الله اختاره نبيا لحمل الرسالة المقدسة الى العالم. وأخبره أن ألواح الدين الصحيح التي حملتها القبيلة الإسرائيلية التائهة (أسطورة القبيلة الإسرائيلية المفقودة) مخبأة تحت صخرة معينة في ولاية نيويورك، ذهب سميث الى ذلك المكان، حيث وجد الألواح ومعها

---

[221] - (الخطيب/ مقارنة/ 384- 388)

(نظارة ترجمة) خاصة بها، استعملها ليترجم بواسطتها نصوص تلك الألواح الى اللغة الانجليزية، واصبح هذا الكتاب هو الكتاب المقدس لدى مذهب المورمون، وسُمى (كتاب المورمون)، وقد ادعى سميث بعد ذلك أن الألواح فُقدت، وقبل فقدها عرضها على ثمانية من أتباعه المخلصين، ووقع هؤلاء الأشخاص على وثيقة بذلك، وهي تتصدر كل طبعات كتاب المورمون، وهذا الكتاب هو خليط غريب من نصوص العهد القديم والأساطير الشعبية والمعتقدات المعاصرة الرائجة.

وقد تعرض أتباع مذهب المورمون للسخرية والاضطهاد حيثما حل بهم المقام، حتى إن سميث وأخوه قُتلا في سجن مدينة (كارتج)، مما أدى إلى ظهور قائد جديد (إبريغام يونغ)قادهم الى حيث يستطيعون العثور على (صهيون الجديدة في القفار)، وانتهى بهم المطاف في منطقة (سوت ليك سيتي) بولاية(يوتا)، حيث استقروا وشيدوا (هيكل القدس الجديدة)، الذي مازال المركز الرئيسي لأتباع هذا المذهب، وكان استقرارهم في هذه المنطقة بالنسبة لهم تحقيق معجزة سماوية دعمت (رؤيا صهيون) في
تفكيرهم الديني، وجعلتهم يكرسون أنفسهم لتحقيق نبوءة اعادة تشييد الهيكل، حيث بُني هيكل كنيسة المورمون في سولت ليك سيتي. ومع أن أتباع كنيسة المورمون لا يعتبرون أنفسهم من البروتستانت، ويؤرخون لبدايتهم في العهد القديم، الا أن (قدسهم الجديدة) ليست في نظرهم بديلا للقدس القديمة ومملكة صهيون، التي وردت في النبوءات. بل إن مذهب المورمون يُصر على أن جمع شتات اليهود في فلسطين، سيحدث لا محالة تحقيقا لنبوءات النصوص المقدسة.

ج – طائفة (كريستيان ساينس) :

مؤسستها هي (مسز ماري بتلر إيدي)، التي وضعت كتابا اسمه (العلم والصحة) كدليل إلى الانجيل، وحاولت فيه أن تفسر كيف يمكن شفاء المريض بالإيمان، ونظمت كنيسة خاصة بها، وأسمتها الكنيسة الأولى للمسيح في العالم، وسرعان ما وجدت مسز إيدي عدة اتباع في امريكا وفي غيرها من البلاد. ومن الملاحظ أن هذه الطوائف يختلف بعضها عن الآخر، إلى حد أنهم لا يكادون يبدون فروعا لدين واحد.

د- الانجليون أو(المسيحيون الصهيونيون):

الانجيليون هم أتباع (الكنيسة الإنكليكانية) أو الإنجيلية، يتبعون المذهب البروتستانتي. ويسمون إعلاميا بالمسيحيين الأصوليين، وهم يمثلون تيارا قويا جديدا في امريكا. لهم أنشطة واسعة الانتشار، ونفوذ كبير، حتى أنهم جعلوا الرئيس الأمريكي الأسبق (ريغان) يوافق على أن يكون عام 1984م هو عام الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. وهم يمثلون أقوى الفئات المسيحية في امريكا، ويرون أن بناء الهيكل في القدس يُقرب إلى يوم: (مجدو/ الملحمة الدينية)، وبالتالي يُسرع في قدوم المسيح حسب تنبؤات (الكتاب المقدس)، لذلك فهم يدعمون التوجه الإسرائيلي نحو هدم المسجد الأقصى، بالرغم من اقتناعهم بأن هذا الحدث ينتج عنه اشتعال حرب عالمية ثالثة.

لذلك استهدفت منظمات يهودية في امريكا الكنيسة بوصفها ميدانا ومجالا لتوليد المشاعر والآراء المناصرة لدولة إسرائيل (المزعومة)، فالكنائس تمارس النفوذ من خلال برامج الدراسة وما تذيعه عبر الاذاعة والتلفاز والنشرات الاخبارية والصحف والدوريات التي تصل الى الملايين من الناس.كما أن الكنائس تُدير مئات الجامعات والندوات والصحف وعددا ضخما من المدارس الابتدائية والثانوية. وعلى الرغم من العلمانية الظاهرة في الحياة

الغربية، فإن الكنائس تظل مصدرا مهما للمؤثرات التربوية والثقافية والعقائدية في تلك المجتمعات.

وبمرور الوقت استطاع اليهود من خلال منظماتهم المعنية بالعلاقات مع الطوائف أن يُكيفوا الأوضاع معها، على نحو يستفيدون منه في تحقيق أهدافهم البعيدة المدى. والمنظمات اليهودية تركز على التعاون مع كنائس البروتستانت، لأن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين البروتستانت واليهود من النواحي الاعتقادية، فاليهود استطاعوا استغلال اعتقاد البروتستانت بنصوص الكتاب المقدس كما هي عند اليهود،
وعدم الإلتزام بالنصوص الجديدة التي أضافها المسيحيون لأسفار العهد القديم، فالبروتستانت يفسرون العهد الجديد بناء على نبوءات اليهودية في العهد القديم.

ومن جهتها تُقيم الكنيسة الإنجيلية تحالفا مُعلنا وصريحا ليس فقط مع الكيان الإسرائيلي، بل مع الحركات والمنظمات الدينية اليهودية المعنية بإعادة بناء الهيكل، وقد أُنشئت (مؤسسة الهيكل المقدس اليهودية) بأموال ودعم من تلك الكنيسة. وقُدر عدد أتباع الكنيسة الإنجيلية في ثمانينيات القرن الماضي بـ: خمسة وثمانين مليون شخص. والأنشطة التي يقوم بها الانجيليون واسعة النطاق، فكُتبهم تزيد على ثلث مجموع الكتب التي يشتريها الجمهور، ويملكون ويديرون 1300 محطة إذاعة، أي محطة من بين كل سبع محطات في الولايات المتحدة، وفي أواخر السبعينيات كانت تفتح محطة تلفزيونية إنجيلية جديدة كل ثلاثين يوما، وتجتذب المدارس الإنجيلية أكبر عدد من طلاب المدارس الخاصة.

وتنظم هذه الكنيسة رحلات دورية سياحية دينية للقدس لزيارة الأماكن اليهودية والمسيحية المقدسة لديهم. وهناك نحو مائتان وخمسين منظمة تحمل افكار الإنجيليين. وهي تشن حربا مكشوفة ضد المسلمين في الولايات المتحدة، الى جانب عونها المتزايد لليهود، ويقوم فريق من أبرز نجوم السينما والتلفزيون في أمريكا بتأييد إسرائيل في برامجهم بصورة منتظمة، وتقوم هذه المنظمات بجهود لجمع التبرعات من المسيحيين الأمريكيين بشكل عام لصالح اسرائيل، وقامت بعض المنظمات بإنشاء فروع لها في الأرض المحتلة للمشاركة المباشرة في مشروع انشاء المعبد الثالث (الهيكل) ومن أهم المنظمات المسيحية المتصهينة التي تدعم مشروعات اسرائيل انطلاقا من تعاليم الكنيسة الإنجيلية[222]:

1- السفارة المسيحية الدولية في القدس:

أنشأها الانجيليون سنة 1980م، وتعمدوا أن يكون مقرها في القدس لمغزى ديني واضح، وقد أصدرت تلك السفارة فور انشائها نشرة استهلتها بعبارة : (ليكن دعاؤكم ضد الروح الإسلامية)، ثم قالت: (إن الأرواح الشريرة في الإسلام مسؤولة عن العبودية الروحية في العالم العربي، وعن كثير من العداء للسامية في انحاء العالم، وعن موقف العداء الشديد لإسرائيل في جميع أمم الشرق الأوسط وأمم أخرى في العالم أغلبيتها من المسلمين، ومسؤولة عن فكرة الابتزاز النفطي ضد أمم العالم التي تساند إسرائيل. والاسلام مسؤول عن السخرية الكبيرة من الله؟! اذ إن هناك مسجدا اسلاميا في أقدس بقعة في جبل موريا، وهذا وصمة عار للموقع المقدس للهيكل).

---

[222] - (الخطيب، مقارنة، 388- 390)

وللسفارة المسيحية خمس عشرة قنصلية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم بأنواع متباينة من الأنشطة الفعالة لصالح (اسرائيل)، عبرت عنها جريدة (الجيروز لم بوست) بأنه يشمل : تشجيع كل نوع من الدعاية للقضية اليهودية في الصحافة والاذاعة والأفلام والمساجلات والاجتماعات وما يسمى بـ: (ليالي حب اسرائيل) .

2- **منظمة الأغلبية الأخلاقية :**

أسسها القس (جيري فالويل) سنة 1979م، وهي ذات توجه سياسي ديني، لها برنامج اذاعي وتلفزيوني يومي، يستمر ساعة كاملة، واسمه (ساعة الانجيل) تبثه ستمائة محطة في أنحاء أمريكا، وكان فالويل يقود (صلاة الأحد) التي تُذاع من خلال أربعمائة محطة تلفزيونية لمدة ساعة. أما زعيم هذه المنظمة فهو من أكثر الداعين إلى دعم اسرائيل في اليمين الديني، وهو أحد كهنة كنيسة (توماس رود) المعمدانية بفرجينيا، وتوضح أقواله عن الشرق الأوسط الجمع بين الأفكار الاستراتيجية واللاهوتية لدعم إسرائيل. فهو يقول : " إن إسرائيل قلعة الديمقراطية في جزء من العالم يتصف بما يشبه الجنون....." ويقول أيضا : "لا خيار للولايات المتحدة، فإذا أرادت هذه الأمة (الامريكية) لحقولها أن تبقى بيضاء بالقمح، ولمنجزاتها العلمية أن تبقى، ولحريتها أن تظل مصونة، فينبغي لها أن تقف الى جانب إسرائيل". وينظم فالويل من خلال منظمته رحلات إلى الأرض المقدسة، ويضم أبرز جوانب الرحلة زيارات لوادي (مجدو)، ومواقع توارتية أخرى.

3-**هيئة المائدة المستديرة الدينية :**

تأسست سنة 1979م لتنسيق برنامج عمل اليمين المسيحي، وتضم عددا كبيرا من أضخم المنظمات ومن أنجح العاملين لليمين الديني، ومن هذه المنظمات (مترجمو الكتاب المقدس) و(عُصبة الكنيسة في أمريكا)، وهي منظمة أبحاث تعمل في غاية السرية ولديها ملفات عن آلاف الشخصيات في العالم، ويتبع الهيئة أيضا الكنيسة الميثودية المتحدة وكنائس أخرى.

4-**حملة الحرم الجامعي من أجل المسيح :**

يرأسها (بل برايت) ولها برنامج واسع الانتشار بين الطلاب في الجامعة، وهي تحمل نفس مفاهيم الطائفة الانجيلية، وتشارك فيما يُسمى (دعاء الفطور القومي من أجل إسرائيل) وتُنفق على برامجها 09 مليون دولار سنويا.

5- **موسسة جبل الهيكل:**

أسسها (تيري ريزنهوفر) من أجل العمل على تحقيق النبوءة التوراتية بشأن بناء الهيكل الثالث، وقد جمعت هذه المؤسسة عشرة ملايين دولار لتستخدمها في تقديم المعونة لبناء المستوطنات وشراء الأراضي من الأوقاف الدينية الإسلامية، والمساعدة في مشروع إعادة بناء هيكل سليمان، وشارك (ريزنهوفر) مع الإسرائيليين في تنظيم حملة سنة 1983م، للاحتجاج على القبض على المستوطنين المتورطين في مؤامرة ضد المسجد الأقصى، وتبرع بتكاليف الدفاع عنهم، ولثرائه الكبير تبرع بمبالغ ضخمة لمنظمة (الهيكل المقدس)

6-مؤسسة (بات روبرتسون):

أسسها هذا القس باسمه لتغطي الخدمات الاعلامية التي تخص الكنيسة، وهي تضم شبكة اذاعية وتلفزيونية سماها(شبكة البث المسيحي) التي تستخدم الأقمار الصناعية في بث برامجها وتغطي أكثر من22 دولة. وقد تطورت مؤسسة (بات روبرتسون) بعد أن انضمت اليها منظمات ومجموعات أخرى، فيما سمي بـ: (التحالف المسيحي الصهيوني)وقد كانت أصوات أعضاء هذا التحالف القوي وراء انتخاب أغلبية جمهورية في الكونجرس الأمريكي لعام 1994م، لضمان وقوف الحزب وراء تنفيذ سياستهم ذات التوجه الديني، ووقف التحالف مرة أخرى مع الحزب الجمهوري في انتخابات عام 1998م، حيث فاز الحزب الجمهوري بأغلبية ساحقة، مكنت التحالف المسيحي من دفع الكونجرس الى قرار مُلزم للرئيس الأمريكي (بيل كلينتون) بنقل السفارة الأمريكية الى القدس. كما أن فوز الرئيس (بوش) جاء نتيجة وقوف الاتجاهات المسيحية الصهيونية بقوة الى جانبه في الانتخابات، فقد اعد (بات روبرتسون) من خلال التحالف الذي يقوده لإيصال تعهد رئيس أصولي انجيلي لرئاسة الولايات المتحدة في انتخابات عام 2000م.

7-**المنظمة المسيحية للقدس :**

أنشئت من أجل الدعاية للقدس بين الدول المسيحية، على اعتبار أنها أصبحت عاصمة لإسرائيل، وانشأت فروعا لها في سبع وثلاثين دولة أوروبية وأمريكية.

8-**كنائس مايك إيفانز.**

9- **منظمة الانجيليين المتحدين من أجل صهيون.**

10 - **جماع (تاف) :** وهو الاسم الأخير من الأبجدية العبرية.

11 - **جماعة جسور السلام.**

وفي الفترة الواقعة ما بين 27 الى 29 أب من عام 1985 عقد في مدينة بال بسويسرا ما يسمى بـ: المؤتمر الدولي للقيادات المسيحية الصهيونية المؤيدة لإسرائيل. وقد أصدر المؤتمرون بيانا من مقدمة ومبادى وقرارات، وقد طالب البيان المسيحيين أن يُصلوا من أجل (مملكة الرب القادمة) ؟!. وقد نظمت المؤتمر السفارة المسيحية الدولية في القدس، وبلغ عدد أعضاء المؤتمر 589 شخصا، من سبع وعشرين دولة في العالم، وناقش المؤتمر الأسس اللاهوتية للالتزام المسيحي مع إسرائيل بوعود الرجوع إلى أرض الميعاد[223].

المسيحية في القرن العشرين:

الكنائس المسيحية إلى غاية القرن العشرين:

---

[223] - (الخطيب، مقارنة، 390)

خلال عشرين قرن أصبحت الديانة المسيحية من أكبر الديانات أتباعا في العالم، وقد مرت بتقلبات كثيرة، وعرف التاريخ المسيحي أحداث فاصلة ومنعرجات حادة، أدت إلى تعدد الكنائس المسيحية، وتنوع مذاهبها، ويمكن أن نجمل ذلك في الاتي[224]:

أولاً – الكنيسة في العالم العربي

الأوضاع العامة :

أقرّ النظام الاسلامي للمسيحيين حرية العبادة بوجه عام مع قيود، من حيث بناء الكنائس الجديدة والتزوّج بالمسلمات ونشر الدين المسيحي. وأُخضِع المسيحيون لنظام خاص ودُعوا أهل الذمّة، مع دفع ضريبة خاصة تسمّى الجزية، واعفاءهم من دخول الجيش والوظائف القيادية، مع ضمان لأمنهم وممتلكاتهم وحماية لحياتهم الاجتماعية وخصوصياتهم. ولما كان الشرع الإسلامي يهيمن على أمور الدولة، ولم يكن على المسيحيين أن يخضعوا لجميع قوانينه وأحكامه، أُعتُرِف رسمياً بكيان الطوائف المسيحية، ومُنحت لوناً من الاستقلال الذاتي في إدارة أحوالها الشخصية بموجب قوانينها الخاصة وتحت سلطة بطاركتها.

وإلى غاية القرن الحادي عشر في فترة ازدهار العالم الإسلامي، بقي للمسيحيين حضور قوي في بلاد الشام ومصر والعراق، وإنْ اندثروا شيئاً فشيئاً في المغرب، وكان لهم رغم أوضاعهم الخاصة شأن في تكوين الحضارة العربية والاسلامية. فكانت لهم مساهمات هامة من الناحية الاقتصادية والفنية، كما ساهموا من الناحية الثقافية بنقلهم الفكر اليوناني إلى العربية عن اليونانية مباشرة أو عن طريق السريانية، بترجمتهم لأهم معالم التراث اليوناني في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية، وشغل كثير من المسحيين وظائف هامة في الدولة خصوصاً في المراكز التي تتطلّب الدقة والأمانة في الدواوين والخزانة، وكان لبعضهم مكانة كبيرة في عالم الأدب. ونشأ في عهد المأمون (813 -833 م) مناظرات بين اللاهوتيين المسيحيين وعلماء الإسلام. ومن الناحية الكنسية حافظ المسيحيون على أنظمتهم القديمة، وبقيت الأديرة حاضرة ومستواها الثقافي عالي إلى هذه الحقبة، ثم تضاءل عدد المسيحيين وضعفت علاقاتهم مع الكنائس الكبرى خارج العالم الإسلامي.

في القرن العاشر استولى البيزنطيون على الرُها (944م) وكيليكيا وانطاكية (969) ثم على أرمينيا (1054م) وبقي قسم كبير من شمالي غربي سورية في حوزة البيزنطيين أكثر من قرن، فتأثّر المسيحيون الملكيون (الملكانيون) كثير بالطقوس البيزنطية، وزادت الهّوة بين الأرمن والسريان من جهة والكنيسة البيزنطية من جهة أخرى، بسبب الضغوط التي مارستها هذه الأخيرة، لحمل الأرمن والسريان على قبول قرارات المجمع الخليقدوني.

---

[224] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 8-17.

ثم كان الزحف التركي السلجوقي في أواخر القرن الحادي عشر وفي معركة ملازكرت (1071) اندحر البيزنطيون ففتح الأتراك أرمينيا وشمال سورية ومعظم آسيا الصغرى، واستوطنوا فيها وسيطروا على سائر بلاد الشام، هذه الأوضاع الجديدة، اتخذت مبرر للقيام بالحملات الصليبية. وقد سمّمت هذه الحملات لمدة طويلة، العلاقات القائمة بين المسلمين والنصارى في البلاد العربية، وزادت في توتر العلاقات بين الكنيستين الشرقية والغربية. ومع ذلك لم تكن هذه الحملات مجرد غزوات وحروب، بل تخلّلتها لقاءات إنسانية وحضارية بين الغرب والشرق، فاستفاد الغرب من اتصاله ثانية بمهد المسيحية وبالتراث الحضاري الذي نقل إلى العالم الإسلامي عن اليونان، كما أنها أتاحت للمسيحيين الشرقيين الاتصال ثانية بكرسي رومة، للتعرّف بمسيحيي الغرب بعد فترة انعزال دامت عدة قرون[225].

وبعد احتلال دام زهاء قرنين اضطر الفرنجة إلى مغادرة ما احتلوه من بلاد الشام بعد حروب أنهكت البلد، ثم كان الغزو المغولي الأول (القرن الثالث عشر) فانتشر الدمار في العراق وشمالي سورية، وكان الغزو الثاني مع تيمورلنك سنة (1400م) أشد هولاً وقساوة. هذه الحروب قد أضعفت كثيراً الكنائس الشرقية، فهاجر عدد كبير من المسيحيين وهلك كثيرون، ودمّر معظم الأديرة وتدنّى مستوى الثقافة وأمسى المسيحيون في أواخر القرون الوسطى أقلية ضعيفة. وفي سنة 1516م سيطر العثمانيون على سورية، وفي السنة التالية دخلوا مصر، وكانوا قد سيطروا على آسيا الصغرى كلها وفتحوا القسطنطينية سنة 1453 وامتد نفوذهم إلى البلقان فوحّدوا ثانية الحوض الشرقي للبحر المتوسط بشماله وجنوبه.

وبعد أن انفصل الدين عن الدولة في العالم الغربي في مطلع القرون الحديثة، فتر العداء المستحكم بين العالم الإسلامي والدول المسيحية الغربية وزالت فكرة الحملات الصليبية، وعقدت المعاهدات بين السلطان سليمان القانوني والملك الفرنسي فرانسوا الأول في أواسط القرن السادس عشر، وحصلت فرنسا على حق حماية المسيحيين في الشرق، وأُقيمت القنصليات الأوروبية في أهم الحواضر الشرقية التي استقطبت جاليات من التجار الفرنجة وتوافد في إثرها المرسلون الغربيون للتبشير بالمسيحية، خصوصاً في مطلع القرن السابع عشر، فأُعيدت العلاقات المسيحية مع الغرب المسيحي، ومع مسيحيي أوروبا الشرقية. وقد عملت المدارس التي فتحها الباباوات في رومة (المدرسة اليونانية للقديس أثناسيوس سنة 1576والمدرسة المارونية 1584والمدرسة الأرمنية ثم مدرسة انتشار الإيمان في مطلع القرن السابع عشر) على تثقيف عدد وافر من الكهنة الشرقيين أصبحوا روّاد التجديد الروحي والثقافي في بلادهم وساهموا في بعث حركة الاستشراق في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

---

[225] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص8-9.

ثم جاءت قرارات السلطان العثماني عبد المجيد الإصلاحية (1839- 1856م) ووعدها بالمساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية مسلمين ومسيحيين، لكنها لم توضع موضع التنفيذ، فبقي وضع المسيحيين في البلاد العثمانية كما هو لم يتغيّر. ثم انبعثت في القرن التاسع عشر فكرة القومية العربية، وبعد النهضة الأدبية انطلقت مطالبة العرب بحرياتهم السياسية، وكان للمسيحيين شأن هام في ذلك، خاصة مع الحرية التي تمتّع بها لبنان منذ عهد فخر الدين (القرن السادس عشر) ومصر منذ عهد محمد علي، ما جعل هذين البلدين في الطليعة رواد القومية العربية. وحينها أُقرت الحرية الدينية للكاثوليك عام 1830م.

وبعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد نادى أنصار تركيا الفتاة بالحرية والمساواة فساهم المسيحيون في الجانب العلمي منذ عام 1910. وإبان الحرب العالمية الأولى ثار العرب على الأتراك وانضموا إلى صفوف الحلفاء، وبعد أن انكسر العثمانيون انسحبوا من المناطق العربية. إلا أن الدول التي نشأت بعد انسحابهم لم تحصل على استقلالها الكامل حينها، بل وُضعت في حماية دول أجنبية استعمارية، فساد النفوذ الإنكليزي في مصر وفلسطين وشرقي الأردن والعراق، وعم النفوذ الفرنسي في سورية ولبنان، فتحسّنت أوضاع المسيحيين وتمكّنوا من احتلال مراكز مرموقة لضلوعهم باللغات الأجنبية، ثم ساهموا مع المسلمين في تحرير بلدانهم من الاستعمار الغربي.

وفي الدول العربية المعاصرة، يُقرّ القانون بمبدأ المساواة بين المواطنين، المسلمين منهم والمسيحيين. وبقيت الطوائف في لبنان تهيمن على الشؤون العامة، وتوزّع المناصب الرسمية بين مختلف الطوائف المسيحية والإسلامية. وفي سائر الدول العربية إن لم يكن دين الدولة في جميعها الإسلام، فقد بقي الشرع الإسلامي المصدر الأساسي للتشريع وأصبحت الرابطة الدينية في نظر العوام أقل شأناً من الرابطة القومية. وحافظت الطوائف المسيحية على كيانها القانوني ونظام الأحوال الشخصية الخاصة بها[226].

الكنائس المسيحية الشرقية في تطوراتها الخاصة:

كان المسيحيون في العالم الغربي يشكّلون فيما بينهم وحدة متماسكة وينتمون لطقس واحد هو الطقس اللاتيني ومذهب واحد ومرجع واحد هو كنيسة رومة، والمسيحيون في العالم البيزنطي ينتمون إلى طقس واحد هو الطقس البيزنطي وينتمون لمذهب واحد ولمرجع واحد هو كنيسة القسطنطينية، أما المسيحيون في العالم العربي فكانوا مقسّمين إلى طوائف ومذاهب مختلفة، ويعود ذلك أولاً لتواجد بطريركتين متميزتين في الاسكندرية وانطاكية، وكنيستين مستقلتين في دولتي فارس وأرمينيا، ثم لتأصّل الشقاق الناجم عن المجادلات الكريستولوجية (حول كيان المسيح) بينما في العالم البيزنطي والعالم الغربي سادت العقيدة

---

[226] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 9-10.

الخلقيدونية. وقد ترك الحكم العربي التعددية في الكنائس داخل الوطن العربي وإن جاءت اللغة العربية لتوحّدهم ثقافياً. وفيمايلي نستعرض تاريخ كل منها باقتضاب[227]:

الملكيون(الملكانيون):

الملكيون هم الفئة الوحيدة التي ظلّت في شركة كنسية مع المسيحيين خارج العالم العربي، في رومة والقسطنطينية، إذ قبلوا المجمع الخلقيدوني والمجامع التالية التي عقدت في الشرق، وكانوا موزعين على ثلاث بطريركات الاسكندرية وانطاكية والقدس، وكان الملكانيون أقلية في مصر، وأكثر من نصف المسيحيين في البطريركية الانطاكية والأكثرية الساحقة في بطريركية القدس. ولم يتمكّن البطاركة من تسلّم مراكزهم إلا خلال القرن الثامن. وفي دمشق شغل الملكيون في عهد الأمويين مراكز عالية في الدواوين. فكان والد يوحنا الدمشقي رئيس ديوان المحاسبة، ويوحنا نفسه عمل في بلاط عبد الملك قبل أن يدخل الدير. وحافظوا حتى حملات الفرنجة على مراكز ثقافية دينية هامة، لا سيما أديرة منطقة انطاكية (دير القديس سمعان العجائبي) ودير القديس سابا شرقي القدس ودير القديس خاريطون جنوب بيت لحم ودير القديسة كاترينا في جبل سيناء. ونبغ في القرنين الثامن والتاسع عدد غفير من اللاهوتيين والشعراء وضعوا مصنفات لاهوتية وأناشيد دينية لا تزال تُرنّم في الطقس البيزنطي. وأشهر الكتاب الملكيين في هذا العصر يوحنا الدمشقي كاتب أول موسوعة لاهوتية وثاودوروس أبو قرة، وقسطا بن لوقا، وابن البطريق، ويحيى بن سعيد، وعبد الله بن الفضل.

في القرن العاشر سقطت انطاكية في يد الروم وبقيت في حوزتهم زهاء قرن وربع، فأصبحت البطريركية الملكية ضمن منطقة نفوذ البطريركية القسطنطينية، فكان عدد كبير من البطاركة في انطاكيا من بين اكليروس العاصمة (القسطنطينية). وزاد التأثير البيزنطي في الملكيين ابان حملات الفرنجة، إذ اضطر البطاركة الملكيون إلى اللجوء إلى القسطنطينية، وهكذا حلّ شيئاً فشيئاً الطقس البيزنطي بدل الطقس الانطاكي القديم لدى الملكيين. وكان يُقام بالسريانية في الريف وباليونانية والعربية في المدن.

ولما استولى بيبرس على انطاكية سنة 1268م. وبعد أن أُبرم اتفاقاً بين البيزنطيين والمماليك تمكّن البطاركة الملكيون من العودة إلى سورية ونقلوا كرسيهم إلى دمشق. وتضاءل تأثير القسطنطينية إلى حين. ولما استولى العثمانيون على البلاد عظموا شأن بطاركة القسطنطينية اليونان واعتبروهم مسؤولين عن جميع الأرثوذكس البيزنطيين في الدولة العثمانية. واستولى اليونان على كرسيي الاسكندرية وأورشليم إلى اليوم. بينما البطريركية الانطاكية ظلّت في يدي الملكيين العرب حتى عام 1724م. وانقسمت الطائفة

---

[227] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 10- 18.

الملكية في هذا التاريخ إلى فئتين: فئة أقرّت بسلطة رومة وأعادت الشركة معها على أساس مقررات المجمع الفلورنتيني[228]. وفئة ظلت معارضة للاتحاد مع رومة. وتابع الكاثوليك سلسلة البطاركة الخاضعين لسلطة روما، أما الفرع الأرثوذكسي فقد تولى أمره بطاركة يونان من سنة 1724إلى 1898م. وتمكّن الأرثوذكس العرب سنة 1898م من انتخاب بطريرك من أبناء البلاد. ولم يعترف العثمانيون بسلطة البطاركة الروم الكاثوليك، واعتبروهم خارجين على طاعة البطاركة الأرثوذكس المعترف بهم لدى البطريركية المسكونية والدولة العثمانية، فهرب البطاركة الكاثوليك من دمشق وأقاموا في لبنان. وتمكّن البطريرك مكسيموس مظلوم من دخول دمشق سنة 1834م، وإعادة تنظيم الطائفة واستقلالها تماماً عن الأرثوذكس. وأقرّت له رومة الولاية على الروم الكاثوليك في فلسطين ومصر، بينما ظلّ الروم الأرثوذكس موزعين على ثلاث بطريركيات: الاسكندرية وانطاكية وأورشليم. واجتهد الروم الكاثوليك ليحافظوا على هويتهم الشرقية مع انتمائهم لكرسي رومة. ولعبوا دوراً هاماً في مجمعي الفاتيكان الأول والثاني.

النساطرة والكلدان أو السريان الشرقيون:

عاش أغلب النساطرة في مناطق حكم مملكة فارس، فلم يتغير وضع الكنيسة النسطورية مع الفتح العربي الاسلامي. ولما انتقل الحكم إلى العباسيين في بغداد أصبح للنساطرة مكانة مرموقة في الدولة، ولمعوا في الترجمة والطب. ومع الفتوحات ودخول المسيحيين في الإسلام، فقد النساطرة أبرشياتهم (مناطق سيطرتهم) التي كانت في الجزيرة العربية على سواحل الخليج، بيد أنهم امتدوا إلى الشرق خارج الحدود العربية، فقاموا بحملات تبشيرية كبيرة في بلاد التتر والمغول والهند والصين، وازدهرت الكنيسة النسطورية في هذه المناطق من القرن8 حتى 14م.

ولم يتأثر النساطرة – وأغلبهم في العراق وإيران – بالأحداث التي هزّت بلاد الشام من القرن 10 حتى 13م. ولما استولى المغول على العراق سنة 1258م، تغيرت أوضاع النساطرة، فهولاكو كانت أمه نسطورية وعدد كبير من شعبه على المذهب النسطوري، فترأس البطريركية عدة بطاركة من أصل مغولي. إلا أن معظم المغول الوثنيين دخلوا في الإسلام في القرن 14م، فثاروا على النساطرة وقضى تيمورلنك على جماعاتهم في إيران والعراق، فلاذوا إلى الجبال في مناطق كردستان وبحيرتي أورميا وفان. وفي أواسط القرن 16م بدأ الاتصال بين النساطرة والكنيسة الكاثوليكية، وانقسموا إلى شطرين: شطر اتحد

---

[228] ـ عقد المجمع الفلورنتيني في فلورنسا (ايطاليا) عام 1439وحضره الامبراطور البيزنطي وبطريرك القسطنطينية وعدد كبير من الأساقفة البيزنطيين علاوة على البابا والأساقفة اللاتين. وأقرّ المجمع الاتحاد بين الكنيستين اليونانية واللاتينية وقَبِل اليونان رئاسة البابا على أن تصان حقوق وامتيازات البطاركة الشرقيين. ينظر: الاريشمندس، تاريخ الكنيسة، ص 18.

برومة مع المحافظة على طقوسه، وقسم بقي على مذهبه القديم، فسمي الكاثوليك منهم كلداناً وسمي من بقي على النسطورية أشوريين.

وفي الحرب العالمية الأولى ثار الآشوريوّن (النساطرة) في معاقلهم الجبلية على العثمانيين، بتحريض من الإنكليز والروس، ثم تخلّى عنهم هؤلاء الحلفاء، فاضطروا إلى الهرب من الأتراك، فنزحوا عن أراضيهم ولجأوا إلى العراق، وحلّ بهم في العراق نكسة جديدة عام 1933، فلجأ عدد منهم إلى الجزيرة في سورية واستقرّ بطريركهم في الولايات المتحدة، وعاد مؤخراً إلى إيران. وبدأ حوار لاهوتي رسمي مع الكنيسة الكاثوليكية، أظهر الاتفاق الأساسي في العقيدة رغم تباين الألفاظ. أما الفرع الكاثوليكي (أي الكلدان) فهو أكثر ازدهاراً ولا يزال بطريرك الكلدان مقيماً في بغداد وقد انتشرت الكنيسة الكلدانية خارج العراق (منبتها الأصلي) في سورية ولبنان ومصر وبلاد الغرب، ولا سلطة لبطريرك الكلدان على الملبار جنوب الهنود الذين يمارسون أيضاً الطقس الكلداني.

الكنيسة السريانية (السريان أو اليعاقبة أو اليعقوبية):

تلتقي الكنيسة السريانية مع الكنيسة القبطية بالقول بالطبيعة الواحدة للمسيح. نشأتها كانت بعد مجمع خلقيدونيا عام 451 م، وهي تعد كنيسة شرقية، وأتباعها في المشرق العربي والهند وتركيا، وبعد التواصل مع أوروبا اتبع قسم من أتباعها الكاثوليكية، وهم اليوم يتبعون البابا في روما، أما الأصل فهم سريان أرثوذكس لهم كرسي رئاسة في دمشق وآخر في الهند. يُسمى المتربع على كل منهما بطريرك[229]. وعموما فإن أتباع الكنيسة السريانية هم طوائف من المسيحيين الآسيويين ، وتعد الرها ونصيبين ودمشق مراكز رئيسية لهم[230].

ومنذ بداية الحكم العربي لبلاد الشام أُعترف بكيان الكنيسة السريانية الانطاكية المعارضة للمجمع الخلقيدوني ـــ ولذلك تسمى كنيستهم باللاخلقيدونية ـــ بينما كان البيزنطيون يلاحقونها لانحرافها عن المذهب الرسمي (الملكاني). وعومل السريان بأفضل مما عومل به الملكيون، لانقطاع روابطهم بالبيزنطيين، فتمكّنوا من التوسّع جهة العراق بعد أن زالت الحدود التي كانت تفصل بين الروم والفرس شرقي الفرات. والسريان المسمون يعاقبة (لأخذهم بمذهب اليعقوبية القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح) كان لهم من عظيم الشأن ما كان للنساطرة، في حركة الترجمة وإنعاش العلوم والفلسفة عند العرب، ونبغ فيهم عدد من أعظم المفكرين: يعقوب الرهاوي، يحيى بن عدي، ميخائيل الكبير، ابن العبري. وبعد الكوارث التي حلّت في أواخر القرون الوسطى لجأ معظمهم إلى جبال طور عبدين ونواحي ماردين.

---

[229] ـ (ترجمان الأديان ص 357)

[230] ـ (النصرانية والاسلام / محمد عزت طهطاوي، 140)

ولما نشطت الحركة الكاثوليكية في حلب في القرن 17م، قام بطريركان كاثوليكيان بالتوالي على رأس الطائفة السريانية، إلا أن معارضي الاتحاد برومة استحصلوا على أمر بنفي البطريرك الكاثوليكي، وظلّ الكاثوليك بدون بطريرك حتى عام 1783م، حيث أعلن البطريرك ميخائيل جروة إيمانه الكاثوليكي، وانشطر السريان إلى فرعين لكل واحد بطريرك وأساقفة وتنقل مركز البطاركة مع الأيام. ويقيم بطريرك السريان الأرثوذكس منذ بضع سنوات في دمشق، وبطريرك السريان الكاثوليكي في دير الشرفة في لبنان. وفي جنوب الهند عدد كبير من الملبار مرتبطون بالكنيسة السريانية الأرثوذكسية[231].

الأقباط: الكنيسة القبطية (أو المصرية)

يَعتبر الاقباط أن كنيستهم يعود تأسيسها إلى مرقس ـ صاحب انجيل مرقس ـ وهناك كنيسة في
القاهرة تحمل اسمه، وله فيها قبر. ولذلك تُسمى الكنيسة القبطية بـ : الكرازة المرقسية، وتسمى كذلك كنيسة الإسكندرية لأنه فيها مركز كرسي رئاسة الكنيسة. وهي كنيسة شرقية أرثوذكسية، وإن كان بعض الأقباط، وبعد التواصل مع أوروبا، قد تحولوا إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية. وقد تأسست بعد مجمع خلقيدونيا في العام451م، لذلك تُعد أقدم الكنائس الأرثوذكسية، ورئيسها يسمى"بابا"[232]. لم يوافق الاقباط على قرارات ذلك المجمع ولذلك تعتبر كنيستهم من الكنائس اللاخلقدونية وهي من أوائل من انفصل عن الكنيسة العامة. ينتشر رعاياها في مصر و كامل إفريقيا. وقد جاء تحول بعضهم عن الارثوذكسية بعد الإرساليات المسيحية الغربية، فنشأت كنيسة قبطية كاثوليكية وكنيسة قبطية إنجيلية (بروتستانتية)[233].

ويمثل الاقباط كبرى الكنائس في مصر، بينما الملكيين (الملكانيين) كانوا قلة في القرن 6م، ونزح عدد كبير منهم مع الجيوش البيزنطية. واعترف العرب ـ بعد الفتح الاسلامي لمصر ـ بالبطريرك القبطي بعد أن كان البيزنطيون يلاحقونه، لرفضه قرارات خلقيدونيا. بقيت مصر في مأمن من الغزوات والحروب التي اجتاحت الشرق الأسيوي، ومع ذلك فقد ضعفت الكنيسة القبطية قبل سائر الكنائس الشرقية، لأن معظم أبناءها كانوا من الفلاحين الأميين. أما الطبقة الراقية المحصورة في الاسكندرية والمتأثرة بالثقافة اليونانية، فقد غادرت البلاد المصرية. وبلغ الأقباط قدراً من الازدهار الثقافي في القرنين 13 و14م مع الكاتبين أبي البركات وابن العسال، إلا أن هذه النهضة لم تدم طويلاً، ثم تحسّن وضع الأقباط مع محمد علي باشا. وكانت الكنيسة الأثيوبية مرتبطة بالأقباط وحصلت مؤخراً على استقلالها عنها. واعتنق الكثلكة عدد ضئيل من الأقباط خلال القرن 18م. ولم تُنشئ لهم رومة

---

[231] ـ الارشميندر، مرجع سابق، ص 12.

[232]ـ (ترجمان الأديان ص357)

[233] ـ بولس وهبة، الاقباط، موسوعة الأديان الميسرة، ص 98.

بطريركية إلا في أواخر القرن 19م. ويبقى الأقباط الكاثوليك أكبر طائفة كاثوليكية في مصر، والأقباط عامة يمثلون أكبر تجمع مسيحي عربي[234].

الأرمن (الكنيسة الارمينية):

الكنيسة الأرمينية:

الأرمن هم طائفة مسيحية موطنهم الأصلي (أرمينيا). وهم ينتشرون كأقليات صغيرة متناثرة موجودة في مصر والأردن وسوريا وتركيا ولبنان، ويعتقدون في المسيح اعتقاد الكنيسة القبطية، فيعتبرون أن المسيح ذو طبيعة واحدة وأنه ذو مشيئة واحدة . ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس دينية مختلفة، كما أن لهم بطاركة مستقلين بهم، لأنهم لا يندمجون في الكنائس الأخرى[235].

وبداية الكنيسة الارمينية كانت عندما أعلن ملك أرمينيا ورطان الثاني في عام 301 م المسيحية دينا رسميا لأرمينية، وانتُخب غريغوريوس بطريركا لهذه الكنيسة، وهي كنيسة شرقية أرثوذكسية تلتقي مع الكنيستين القبطية والسريانية بالقول بالطبيعة الواحدة للمسيح. وقد دخل بعض الأرمن بعد ذلك في الكاثوليكية، فأصبحت هناك كنيسة الأرمن الكاثوليك، وإن كان غالبية الأرمن من الأرثوذكس، وتسمى كنيستهم أحيانا بالكنيسة الغريغورية نسبة لأول بطريرك لها. وبعد الاضطهاد الذي أصاب الأرمن في الحرب العالمية الأولى، في أوائل القرن العشرين، اضطر قسم كبير من الأرمن إلى الهجرة، خصوصا إلى لبنان، حيث يَقُوم الآن مركز كنيسة الأرمن بفرعيها الأرثوذكسي والكاثوليكي[236].

وسبب انقاسمهم يرجع إلى أن منهم من رجع إلى ما أُقر في مجمع خلقيدونية سنة 451م، وتراجعهم عن قولهم بالطبيعة الواحدة، التي نقلها إليهم المونوفيزيون السوريون، بعد مجمع خلقدونيا، الذي لم يحضره الأرمن نظرا لظروفهم حينها، فظنوا أن قرارات خلقودنيا تقر بوجود شخصيتين في المسيح، وهو ما رفضه الأرمن في مجمعهم بمدينة دفين سنة 506م، فاَعتُبرت كنيسة أرمينية منفصلة. كما أن العلاقة بين الأرمن والبزنطيين كانت سيئة، لأنهم لم يساندوهم ضد الفرس[237].

فتاريخ الكنيسة الأرمنية مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الشعب الأرمني. فقد كانت أرمينيا في العصور القديمة موضوع نزاع بين الرومان والفرس، وبقيت كذلك في القرون الوسطى ما بين البيزنطيين والعرب المسلمين. كان البيزنطيون يحاولون دوماً حمل الأرمن على قبول المجمع الخلقيدوني ويضغطون عليهم، أما العرب الذين سيطروا على البلاد منذ سنة 653م، فقد تركوا للأرمن شيئاً من الحرية السياسية وكامل الحرية الدينية، ثم ولوا عليهم أسرة محلية وهي آل بغراتوني. ولما استولى البيزنطيون سنة 1054على أرمينيا، حاولوا إلحاق الأرمن بالمذهب الرسمي (الملكاني)، إلا أن الأتراك السلاجقة كسروا

---

234 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 12.

235 ـ (النصرانية والاسلام / محمد عزت طهطاوي، 142)

236 ـ (ترجمان الأديان ص 357) .

237 ـ كرستيان الحلو، الكنيسة الأرمنية، موسوعة الأديان الميسرة، ص 419.

البيزنطيين عام 1071م، ووقعت أرمينيا تحت الحكم التركي، فبدأت هجرة الشعب الأرمني إلى منطقة أورفا شمال سورية وإلى كيليكيا حيث أسسوا مملكة أرمينيا الصغرى وانتقل مركز الكاثوليكوس (الرئيس الأعلى للكنيسة الأرمنية) من اشميازين (أرمينيا) إلى قلعة الروم قرب أورفا ثم استقر في سيس في كيليكيا. ولذلك تأثر الأرمن بقيصرية الكابادوك والرُها، ونقلوا إلى لغتهم الكتاب المقدس وكوّنوا لذاتهم طقساً خاصاً قريباً من الطقس البيزنطي[238].

كان الأرمن على اتصال ودي مع الفرنجة (الصليبيين) في إمارة انطاكية المجاورة. واستعادت الكنيسة الأرمنية في هذه الحقبة اتحادها برومة وبلغت عصرها الذهبي الثاني. وقضى مماليك مصر عام 1375على الدولة الأرمنية في كيليكيا. وانقسمت بعد ذاك الكنيسة الأرمنية إلى فئتين: فئة استعادت المركز التاريخي لكاثوليكوس الأرمن في اشميازين، وأخرى احتفظت بمركز الكاثوليكوس في سيس. ولما سيطر العثمانيون على البلاد أقاموا بطريركاً أرمنياً في القسطنطينية، أقروا له بالسلطة المدنية على جميع الأرمن وعلى الأرثوذكس غير البيزنطيين في الدولة العثمانية. وفي القرنين السابع عشر ثم الثامن عشر ضمت أجزاء من أرمينيا إلى إيران وروسيا.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تعرض الشعب الأرمني لحرب مع الاتراك، فهاجروا ولم يبق من الأرمن فيها إلا قلة متمركزة في اسطنبول. وأسس الأرمن الذين أخضعوا للحكم الروسي جمهورية مستقلة سنة 1918م، التي وقعت بعد ذلك تحت سيطرة السوفيات. واستعادت هذه الجمهورية استقلالها لما انحلّ الاتحاد السوفيتي 1990، ويقيم الكاثوليكوس الأعلى في اشميازين ضمن حدودها. أما كاثوليكوس سيس فاضطر إلى مغادرة تركيا مع من تبقى من شعبه على أثر انسحاب الفرنسيين من كيليكية وأقام منذ 1930 في انطلياس (لبنان).

وخلال حركة التقارب مع روما، التي تواصلت بعد عهد الصليبيين، أرسل الأرمن مبعوثين إلى مجمع فلورنسا، ونشطت حركة الكثلكة بين الأرمن في القرنين 17 و18م، وكان أسقف حلب الأرميني في مطلع القرن 18م كاثوليكي المعتقد. وفي سنة 1740م، أُعلن كاثوليكوسا على سيس، فانشطرت الطائفة الأرمنية في ايالة (منطقة أو محافظة) سيس إلى شطرين أرثوذكسي وكاثوليكي، وكانت سلطته تشمل كيليكيا وسوريا ومصر ويقيم في لبنان. أما باقي الأرمن الكاثوليك في تركيا، فكانوا خاضعين أولاً للنائب الرسولي اللاتيني في إسطنبول، ثم عَيّن لهم البابا بيوس التاسع، رئيس أساقفة مرتبط بالكرسي الرسولي (في

238 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 13.

روما). وفي سنة 1867م، اندمجت الايالتان وتركزت البطريركية لفترة في إسطنبول، وبعد الحرب العالمية الأولى انتقلت إلى مركزها الأول في لبنان (بزمّار)[239].

الموارنة (الكنيسة المارونية):

ينسب الموارنة إلى القديس مارون، وهو ناسك عاش في القرن الرابع في سوريا الشمالية، وتوفي حوالي سنة 410م. بنى أتباعه الرهبان ديرا سنة 452م على الأرجح، بالقرب من أفاميا على نهر العاصي بلبنان، ثم تكاثروا حتى وصلوا إلى جبال لبنان. وبعد دعوة من البابا لإكلروس أنطاكيا، انتخب سنة 676م يوحنا مارون أسقف بترون، بطريركا لكنيسة أنطاكيا. وهو ما رفضته الدولة البيزنطية، فلاحقته عسكريا، فلجأ إلى جبل لبنان. وقد تعاون الموارنة مع الصليبيين عند وصولهم إلى الشرق سنة 1099م، فتعززت علاقتهم مع الكرسي الرسولي بروما، رغم انها مرت بأزمات عديدة لأسباب لاهوتية وأخرى سياسية مع الصليبيين. تلك العلاقة جعلت المماليك يقومون بحملات ضدهم ويلاحقون بطاركتهم، وهو ما حدث لهم مع العثمانيين كذلك ومع بقية الطوائف الارثوذكسية. وأثناء الانتداب الفرنسي للبنان، بقي البطريرك الماروني هو المرجع الأساسي للحياة السياسية اللبنانية، ولا تزال له تلك المكانة إلى اليوم[240].

لم يشكل الموارنة فئة كنسية خاصة قبل القرن السابع، إذ تفرعوا عن فرقة الملكيين المسيحية، ولجأوا إلى جبال لبنان، وعاشوا آمنين متمتعين بشيء من الاستقلال الذاتي. اتحادوا بالكرسي الرسولي (في روما)، ويقدّر عددهم إذ ذاك بأربعين ألفاً. عادت علاقتهم مع روما في مطلع القرن السادس عشر بعد أن انقطعت في فترة حكم المماليك. وطغى التأثير اللاتيني على الموارنة في طقوسهم وتشريعاتهم. وقد تربى عدد كبير من اكليروسهم في المعهد الماروني في روما، وكانوا رواد حركة الاستشراق في أوروبا.

وانفتح لبنان على الغرب في مطلع القرن السابع عشر، مع الأمير فخر الدين الثاني وهو درزي، وتعاون الأمير مع الموارنة، ومع التعاون الإسلامي المسيحي نشأ لبنان الحديث. ويقضي الدستور اللبناني الحديث أن يكون رئيس الجمهورية مارونياً، وينعم البطريرك الماروني بنفوذ سياسي وديني كبير. وقد كان للموارنة أهمية قومية كبرى في لبنان وأصبح لهم في العصور الحديثة شأن كبير من الوجهة الكنسية، خصوصاً في تاريخ نهضتها الفكرية والدينية، وفي دعم الحركة الكاثوليكية عند الملكيين والسريان والأرمن في

---

[239] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 13-14.

[240] ـ كرستيان الحلو، الموارنة، الموسوعة الأديان الميسرة، مرجع سابق، ص 466- 469.

القرنين السابع عشر والثامن عشر. وهم اليوم الطائفة الشرقية الوحيدة التي ليس لها فرع أرثوذكسي والطائفة الرائدة في لبنان[241].

ثانياً: الكنيسة في العالم البيزنطي.

في التاريخ البيزنطي ليس هناك فاصل واضح بين العصور القديمة والعصور الوسطى، كما هي الحال في تاريخ العالم الغرب، حيث قامت الدولة الجرمانية على أنقاض المملكة الرومانية، أو في الشرق أين ظهر الإسلام وقضى على تسلط الروم والفرس. فالعالم الروماني القديم واصل حياته ووجوده في المملكة البيزنطية حتى آخر القرون الوسطى. إلا أنه انحصر في المقاطعات التي تنطق باليونانية. كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تضم في مطلع القرن السابع البطريركيات الرسولية الخمس(الإسكندرية، أنطاكيا، القدس، القسطنطينية وروما) فلما أصبحت بطريركيات الاسكندرية وانطاكية والقدس داخل دائرة العالم الإسلامي، وضُمت إلى البطريركية القسطنطينية المقاطعات البلقانية التابعة قبل ذلك لكرسي روما، وخرجت روما عام 754م عن الحكم البيزنطي، انحصرت الدولة البيزنطية في حدود البطريركية القسطنطينية. وزاد التوتر بين الكنيسة البيزنطية والكنائس الأرمينية والسريانية من جهة، وفترت علاقاتها بروما من جهة أخرى، وأصبح البطريرك القسطنطيني هو البطريرك الأوحد في الإمبراطورية، فاتخذ لقب البطريرك المسكوني. واعتَبر الإمبراطور البيزنطي نفسه مسؤولاً عن الدين والدنيا، يُدافع عن الكنيسة وعقيدتها كما يتحكم بها ويُسخرها لمآربه السياسية[242].

وفي القرن التاسع اكتملت معالم الكنيسة البيزنطية. فقد تبلورت عقيدتها في القرن الثامن في المجمع المسكوني السابع 787م، آخر المجامع المسكونية التي تقرّ بها كنيسة القسطنطينية. وانتصرت الكنيسة الأرثوذكسية سنة 843 م، بقضائها النهائي على مُحاربي الأيقونات والصور داخل الكنائس. وأنهى الطقس البيزنطي تطوره في القرن التاسع، فلم يطرأ عليه بعد ذلك سوى تحسينات ضئيلة في القرن العاشر. واحتفظت الحياة الرهبانية بأساليبها وكثُر في القرن العاشر الأديرات والنساك. وفيما سوى امتداد الكنيسة البيزنطية إلى الشعوب السلافية (الصرب، البلغار، مورافيا، روسيا) ونهضتها الروحية والفنية في القرن الرابع عشر لم تتبدل معالم الكنيسة البزنطية، ولم تتأثر في حياتها الداخلية بتطورات الزمان، إنما انتشرت أو تقلّصت بفعل ما طرأ على الإمبراطورية من تقدم أو تقهقر[243].

ولم يأبه البيزنطيون كثيراً لقطع العلاقات الكنسية مع روما، بعد التوتر الذي حصل في القرن التاسع بين البطريرك القسطنطيني فوطيوس والكرسي الروماني، بينما حرص

---

241 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 14.

242 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 14.

243 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 15.

الإمبراطور على إعادة الوحدة والوئام بين روما والقسطنطينية في آخر مجمع يعقد في الشرق عام 879-880م، الذي أقرّ فيه حُقوق الكرسي الأول (روما) وحقوق سائر البطاركة. ثم حصلت قطيعة عام 1054م، إذ رُشق موفدو البابا البطريرك كارولاريوس بالحُرم. ولم تنجح بعدها محاولات المصالحة نظراً للأحداث السياسية وللتطورات اللاهوتية في الغرب من جانب واحد. وأتت الضربة الكبرى من الحملة الصليبية الرابعة 1204التي رسخت الانقسام في قلوب الشعب. ومع ذلك حاول الأباطرة البيزنطيون إعادة الوحدة الدينية مع الغرب في مجمع ليون 1274م، ليأمنوا عودة الصليبيين الغربيين، وكذلك في مجمع فلورنسا عام 1439م، ليحصلوا على دعم القوات الغربية أمام الزحف العثماني، إلا أن هذه المحاولات للوحدة لم تلقَ تأييداً شعبياً. وبعد أن سقطت المقاطعات البيزنطية الواحدة تلو الأخرى بيد العثمانيين، وقعت القسطنطينية بيد محمد الفاتح عام 1453م.

احترم العثمانيون سلطة بطاركة القسطنطينية، وفوّضوا إليهم مسؤولية جميع الأرثوذكس، في أراضي الدولة (بما فيها المسيحيين في مقاطعات البلقان والبلاد العربية) وتسلّط اكليروس القسطنطينية اليوناني على أهم المراكز الكنسية الشرقية. ومع ذلك كان السلاطين العثمانيين يتحكّمون بالبطاركة فينصبونهم ويعزلونهم. وبقيت روسيا وحدها خارج الحكم العثماني، فمُنح رئيس أساقفة موسكو عام 1589 لقب بطريرك، واستقلّ تماماً عن القسطنطينية. ومع انتفاضة الشعور القومي في مطلع القرن التاسع عشر، أُنشأت دول جديدة في البلقان، انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية. وهذا التحرر السياسي أعقبه تحرر الكنائس من سلطة البطريرك المسكوني في القسطنطينية، وقيام كنائس مستقلة في البلقان، ولم يعد للبطريرك المسكوني من سلطة مباشرة إلا على الأرثوذكس المقيمين في الجمهورية التركية، وفي بعض الجزر اليونانية وعلى الأرثوذكس المشتتين خارج الأقطار الشرقية. ويحافظ البطريرك القسطنطيني على الأولية الشرفية في العالم الأرثوذكسي، بيد أنه لا يملك سلطة شاملة ولا يُعترف له بحق التكلم باسم الكنائس الأرثوذكسية كلها. ولكنه ينعم بحق الأخذ بالمبادرة وبحق إعلان البطريركيات الجديدة. وهو يقود في الوقت الحالي تهيئة المجمع الأرثوذكسي العام والحوار مع الكنيسة الكاثوليكية[244].

ثالثاً- تطور الكنيسة في العالم الغربي

في القرن الثامن ميلادي خرجت رومة من حكم البيزنطيين، ومُنح الباباوات السيادة على مناطق واسعة في وسط ايطاليا. وبقيت الباباوية في روما القوة الموحّدة في الغرب، بعد أن انهارت الدولة الرومانية، وقامت على أنقاضها شعوب مختلفة. عملت الباباوية والرُهبان المرسلين، على امتداد المسيحية إلى سائر أنحاء ألمانيا والمجر وبولونيا وشمال أوروبا.

---

[244] - الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 15-16.

ونشأت حضارة عامة جديدة شملت الغرب المسيحي كله، كان للكنيسة دور كبير في تكوينها. وكانت اللاتينية لغة العلم والليتورجيا، وساد الطقس الروماني في كل العالم الغربي. وفي عام 800م تُوّج البابا شارلمان امبراطوراً على الغرب، ثم قامت مع أوتون عام 961الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة. وكان هناك تعاون بين الباباوات والأباطرة لقيادة المجتمع الغربي. وفي القرن العاشر وقع الباباوات تحت سيطرة الأمراء الإيطاليين والحكام الألمان، ثم تحرّروا من النفوذ الزمني (السياسي) في أوساط القرن الحادي عشر، إذ حُصر انتخاب الباباوات بين الكرادلة. وبلغت الباباوية ذروة سلطتها الدينية والزمنية مع البابا غريوريوس السابع سنة 1073حتى وفاة البابا بونيفاسيوس الثامن 1303م. وفي هذه الفترة عُقدت عدة مجامع إصلاحية، أُعتبرت مسكونية رغم عدم اشتراك الشرق فيها، ولا تُقرّ بها الكنيسة الأرثوذكسية[245].

وانتعشت الحياة الفكرية بعد جمودها طويلاً، بفضل الاتصال مع عرب اسبانيا وصقلية، والالتقاء بالحضارة الشرقية إبان الحروب الصليبية. وقامت الجامعات والموسوعات اللاهوتية، المعروفة بالسكولاستيكية أو المدرسية، وأشهرها موسوعة القديس توما الاكويني. وأسست رهبنات جديدة (الفرنسيسكان والدومينيكان) لعبت دوراً رسولياً وفكرياً هاماً. وفي هذه الحقبة بُنيت الكاتدرائيات الكبرى في أوروبا وتحمّس الملوك والأمراء للحملات الصليبية. ومع القرن الرابع عشر بدأت تأفل حضارة القرون الوسطى، وزالت فكرة المجتمع المسيحي الأوحد بزعامة البابا، وانطوت الشعوب على نفسها متمسّكة بفرديتها، وفتر الإبداع في اللاهوت المدرسي، وبدأ التشكّك في الحقائق الموروثة. وسجلت أربعة أمور سببت انحطاط السلطة الباباوية[246]:

- منفى أفينيون (1305 – 1378) إذ أضطر الباباوات إلى مغادرة روما واللجوء إلى فرنسا.
- الانقسام الكبير الغربي، إذ قام سلسلتان من الباباوات متعارضة خلال الفترة: – 1417 1378م.
- مبدأ تفوّق المجمع على البابا (مجمعا كونستانس وبال)
- ترف باباوات النهضة واهتمامهم بالسياسة.

التوجه الجديد للكنيسة في القرن العشرين:

---

[245] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 16.

[246] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، مرجع سابق، ص 16-17.

بدأ العصر الحديث بتحوّلات فكرية وسياسية ودينية هامة[247]:

1ـ استقلال العلم عن الفلسفة واللاهوت.

2 ـ استعمال اللغات الأوروبية الحديثة بدلاً من اللاتينية.

3 ـ قيام دول قوية مركزية، إسبانيا، انكلترا، فرنسا، إمبراطورية ألمانيا؛ التوسّع الأوروبي في العالم الجديد (اميركا) واستعمار افريقيا والشرق الأقصى، الذي فتح مجالات للرسالات التبشيرية وأخرج الكنيسة الكاثوليكية من محيطها الأوروبي.

4 ـ حركة الإصلاح التي قام بها لوثر ثائراً على بعض الأوضاع المنحرفة والتي أسفرت عن انفصال شعوب برمّتها عن الكنيسة الكاثوليكية.

وعلى إثر ذلك قام الباباوات بإصلاح الكنيسة من خلال المجمع التريدنتيني (1545 -1562) الذي أوضح العقائد التي نفاها البروتستانت. وأصلح الطقوس وشدد على حسن تربية الاكليروس وتثقيف الديني للشعب ونظم الدوائر الرومانية فتشددت المركزية. وقامت نهضة روحية قوية في اسبانيا في القرن السادس عشر، كان من روادها (القديسة تريزيا مصلحة الكرمل، القديس يوحنا الصليبي، القديس اغناطيوس دي لوايولا مؤسس الرهبنة اليسوعية التي لعبت دوراً هاماً في النهضة الكنسية والرسالات). ومن روادها في فرنسا في القرن السابع عشر (القديس فرنسيس السالزي، مار منصور دي بول، بوسويه). ونشطت المدارس الاكليركية والجمعيات الإرسالية. ثم خبت النهضة الروحية في القرن الثامن عشر، حيث قامت فلسفة الأنوار المشككة بالدين (تزعمها فولتير، وروسو) وتراجعت الإرساليات التبشرية. وقامت الثورة الفرنسية ضد نظام الحكم المطلق والامتيازات الطبقية. وأخذت الحركات التحريرية وجهاً معادياً للدين، كما بدأ الفكر الفلسفي والمادي يبعد الكثيرين في الغرب عن الكنيسة[248].

وكانت فترة البابا بيوس التاسع (1846 – 1878) مضطربة فقد فقدت الباباوية حكمها الزمني (السياسي) وأصبحت رومة عاصمة إيطاليا الموحدة. وأُقر للبابا في معاهدة اللاتران عام 1929 بحقّ السيادة على الفاتيكان وأصبح له مكانة دولية. وفي المجمع الفاتيكاني الأول (1869 – 1870) تم تحديد سلطة البابا الروحية وعصمته وتم شجب أضاليل الإلحاد المعاصر. وراح الباباوات من بعده بدءاً من البابا لاون الثالث عشر (1878- 1903) يُحاورون العالم المعاصر والفكر الحديث ويعالجون القضايا الاجتماعية المستجدّة. أما في المجمع الفاتيكاني الثاني الذي دعا إليه البابا يوحنا الثالث والعشرون وتابعه البابا بولس السادس(1962 1965) – بدأ التجديد في الكنيسة، وذلك بالعودة إلى الجذور

---

247 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 17-18.

248 ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 17-18.

والانفتاح على العالم وسائر الكنائس. وركز على دور الأساقفة إلى جانب البابا في إدارة الكنيسة الجامعة. ومن أهم إنجازاته تنظيم مجلس الأساقفة في كل قطر وسينودسات الأساقفة (مجلسهم) التي تعقد دورياً في رومة. وعقب ذلك نشر التشريع الجديد للكنيسة اللاتينية وتشريع الكنائس الشرقية الكاثوليكية وكتاب تعليم الكنيسة الكاثوليكية[249]. وفي هذا المجمع سُمح باستخدام اللغات الأوربية في الصلوات، بعد أن كانت تؤدى باللاتينية فقط[250].

وركّز البابا يوحنا بولس الثاني في نهاية الألفية الثانية ومطلع الألفية الثالثة في رحلاته الرسولية ورسائله، على إعلان الإنجيل لغير المسيحيين والتبشير الجديد في البلدان المسيحية القديمة التي تراجع فيها الإيمان بالمسيحية، وراح يدعو إلى توطيد حضارة المحبة، بالقضاء على الحروب والظلم وتطعيم الثقافة المعاصرة بروح الإنجيل، واحترام القيم الأخلاقية الأساسية في شؤون الحب والحياة والرقي الحقيقي لكل إنسان ولكل الإنسان. ويبذل كل المساعي لتحقيق الوحدة المسيحية الشاملة ضمن احترام التقاليد الخاصة، كما يدعو إلى الحوار والتعاون مع كافة المؤمنين بالله، لتوطيد العدالة والسلام والكرامة الإنسانية وحقوق الله الخالق والتعايش الأخوي بين جميع عباد الله. وتجلّى ذلك بوضوح إبان زيارته لسورية من 5 إلى 8 أيار 2001[251].

الكنيسة الكاثوليكية وقضايا العالم الافروآسياوي:

في منذ منتصف القرن 19 تنامى اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بالمسيحيين في الشرق، وتزايد اهتمامها بمختلف القضايا الافروآسياوي، وبدأت الدعوة لتناسي الشقاقات القديمة، والعمل من أجل الاتحاد، واتجهت الدراسات المعمقة نحو الطقوس الكنسية الشرقية، واعتبارها ذات قيمة كبيرة.

وفي سنة 1917م أسست الكنيسة الكاثوليكية أمانة شؤون الكنيسة الشرقية، وأصبحت تسمى بعد المجمع الفتكاني الثاني (62- 1965م)، أمانة شؤون الكنائس الشرقية. ثم تأسس المعهد البابوي للدراسات الشرقية في روما. وقد دعت رسالة البابا بيوس الحادي عشر سنة 1928م، إلى دراسة أكثر عمقا وموضوعية للمشكلة الشرقية وإلى ضرورة إشراك الباحثين العلمانيين في هذه الدراسات. كما تم تأسيس مجموعة من المراكز العلمية في البلدان العربية: كجامعة القديس يوسف في بيروت لليسوعيين، والمعهد الدومينيكاني للدراسات الشرقية في القاهرة للدومسنكانيين، ثم معهد دراسات الإباء البيض في تونس. وقد اهتمت هذه المراكز بموضوع الاستشراق والحوار الإسلامي المسيحي.

---

[249] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 18.

[250] ـ محمد غالب بركات، الفرق والمذاهب في الرسالات الثلاثة(اليهودية، المسيحية والاسلام)، ص99.

[251] ـ الأرشمندريت أغناطيوس ديك، نشأة المسيحية وتطورها.. جولة في تاريخ الكنيسة، ص 18.

ثم أدركت الكنيسة الكاثوليكية حتمية استقلال دول العالم الافروآسياوي، فأخذت تكيف نفسها وتوجهاتها على ذلك. ففي رسالة الميلاد لسنة 1945م ركز البابا بيوس الثاني عشر على أن الكنيسة أم الأمم والشعوب كلها ... فهي لا تخص شعبا دون غيره ولا ترتبط بشعب أكثر من غيره، بل هي تخص الجميع وبصورة متساوية. وهو يؤكد في رسالة أخرى بأن الكنيسة الكاثوليكية لا تطابق نفسها بأي شكل من الاشكال مع الثقافة الغربية، أو أي ثقافة أخرى، بل إنها تسعى للاتحاد مع كل منها.

وبذلك بدأت الكنيسة الكاثوليكية تتحدث عن طابعها الكوني وتبتعد عن تصوراتها التاريخية السابقة المرتبطة بهيمنة الثقافة الغربية. ثم توالت الخطابات المعبرة عن شمولية الكنيسة وطبيعتها العالمية واهتمامها بكل الثقافات، وضرورة تكيف المسيحية مع ظروف كل بلد، مع التشديد على الطابع الكوني والمسكوني العالمي والتمسك بمصالح السماء والسعي نحو مملكة سماوية، التي ينظر إليها على أنها خارج التاريخ وفوق الثقافات، ما يضمن للكنيسة التوافق مع كل مرحلة تاريخية ومع كل الثقافات. ودعت الكنيسة إلى حق الشعوب في التطور الاقتصادي وضرورة التكافؤ في مستويات النمو بين البلدان المتقدمة والبلدان السائر في طريق النمو، وضرورة تقديم المساعدات للدول المحتاجة. وقد أكد المجمع المسكوني الفتكاني الثاني على هذا التوجه، حتى أن هذا المجمع ضم للمرة الأولى عدد معتبر من أساقفة الدول الافروآسياوي (21 بالمئة من آسيا و10 بالمئة من أفريقيا).

تحول موقف الكنيسة الكاثوليكية تجاه الإسلام:

ناقش المجمع الفتكاني الثاني علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية، وكانت البداية بنقاش دار حول الغاء تهمة قتل المسيح عن اليهود، وهو ما رفضه أساقفة المشرق وأخرين اعترضوا بحجة أن التطرق إلى موضوع اليهود ونفي تهمة قتلهم للمسيح عنهم قد يؤدي إلى الاعتراف بدولة إسرائيل من قبل الفاتيكان، وقد يخدم مصلحة اليهود سياسيا. لذلك اقترح بطرياك الروم الكاثوليك ماكسيموس الرابع أن يتم التطرق لليهود والديانات الأخرى كذلك، بما فيها الإسلام، وقد دعم ذلك زيارة البابا بولس السادس إلى المشرق الأدنى سنة 1964م، وتوجيهه في عمان والقدس تحية أخوية للمسلمين. وأكد على احترام الكنيسة المسكونية لأولئك الذين يعبدون الها واحدا حقيقيا.

وقد أشار النص النهائي لموقف المجمع الكنسي بشأن الإسلام والمسلمين في قوله: "... وتنظر الكنيسة - أيضا - بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحي القيوم، الرحمن القدير الذي خلق السماء والأرض، وكلَّم الناس. إنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده، كما سلم لله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه. وإنهم، على كونهم لا يعترفون بيسوع إلها، يكرمونه نبيا، ويكرمون أمه العذراء مريم، مبتهلين إليه أحيانا بإيمان، ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يجُازي الله فيه جميع الناس بعد

ما يبعثون أحياء، من أجل هذا يقدرون الحياة الأدبية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم، خصوصا . ولئن كان قد وقع، في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإن المجمع (الفتكاني الثاني) يحرضهم جميعا على نسيان الماضي، والعمل باجتهاد صادق في سبيل التفاهم فيما بينهم، وأن يحموا ويعززوا كلهم معا، من أجل جميع الناس، العدالة الاجتماعية، والقيم الروحية، والسلام والحرية"[252].

إن هذا الطرح يؤسس لعلاقات ضرورية في مناطق يعيش فيها مسلمون ومسيحيون، وذلك من أجل وحدة وطنية وعيش كريم للجميع. وفيه إشارة مهمة إلى ضرورة الالتقاء على القيم التي تحقق العدل وإنسانية الإنسان. وقد جاء في السياق نفسه نصوص ودعوات في رسالة الإرشاد الرسولي الذي أعلنه البابا يوحنا بولس الثاني، عندما زار لبنان في العام1997م، وعنوانها: "رجاء جديد للبنان" من هذه النصوص ما يلي:
"لا بد خاصة من تكثيف التعاون بين المسيحيين والمسلمين في كل المجالات الممكنة، بروح التجرد، أي من أجل الصالح العام، وليس من أجل مصلحة أشخاص معينين، أو من أجل مصلحة طائفة خاصة، أو أملاً بالحصول على مزيد من النفوذ والسلطة في المجتمع . . . ليس الحوار الإسلامي - المسيحي حوارا بين مثقفين فقط، فهو يهدف أولا إلى تشجيع العيش معا بين مسيحيين ومسلمين، في روح من الانفتاح والتعاون لا بدَّ منه"[253].

لكن الملاحظ أن المجمع الفتكاني الثاني سكت عن أي إشارة إلى الاعتراف بصدق نبوة محمد (ص) رغم أن هذه المسألة نوقشت في المجمع.

الحوار الإسلامي المسيحي بعد المجمع الفتكاني الثاني:

قوبلت دعوة المجمع الفتكاني الثاني لتناسي الماضي والانصراف بإخلاص الى التفاهم المتبادل، بالارتياح والترحيب في أوساط الكنيسة الكاثوليكية. إلا أن التطبيق العملي بدى أكثر صعوبة وتعقيدا، كما أن هناك من عارض فكرة الحوار في الكنيسة وكذلك في العالم الإسلامي. الا أن اللاهوتيون المؤيدون لتوجه الحوار يرون أن السلوك العملي من أجل حماية العدالة الاجتماعية وتعزيز السلام الشامل للإنسان، يمكن أن ينطلق من فكرة التوحيد. بينما ذهب المعارضون للحوار إلى أنه لا يمكن أن ينجح الا ضمن المجال الدنيوي البحت، وابتعد عن مناقشة الإشكاليات والمسائل الدينية.

وقد تم ترسيم هذا التوجه للحوار مع الأديان وخاصة مع الإسلام، بإنشاء لجنة خاصة بالشؤون الإسلامية. مهمتها السعي من أجل التفاهم المتبادل، خصوصا في مجال القيم الدينية.

---

[252] - (المجمع الفتكاني الثاني، ص629).
[253] - (رجاء جديد للبنان : وجهه الباب يوحنا بولس الثاني ، بيروت، منشورات اللجنة الأسقفية لوسائل الإعلام، سنة1997م ، ص148، 149) وينظر(أسعد السحمراني، ترجمان الأديان، ط1، 2009، دار النفائس، بيروت، ص 389- 391)

ويتمثل نشاطها في طبع ونشر الادبيات المتعلقة بمسائل الحوار الديني وتنظيم لقاءات تشاورية عالمية ومؤتمرات وندوات فكرية بين ممثلي العقائد المختلفة وإقامة حلقات بحث منتظمة ومحاضرات في الفاتيكان.